تصوير الحياة الاجتماعية في روايات المنفى العراقية بعد الاحتلال الأمريكي بإشارة خاصة إلى علي بدروأعماله: دراسة تحليلية

أطروحة قدّمت إلى جامعة كاليكوت للحصول على شهادة الدكتوراه

في اللغة العربية وآدابها

(نسخة منقحة)

من

إسحاق بي سي

تحت إشراف

الدكتورسي. سيد علوي

ومشرف البحوث في قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها

كلية فاروق (حكم ذاتي)، كاليكوت.

الدكتورعلي نوفل ك.

(المشرف المساعد)

الأستاذ المشارك، قسم اللغة العربية جامعة كاليكوت

والرئيس السابق،قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية وآدابها كلية فاروق (حكم ذاتي)، كاليكوت

جامعة كاليكوت

كيرالا - الهند

2023

المحتويات

مقدمة:..... 4

الباب الأول: نشأة الرواية وتطورها في العراق.....16

الفصل الأول: جمهورية العراق: خلفية تاريخية.....17

الفصل الثاني: الرواية العراقية وتطورها.....33

الباب الثاني: الاحتلال الأمريكي وأثره في الرواية العراقية.....58

الفصل الأول: الاحتلال الأمريكي وتجلياته في الأدب العراقي.....59

الفصل الثاني: الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي.....70

الباب الثالث: روايات المنفى العراقية.....119

الفصل الأول: المنفى والرويات العراقية.....120

الفصل الثاني: تحليل روايات المنفى العراقية المختارة.....130

الباب الرابع: علي بدر: حياته وأعماله.....143

الفصل الأول: حياة علي بدر الأدبية.....144

الفصل الثاني: تحليل روايات علي بدر المختارة.....153

الباب الخامس: تصوير الحياة الاجتماعية في روايات علي بدر.....179

الفصل الأول: مفهوم الحياة الاجتماعية.....180

الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية في روايات علي بدر المختارة.....192

الخاتمة.....224

أهم نتائج البحث.....229

الاقتراحات والتوصيات.....232

المصادر والمراجع.....234

مقدمة البحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علّم الإنسان مالم يعلم، والصلاة والسلام على رسوله الأمين الذي أرسله الله إلى كافة الأمم، وعلى آله وصحبه الفائزين برضى الله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

هذه أطروحة بحث أكادمي، تم إعدادها للتقديم إلى جامعة كاليكوت لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها. عنوان هذه الأطروحة هو "**تصوير الحياة الاجتماعية في روايات المنفى العراقية بعد الاحتلال الأمريكي بإشارة خاصة إلى علي بدر وأعماله: دراسة تحليلية**". وقد قام الباحث بدراسة تاريخية عن نشأة الرواية وتطورها في العراق، وبدراسة تحليلية لروايات علي بدر المختارة التي تعالج الحياة الاجتماعية بعد الاحتلال الأمريكي.

الواقعية العراقية تتميز عن نظيراتها في العالم العربي لطبيعة التطورات السياسية والاجتماعية في تاريخ العراق الحديث منذ قيام دولته عام 1921. صراع سياسي دموي، حركات معارضة مسلحة في جبال العراق منذ أربعينيات القرن الماضي، وانقلابات عسكرية دامية، وسيطرة دكتاتورية، ومراقبة شديدة، وحروب مستمرة، وبالتالي حصار اقتصادي طويل، وبعده الاحتلال كل هذه الظروف في الربع الأخير من القرن أدت إلى فصل حاد بين نوعين من السرد:

الأول، الذي كتب في عهد الديكتاتورية، اتسم بالنصوص التي لجأت إلى الرموز والأساطير والتاريخ القديم للعراق، في بنية سردية أضافت أشكالًا فنية جديدة إلى السرد العربي، لكنها تجنبت الخوض في محنة العراقي في ذلك الوقت؛ وبالنصوص التي بررت ثقافة الحرب في بنية سردية تمجد قيم القتل والعنف. رغم هناك بعض النصوص التي تناولت جوانب من الواقع الاجتماعي في زمانها، لكنها تجنبت جوهر المعاناة. فأصبح السرد مشوشا وسقطت الشخصيات في هاوية الغموض. تجنبت النصوص عمومًا الاقتراب من المحرمات الثلاثة: السياسة والجنس والدين.

أما الثاني، الذي هو مكتوب في حرية المنفى، يتميز عن الأول بحيث إنه يظهر معاناة الإنسان العراقي الذي يعيش تحت سيطرة الدكتاتورية والحروب المستمرة على شكل واضح وقاطع، ويصل إلى عمقها. فالخوف والهلع الذي خيم على حياة العراقي، ومقاومته وعناده متوقعا الفرج والنجاة، وتراجعه من خيبة الأمل والانكسار؛ كلها كانت محاوير هذه النصوص الأبية العراقية. فروايات المنفى العراقية بمثابة سجلّ تاريخي للعراقي، لأنها خاضت في الواقعات السياسية والاجتماية في العراق.

كان الاحتلال الأمريكي نقطة تحول في تاريخ العراق سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، حيث حاولت قوات التحالف هتك العراق وتمزيقه سياسيا، ونشر الفوضى بين المجتمع العراقي ودفعه إلى الحروب الطائفية؛ من بينها سعت لسرق ثروته وهدم شخصيته الثقافية. فالاحتلال الأمريكي وما تبعه من سيطرة المسلحين، قد أثر في الحياة الاجتماعية العراقية في كل مستواها سلبيا. لكن بالنسبة للأدباء العراقيين رغم كونهم

داخل العراق أو خارجه، كان الاحتلال شيئا مرغوبا حيث رفع عنهم عيون المراقبة، ومهّد لهم بيئة ملائمة لتصوير ما رأوا مهما من خلال السطور.

العراق رغم هيمنته الثقافية القديمة، تأخرت فيه الرواية بالمقارنة للبلدان الأخرى العربية، ولم تنشر منها سوى عدد ضئيل حتى الاحتلال الأمريكي، لكن تحوّل تاريخها بعد الاحتلال، وتنوّعت مواضعها إلا أن معظمها ارتكزت على التجارب الإنسانية في فترة الدكتاتورية.

هناك بعض من الروائيين الذين رأوا الاحتلال إيجابيا، لكن في الوقت اللاحق رأوا جوانبه الأخرى من تغير بنية الحياة الاجتماعية وهجرة عدد كبير من العراقيين. وكان منهم علي بدر، الذي حاول لتصوير الحياة الاجتماعية العراقية بعد الاحتلال من خلال رواياته. هذه الدراسة محاولة بسيطة لتحليل رواياته المختارة لكشف عن مدى تصويره للحياة الاجتماية في العراق بعد الاحتلال.

تحليل العنوان

تحليل موجز لمفهوم العنوان ولكلمات الواردة في العنوان كما يأتي:

تصوير مصدر صوّر، والتصوير اليدوي: فن جميل يقوم على رسم الأشياء والحيوانات والأشخاص والمناظر الطبيعية بالقلم أو بالريشة. والمراد هنا تمثيل الأحداث والوقائع كما هي في الواقع بالكلمات بشيئ من الخيال.

والحياة الاجتماعية هي عبارة عن الحياة الخاصة التي يعيشها الفرد داخل المنزل أو داخل الأسرة، وتتكون الحياة الاجتماعية بشكل عام لأي شخص بواسطة الروابط المختلفة مع الآخرين كالعائلة التي ينتمي إليها الشخص أو الأصدقاء أو عن طريق أشخاص موجودين في المجتمع، ويمكن مشاركة مجموعة من الأنشطة المختلفة مع الآخرين أي بمعنى قضاء وقت ممتع مع الأصدقاء والأقارب، فلا يستطيع الفرد العيش بمفرده بعيداً عن الناس، فالشخص الذي يذهب إلى الحفلات ويتفاعل مع الأشخاص يعتبر لديه حياة اجتماعية مميزة، والشخص الذي يتمتع بالحياة الاجتماعية قادر على تطوير حياته بسهولة أكثر من الشخص الانطوائي[1].

والرواية تعرّف بأنّها فن أدبي نثري طويل يعتمد في أساسه على الخيال، تترابط فيه مجموعة من العناصر فيما بينها وفقاً لعلاقات معيّنة، وتسير ضمن تسلسل أحداث مدروسة لوصف تجربة إنسانية ضمن إطار من التشويق والإثارة تعكسه مجموعة من الشخصيات، في بيئة معيّنة.

والعراق رسمياً جمهورية العراق دولة عربية تقع في غرب آسيا، عاصمتها بغداد وتحتل مكانة مرموقة بخلفيتها التاريخية من مبدأ الحضارة والثقافة. المنفى اسم مكان من نفي، والنفي يكون قسريا وطوعا؛ والمراد هنا الروايات المكتوبة خارج حدود جمهورية العراق.

[1] https://mawdoo3.comتعريف-الحياة-الاجتماعية/1-#cite_note-6a5e787d_7198_4285_845f_1859733e2894

الاحتلال مصدر احتلّ بمعنى دُخُول البلاد والاستيلاء على أراضيها قهرا وغزوا. الأمريكي نسبة إلى الأمريكا، هي المعروفة باسم الولايات المتحدة أو أمريكا ، هي دولة تقع في أمريكا الشمالية وتتكون من 50 ولاية، وعاصمتها واشنغطن.

علي بدر روائي عراقي يسكن الآن خارج بلاد العراق. والدراسة التحليلة في البحوث الأدبية هي دراسة موضوعية للأحداث المتناولة في الأعمال الأدبية فيقوم الباحث بتحليلها مبوبا حسب تسلسل الأحداث وطبيعتها ويفسر عناصرها ويبين أثرها في المجتمع خلال دراسته.

دوافع اختيار الموضوع

وقد ركز الباحث اختيار موضوع البحث على الرواية لدوافع متعددة حيث إنه كان راغبا في قراءة الرواية منذ دراسته في الابتدائية فكان مولعا بقراءة كتب القصص والروايات المليالمية الموجودة في المكتبات كما كان يقرأها في المجلات والدوريات الأسبوعية. وأما سبب اختيار الباحث الرواية العربية من العراق فيرجع إلى أن الدراسات والبحوث الأكادمية حول الكتّاب العرقيين خاصة الروائيين قليل جدا في الجامعات الهندية، والدراسات عن الروائي العراقي علي بدر وعن الحياة الاجتماعية التي عالجها في أعماله لم تجر في الجامعات وفي المعاهد الأكادمية في الهند. فرأى الباحث أثناء دراسته أن الكاتب العراقي الكبير علي بدر الذي يقضي حياته في مجال الكتابة الأدبية وفي تطوير اللغة العربية والذي يقوم لترقية دولته، جدير بدراسة متخصصة عنه. وأراد أن يقدم هذه الشخصية الفذة أمام القراء والمحبين في الأدب ولا سيما في

اللغة العربية ويبين مدى تأثيره في أوساط الأدب العربي الحديث. وأدرك الباحث أثناء قراءته لرواياته، خصوصية متميزة وقدرة فطرية يمتلكها الروائي لتصوير الحياة الاجتماعية، فحثت على الباحث أن يتعرف عنه مزيدا وأن يعرف عنه العالم الجديد.

الدراسات السابقة

وقد أجريت بعض درسات أكادمية حول مؤلفات علي بدر في بعض الجامعات في مستوى الماجستير، كما نشرت مقالات فردية تتناول أبعاد مؤلفاته الأدبية في الصحف والمجلات المختلفة في العربية وغير العربية من قبل بعض الأكاديمين. ومن أهم الدراسات الأكادمية المنشورة ما يأتي:

- التقابل في "مصابيح أورشليم" لعلي بدر، آمنة فلاك وحبيبة سحنون (مذكرة قدمتا لنيل شهادة المادستير في جامعة محمد بوضياف المسيلة، جمهورية الجزائرية)، 2019
- بنية الزمن في رواية "بابا سارتر" لعلي بدر، بلال بلخير، جامعة محمد خيضر بسكرة (مذكرة ماجستير)، 2021-2022
- مصابيح أورشليم بين تفكيك الخطابات وإشكاليات التناص، د. موسى إبراهيم أبو دقة، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) المجلد الثالث عشر، العدد الأول، ص 30-94، يناير، 2009

وأما الدراسات التي تتناول الحياة الاجتماعية في روايات علي بدر لم تجر في مجالات الأكادمية داخل البلاد العربية وخارجها حسب استعلام الباحث. فرأى الباحث أن هذا الموضوع جدير بالدرس والتحليل في مستوى الدكتوراه.

أهمية البحث

جمهورية العراق لها أهمية كبرى في تاريخ بشري حيث كانت مهد الثقافة والحضارة منذ فجر العالم. فاسمها القديم "بلاد ما بين النهرين"، هو الاسم المخصص للمنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات، المنطقة التي بدأ البشر القراءة والكتابة ونظم القوانين وغيرها. واستمرّت هيمنتها الثقافية والحضارية خلال العصور، ووصلت إلى أوجها في العصر العباسي وتزامنها تطور اللغة العربية ونشوء الفنون الأدبية الجديدة، وكان فن الشعر في مقدمها.

انتقلت هيمنة الشعر في الأدب العربي إلى النثر في القرن العشرين، وتولّدت أنواع جديدة في الأدب النثري، وكانت منها الرواية. فنشأة الرواية وتطورها في العراق،كانت بعد تطورها واستقرارها في البلدان العربية الأخرى. لإن الظروف السياسية في العراق في القرن العشرين وما تابعها من القواعد والمراقبة على النتاجات الأدبية كانت عرقلة أمام تطور الرواية في العراق وبالتالي منعت تصوير الحياة الاجتماعية. لكن الاحتلال الأمركي في مطلع ألفين حرّر الأدب العراقي وخاصة الرواية من القيود المراقبة، فازدهرت كمّا

ونوعا كما ازداد عدد الروائيين الذين عالجوا القضايا المختلفة الراهنة. وكان فيهم علي بدر الذي ركّز على تصوير الحياة الاجتماعية في العراق من خلال روايات عديدة في فترة قصيرة.

يريد الباحث في هذه الدراسة أن يفتش مدى تصويره للحياة الاجتماعية في العراق بعد الاحتلال الأمريكي، كما يريد أن يبحث عن نشأة الرواية وتطورها في العراق وتحولها تحت المراقبة السياسية ودور الاحتلال الأمريكي في ازدهار الروايات العراقية.

مشكلة البحث

- كيف نشأ فن الرواية في العراق وكيف كان تطورها؟
- ماهي انعكسات الظروف السياسية، وموقف الحكومة الدكتاتورية في تحوّل الرواية وتنوّعها في العراق؟
- ما هو أثر الاحتلال الأمريكي في ترقية الرواية العراقية؟
- كيف عالج الروائيون العراقيون احتلال الأمريكي والفترة بعده في رواياتهم؟
- ما هو موقف الروائيين داخل العراق وخارجها للاحتلال الأمريكي؟
- ما هي مساهمة الروائيين في المنفى في تطور الرواية العراقية؟
- ما هي الثيمات التى عالجها الروائيون في المنفى؟
- ما هو دور علي بدر في تطور الرواية العراقية؟

- ماهو مدى تصوريه للحياة الاجتماعية في رواياته؟

منهج البحث

قام الباحث بتخطيط بحثه حسب المنهج الوصفي التحليلي في إطار مفهوم الحياة الاجتماعية. فقام أولا بتحديد إطار مفهوم الحياة الاجتماعية باستشار المتخصصين في علم الاجتماع إضافة إلى مراجعة كتب المتخصصين في نفس الفنّ مثل كتاب "علم الاجتماع" لأنتوني غدنز (Anthony Giddens)، عالم معاصر في مجال علم الاجتماع. ثم قام بجمع المعلومات المتعلقة بالبحث من تاريخ العراق الاجتماعية والسياسية والثقافية، وتاريخ نشأة الرواية وتطورها في العراق، من المصادر والمراجع المختلفة كتمهيد. قد قام الباحث بجمع مؤلفات علي بدر والدراسات حوله، ثم قام بقراءتها قراءة دقيقة وقام بتحليلها على أساس مفهوم الحياة الاجتماعية.

أهداف البحث

- القاء الضوء على نشأة الرواية وتطورها في العراق
- تسليط الضوء على تحوّل الرواية وتنوّعها تحت الحكومة الدكتاتورية
- تفتيش أثر الاحتلال الأمريكي في تغيّر مجرى الروايات العراقية
- تحليل العناصر الاجتماعية في روايات المنفى العراقية

- القاء الضوء على مساهمات علي بدر الأدبية
- تعيين عناصر الحياة الاجتماعية في روايات علي بدر

تبويب البحث

قسم الباحث هذه الأطروحة إلى خمسة أبواب ما عدا المقدمة والخاتمة ونتائج البحث والاقتراحات والتوصيات. الباب الأول عنوانه "نشأة الرواية وتطورها في العراق"، وهو يشتمل على فصلين وقد عالج الباحث في الفصل الأول خلفية تاريخية لجمهورية العراق. وفي الفصل الثاني يناقش الباحث الروايات العراقية في مرحلتها التشكيلية مع تسليط الضوء على مؤلفيها.

والباب الثاني عنوانه "الاحتلال الأمريكي وأثره في الروايات العراقية". وقد قسّم الباحث هذا الباب إلى فصلين لمعالجة خلفية الاحتلال الأمريكي للعراق ولبيان أثره في الروايات العراقية. ففي الفصل الأول يبحث الباحث عن الأسباب التى أدت إلى احتلال الأمريكي للعراق وأثره في المجتمع العراقي. والفصل الثاني هو "الروايات العراقية بعد الاحتلال الأمريكي" يناقش فيه الباحث عن تحول الروايات العراقية وملامحها وسماتها بعد الاحتلال الأمريكي كما يسلط الضوء على الروايات المنشورة لعقد بعد الاحتلال وأهم الروائيين داخل العراق.

والباب الثالث عنوانه "روايات المنفى العراقية"، وهو يحتوي على فصلين. الفصل الأول "الروايات العراقية في المنفى"، يقوم الباحث فيه بتحديد مفهوم المنفى ونوعها وخصائصها ويناقش فيه عن تطور

الروايات العراقية في المنفى. وفي الفصل الثاني يحلّل الباحث روايات مختارة لثلاثة مؤلفين في المنفى لتسليط الضوء على المواضيع التى يعالجها الروائيون في المنفى.

والباب الرابع عن علي بدر ورواياته، وعنوانه "علي بدر: حياته وأعماله"، ويشتمل على فصلين. فالفصل الأول، يناقش فيه الباحث عن علي بدر وحياته الشخصية وأعماله الأدبية وأسلوبه في الكتابة وشخصياته الروائية. وفي الفصل الثاني، قام الباحث بتلخيص رواياته المختارة التي تعالج الحياة الاجتماعية بعد الاحتلال الأمريكي، وتصوير شخصياتها المهمة.

والباب الخامس عنوانه "تصوير الحياة الاجتماعية في روايات علي بدر المختارة". هذا الباب يشتمل على تصوير الحياة الاجتماعية في العراق بعد الاحتلال الأمريكي ومدى تأثيره عليها. وقد قسّم الباحث هذا الباب إلى فصلين، ويناقش في الفصل الأول عن مفهوم الحياة الاجتماعية وعناصرها ونوعيها. والفصل الثاني، قام فيه الباحث بتحليل روايتين "الكافرة" و"عازف الغيوم" لعلي بدر حسب مفهوم الحياة الاجتماعية حسب مفهومها الذي قدمه علماء الاجتماع، وأخرج منهما الأمثلة التي تستند آراء علماء الاجتماع لتصوير مدى الاحتلال والحروب والتطرف على الحياة الاجتماعية.

الشكروالعرفان

وفي ختام هذه الدراسة الأكادمية أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الله الذي أنعم علي برعايته وتوفيقه ويسر لي إنجاز هذا البحث. أنتهز هذه الفرصة لأعبر من أعماق قلبي الشكر الجزيل لمشرفي ومرشدي

السيد الدكتور سيد علوي، مشرف البحوث في قسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية بكلية فارق كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى مشرفي المساعد السيد الدكتور علي نوفل. ك، رئيس السابق في القسم الماجستير والبحوث في اللغة العربية بكلية فاورق، والأستاذ المشارك، في قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت حاليا؛ حيث قاما بالإشراف على هذا البحث منذ بدايتها إلى النهاية على وجه أحسن. وكانت إلمامهما وقدرتهما في اللغة وتجربتهما الأكادمية مساندة لي طوال هذه الدراسة. تعجز الألفاظ لتعبير ما عندي من المشاعر، كما أشكر أيضا لجميع الأساتذة في قسم اللغة العربية بكلية فاروق الذين بسطوا يد العون والمساندة خلال مدة بحثي في القسم.

وأقدم شكرا جزيلا لوالدي بي.سي. أحمد حاجي وفاطمة لأنهما كانا يشجعانني لإتمام هذه الدراسة. وأقدم الشكر لزوجتى فاطمة لتجشم المشاكلة خلال هذه الفترة ولابني محمد بشر، كما أقدم الشكر لإخواني وأختي ولكل من في أسرتي لمساعداتهم الثمينة خلال هذه الدراسة.

والشكر موصول إلى كل من ساعدني من أصدقائي الأعزاء وخاصة منهم عبد الرشيد وي وي وأحمد كويا، كانا بجانبي حتى نهاية هذا البحث. و أدعو الله أن يجزي كل من شجّعنى وساعدنى في إعداد هذه الأطروحة جزاء حسنا في الدنيا والآخرة. جزاهم الله خيرا الجزاء، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الباب الأول

نشأة الرواية وتطورها في العراق

الفصل الأول: جمهورية العراق: خلفية تاريخية

الفصل الثاني: الرواية العراقية وتطورها

الفصل الأول

جمهورية العراق: خلفية تاريخية

كانت الأراضي التي تشكل العراق الآن تعرف باسم بلاد ما بين النهرين (Mesopotamia) في العصور القديم، وهي منطقة أدت سهولها الرسوبية الواسعة إلى ظهور بعض أقدم الحضارات في العالم، بما في ذلك حضارات سومر وأكاد وبابل وآشور. أصبحت هذه المنطقة، التي تضم الكثير مما يسمى بالهلال الخصيب، جزءا مهما من الإمبراطوريات الكبرى، بما في ذلك الممالك الفارسية واليونانية والرومانية. وبعد القرن السابع أصبحت جزءا مركزيا من العالم الإسلامي؛ وأصبحت بغداد، عاصمة العراق المعاصر، عاصمة الخلافة العباسية في القرن الثامن. وقد تم إنشاء جمهورية العراق الحديثة في أعقاب الحرب العالمية الأولى (1914-1918) من المحافظات العثمانية بغداد والبصرة والموصل. حصل العراق على استقلاله الرسمي في عام 1932 لكنه ظل خاضعا للنفوذ الإمبراطوري البريطاني خلال ربع القرن التالي من الحكم الملكي. وبعد الإطاحة بالنظام الملكي في عام 1958، كان مضطربا سياسيا؛ لكن تنصيب نظام قومي واشتراكي عربي - حزب البعث - في انقلاب بعد 10 سنوات جلب استقرارا جديدا.

كان النظام، باحتياطياته النفطية في المرتبة الثانية في العالم، قادرا على تنفيذ مشاريع وخطط تنموية طوال السبعينيات وبناء واحدة من أكبر القوات المسلحة وأفضلها تجهيزا في العالم العربي. لكن بعد ان تولى صدام حسين قيادة النظام سنة 1979، قاد البلاد إلى مغامرات عسكرية - الحرب الإيرانية العراقية (1980-1988) وحرب الخليج الفارسي (1990-1991). تركت هذه الصراعات البلاد معزولة عن المجتمع الدولي واستنزفت ماليا واجتماعيا. رغم ذلك، تمكن صدام من الحفاظ على السلطة إلى ان تمت الإطاحة به ونظامه في عام 2003 خلال الاحتلال الأمريكي للعراق.

وهو أحد البلدان الواقعة في أقصى شرق العالم العربي وأكبرها، "يحده من الشمال تركيا ومن الشرق إيران، ومن الجنوب الخليج العربي والكويت والمملكة العربية السعودية والأردن ومن الغرب سورية، تبلغ مساحته نحو 438446 كيلو مترا مربعا"[2]. يمتلك العراق خطا ساحليا بطول 36 ميلا (58 كم) على طول الطرف الشمالي للخليج العربي، مما يمنحه قطعة صغيرة من البحر الإقليمي. وبالتالي، فهي تتمتع بأقل قدر من الوصول إلى البحر والسيادة البحرية في الشرق الأوسط.

والعراق قطر زراعي مشهور بخصب التربة منذ أقدم التاريخ، فهو ينتج الغلات على أنواعها بكميات كبيرة، و يعنى بتربية الماشية عناية فائقة، فيصدر منها أعداد هائلة في كل سنة. أما النخل فيه فإنه يعد من ثرواته الرئيسية حتى ليقال إن نخل العراق يساوي ثلاثة أرباع نخل العالم.

الجماعات العرقية

يعد العراق الحديث أحد أكثر المجتمعات تنوعا دينيا وعرقيا في الشرق الأوسط. على الرغم من أن مجتمعات العراق تتعايش بسلام بشكل عام، إلا أن الخلاف بين المجتمعات تعمق في القرن العشرين مع سلسلة من الأنظمة الاستبدادية التي حكمت باستغلال الانقسامات القبلية والطائفية والعرقية. لقد تم استيعاب الشعوب السامية القديمة في العراق، والبابليين والآشوريين، والسومريين غير الساميين، منذ فترة طويلة من خلال موجات متتالية من المهاجرين. أدت الفتوحات العربية في القرن السابع إلى تعريب وسط وجنوب العراق. ويعيش سكان مختلطون من الأكراد والعرب في منطقة انتقالية بين تلك المناطق وكردستان العراق في الشمال الشرقي. إن ما يقرب من ثلثي الشعب العراقي هم من العرب، وحوالي الربع من الأكراد، والباقي يتكون من أقليات صغيرة[3].

[2] سهيل، محمد الطقوش. تاريخ العراق الحديث والمعاصر. دار النفائس، بيروت، ص 17.

[3] Kennedy, Hugh , Khadduri, Majid , Blake, Gerald Henry , Chambers, Richard L. and Woods, John E.. "Iraq". Encyclopedia Britannica, 12 Oct. 2018, https://www.britannica.com/place/Iraq.

الأحوال الاجتماعية والثقافية

الحالة الاجتماعية العراقية في العشرينيات من القرن المنصرم، يشير إليه الدكتور يوسف عز الدين، "هذه الثماني عشرة سنة من حكم الأتراك في العراق، لم تكن إلا استمرارا لحالة العراق في القرن التاسع عشر، وتكاد تكون جزءا لا يمكن بتره عنه، لو لا بعض اصطلاحات ناظم باشا، وأثر اليقظة الفكرية المحدودة التي تسربت من أوربا ولو لا أثر الدستور العثماني. كان العراق بلدا متأخرا، هيمن عليه الجهل وفقد الأمن والنظام، مخرب الجوانب والجنبات. وخير وصف لحالة العراق في هذه الفترة، هو وصف جريدة *صدى بابل*، فقد وصفته بأنه بلد حاق الخراب به والظلم والخوف والاضطراب، وذكرت الفوضى التي حلت به، وكيف كانت ضواحي بغداد تسلب وتنهب وتسرق، وما حاق بالحياة العامة من تأخر" [4].

وصورة المجتمع العراقي في هذه الفترة يقول عنها، "إن هذا التأخر لم يكن غير جزء من تفسخ عام، شمل جميع الإمبراطورية العثمانية. فقد كانت الولايات– ومنها بغداد -تباع وتشترى كأية بضاعة أخرى .وقد كان هناك سماسرة يتصلون بالراغبين في مثل هذه الصفقات، فلا نستغرب أن انحصر هم الوالي جمع المال الكافي للوصول إلى الثراء العاجل، فهو مسئول عن دفع هدايا مستمرة لأسياده في الآستانة، وعليه أن يكون له أصدقاء يحافظون عليه وعلى مركزه كي لا يعزل .فهو يبيح لنفسه الاستيلاء على الأموال واستيفاء الضرائب، فيتخذه الموظفون قدوة، إذ يستوفون الضرائب دون أن سجلوها في السجلات وتبقى ديونا على أبناء الشعب"[5].

ويظهر الحالة السائدة في المجتمع، فكانت الرشوة السرقة والنهب والقتل من العادات المنتشرة، يبينها، "لذلك انتشرت الرشوة بين الموظفين، وتدني بعضهم إلى درجات مضحكة... والرشوة سبب من أسباب ضعف الدولة، فالموظف المرتشي يكون ضعيفا خائفا، لا يقدر على تطبيق النظام مما يساعد على انتشار الفوضى، حتى إن الناس لم يكونوا بقادرين على ترك بيوتهم في المدن، دون أن يحملوا معهم ما يفيهم من

[4] عزالدين، يوسف، الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه، مطبعة اسد، بغداد، 1960، ص 13- 14

[5] المرجع السابق، ص 14

أذى اللصوص، وسطوة الناهبين والسالبين. بل تجرأ اللصوص على السلب والسرقة علانية، ولم يكن يمضي يوم دون سرقة أو جرح أو قتل أو سلب"[6].

التحديات التي كانت يواجها العراق في القرن التاسع عشر من الفقر والمرض والجهل، كلها ازداد واستمر حتى في القرن العشرين. ومن بين هذه التحديات الأساسية، كانت قضية سكان العراق بارزة حيث كان معظمهم ينتمون إلى العشائر ويعيشون وفقا لنظام قبلي تقليدي. على الرغم من استقرار هذه العشائر في القرى والأرياف، إلا أنها استمرت في العيش وفقا لتقاليدها القديمة، مثل تمييزها بين الأنساب واتباعها لأنظمة خاصة في القضايا الاجتماعية مثل الزواج والطلاق وديات القتل والثأر.

غالبا ما كانت هذه العشائر تتمتع بدرجة من الاستقلال داخل مجتمعها، ولم تتمكن الحكومة من ممارسة سيطرة فعالة عليها. حاولت الحكومة العثمانية السيطرة عليهم، ولكنها فشلت في تحويل أفرادهم من متمردين إلى مواطنين مسالمين، لأنها لم تقدم لهم الدعم الكافي ولم تسع لضمان طاعتهم واحترامهم للسلطة. لذلك، لم يكن من المستغرب أن كانوا مصدر قلق للحكومة وللبلاد، خاصة مع تسلحهم بأسلحة أفضل من تلك المتاحة للجيش الذي كان يتصدى لحركاتهم.

أما سكان المدن في العراق، فكانوا جماعة مستقرة، حيث كانت بأيديهم مفاتيح التجارة وبعض الصناعات اليدوية التي تلبي احتياجات البلاد. ومن بين هؤلاء السكان، تألقت جماعة المتعلمين الذين شملوا شعراء هذا العصر وعلماء بارعين. بالإضافة إلى القبائل والعشائر، كانت طبقة المماليك والأتراك الذين استلموا مهاما حكومية وقيادة الجيش.

بالنسبة للمرأة في تلك الفترة، كانت غالبا ما تقيد بالحجاب وتحجب في المنزل، وكانت تمنع بشدة الاختلاط بينها وبين الرجل، وكان بعض الرجال يعتبرها عبئا ثقيلا يجب التخلص منه. يصورها بدوي أحمد طبانة، "كانت المرأة الشرقية بعامة، والعربية بخاصة ضحية إهمال شنيع وتقييد فظيع، والرجل آخذ بأسباب

[6] المرجع السابق، ص 14

النهوض، فكان هناك بون شاسع وهوة سحيقة بين الرجل والمرأة، طلب الرجل لنفسه الحرية وكبلها بقيود الاستعباد، وطلب لنفسه العلم وأبقاها تتعثر في دياجير الجهالة .وهكذا بقيت المرأة العربية ترسف في الأغلال، وعطل بذلك نصف الأمة عن العمل، فبقيت رهينة بيتها وقعيدة خدرها، منزوية في كسر بيتها، وحصر همها في تدبير الطعام وتربية الأولاد، فربتهم تربية مشوهة على ما ألفت وعرفت من الأساليب العتيقة البالية"[7].

وكان فرق بين المرأة الريفية والمرأة المدنية، حيث كانت المرأة الريفية سافرة، حافية، تشتغل ليلها ونهارها لتأمين حاجات بيتها، وكثيرا ما تقوم مقام زوجها في الترحيب بالضيوف .أما المرأة في المدينة، فلا تخرج من دارها إلا للضرورة، وقد يساعدها الخدم في إدارة منزلها، وإذا خرجت تحجب بحجاب كثيف، ولا تحادث غير زوجها، وأقاربها من الرجال، وقلما ترى في الطريق العام وحدها[8].

استمرت الحالة هكذا حتى قامت "جماعة من دعاة الإصلاح بإنقاذ المرأة مما تكابد من آلام، وما تعامل به من عنت، داعين إلى السفور وطرح الحجاب، وضرورة تزود المرأة من حياض العلم والمعرفة حتى تعالج أمورها على بصيرة من العلم والفهم، فدعا جماعة منهم إلى إشراكها في سائر تكاليف الحياة، تنهض مع الرجل جنبا إلى جنب بهذه الأعباء وتلك التكاليف..."[9]، ويواصل طبانة "كان من أثر هذه الدعوات الصادقة أن تنبهت المرأة العراقية من غفوتها، وأفاقت من غشيتها، فجلست إلى جانب الرجل في معاهد العلم، وشخصت معه إلى مصادر الثقافة في بلادها وفي خارج بلادها، فتثقفت وأخذت من الحديث ما أضافته إلى زادها الأصلي الذي تزودت منه في ربوع بلادها، فاقتحمت مسالك الحياة، وخاضت غمار العلوم، وعالجت الفنون، محتذية في ذلك حذو الغربيات اللائي ضربن بسهم في مناحي الحياة وشعابها، وقد بلغت في ذلك بعض آمالها ...، وشاركت في بعض الأعمال العامة، فكانت معلمة وطبيبة ومحامية،

[7] طبانة، بدوي. أدب المرأة العراقية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 1974، ص 13

[8] فهمي، ماهر حسن. حركة البعث في الشعر العربي الحديث، مكتبة النهضة المصرية، المصر، ٍ1961، ص 27

[9] طبانة، بدوي. أدب المرأة العراقية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 1974، ص 17- 18

وواست الجرحى واحتضنت المشردين وحنت عليهن، وساهمت في أعمال البر وغير ذلك مما هو في مقدورها وواقع في حدود استطاعتها"[10].

كانت الحالة الصحية في العراق تعاني من التدهور نتيجة إهمال الدولة لشؤون البلاد. لم يكن هناك في بغداد أي طبيب يقدم رعاية صحية للمرضى، مما جعل العراق عرضة لانتشار الأمراض بشكل واسع، بما في ذلك الطاعون الذي انتشر بشكل فتاك وأسفر عن وفيات كبيرة دون وجود أي حماية أو علاج. لم تكن هناك مستشفيات في العراق قبل الحرب العالمية الأولى، ولم تكن هناك كليات طبية أيضا. يقول الدكتور يوسف عز الدين عن الحالة الصحية في العراق، "وقد بقيت حالة العراق متأخرة حتى بعد الحرب العظمى الأولى، فقد بدئ بإنشاء أول مستشفى عام 1928م، وبقيت أكثرية الشعب فترة طويلة تحت سيطرة المشعوذين والدجالين محترفي الطب .وغالبا ما تؤدي معالجتهم إلى عمي العيون وجلد الأبدان وموت المريض .يضاف إلى ذلك كله ما يصفه بعض الشيوخ من ذوي الطرق الذين يداوون المريض بالأدعية والطلاسم والبصق في الماء. ولما انتشر الوعي الطبي أخذت المستشفيات تنشر في ربوع العراق"[11].

كان العراق مركزا حضاريا مهما ومنبعا للعلوم والفنون في العصر العباسي، وكانت الحالة الثقافية والاجتماعية فيه مزدهرة. لكن التغيرات السياسية وبالتالي الاقتصادية، أثرت على الأوضاع الثقافية. حتى كانت الحالة الثقافية في القرن العشرين فترة صعبة، حيث كانت تحظى بأهمية محدودة في العقود الأولى من القرن الماضي، وذلك بشكل رئيسي في المساجد والمدن الرئيسية، ولكن حتى هذه الأماكن كانت تعاني من قيود وتحديات كبيرة. يثبت عز الدين "ولولا عناية رجال الدين في مساجد بغداد والبصرة والموصل والنجف لقضى على اللغة العربية. ولعل أزهى عصر من عصور التعليم هو عصر مدحت باشا، غير أن بارقة الأمل التي لمعت في عصره اندثرت بعد ذهابه من بغداد وبقيت الحال مهملة. حتى أن الحكومة لم ترصد عام 1914م للتعليم مبلغا من المال مع أنها رصدت للجندرمة وللأمن العام، مهملة شؤون التعليم،

[10] المرجع السابق، ص 21- 22

[11] عزالدين، يوسف، الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه، مطبعة اسد، بغداد، 1960، ص 242.

وكأنه شيئ غير ضروري، أو يمكن الاستغناء عنه، ولم تجد المطالبة بالإصلاح بضرورة نشر التعليم فتيلا"[12].

كانت الحالة هكذا حتى الاحتلال البريطاني عام 1918، والفترة بعده شهدت لتحولات سياسية جذرية في العراق وتبعها المجتمع العراقي حيث تعرض لتغيرات بنيوية أساسية. فالاحتلال وما تبعه من العنف أوجد فيهم إحساسا بالتخلف في مناحي الحياة السياسية والثقافية، واندفاعا إلى تجاوز هذا الواقع وتغيير مجراه. "وقد تمثل هذا الاحساس في تعاظم المشاعر الوطنية التي أخذت تتجه إلى الدعوة إلى الاستقلال... "[13]، وتردّد صداها في نشر التوعية العامة الأصلية وتحقيق الحركة العلمية والأدبية.

وقد فتح الاحتلال بابا الى علاقة مباشرة مع الحضارة الغربية والتي ما زالت غير مباشرة قبله، ونتجت عنها نزعة في الجيل الجديد الى التفرنج تدريجيا؛ فشرعوا في تقليد البريطانيين في مآكلهم وملابسهم وعاداتهم حتى في مباذلهم تسليما للهيمنة الثقافية البريطانية. يقول ماهر حسن فهمي، "وكان للدول المستعمرة مصلحة في فرنجة العرب والمسلمين جميعا، وكانت تلك الدعوة تزف إليهم باسم التجديد والمدنية، وهذا هو ما دفع دول الغرب الاستعمارية إلى أن تنفق الأموال على إنشاء المدارس في الشرق وعلى إرسال البعثات .وكانت الدعوة إلى المدنية تجذب نفرا من أهل البلد، وقد يبالغون في دعوتهم إلى نبذ التقاليد الشرقية حتى يجرهم ذلك إلى الاستخفاف بأمر الدين في بعض الأحيان...وهناك فريق يتمسك بتقاليده ودينه ومثله الشرقية، ونادى بأن النهضة لا ينبغي أن تقوم إلا على أساس التمسك بتقاليدنا وديننا"[14].

فهذه السيطرة الثقافية البريطانية إضافة إلى سيطرتها السياسية، تنبّه إليه المخلصون وخاصة الأدباء بذلوا جهودهم في تنبيه الجيل على الاتباع الأعمى؛ تواكبت معها نهضة في تاريخ الأدب العراقي فانطلقت فيه الجدّية والحداثة بكونه عنصرا هاما في تطوير الأفكار الاجتماعية والسياسية. يرى عبد الإله أحمد،

[12] المرجع السابق، ص 17- 18

[13] أحمد، عبد الإله. نشأة القصة وتطورها في العراق. دار الشؤون الثقافية العامة، ط3، 2001، ص 83

[14] فهمي، ماهر حسن. حركة البعث في الشعر العربي الحديث،

الباحث البارز في تاريخ الأدب العراقي، "ولقد كان أقوي المؤثرات التى أسهمت في تغيير اتجاه الأدبي العام واتجاه القصة بالتالي الاحتلال البريطاني العسكري للعراق"[15]. ومما لا ينكر دور المطابع في هذه الترقية الثقافية الحضارية، حيث ازدادت كما ازدادت دور الكتب، وبالتالي سهمت في نشر العديد من الكتب القديمة والجديدة؛ والتي كانت سببا لرفع مستوى العلم والثقافة عن طريق نشر الأفكار والآراء في المقالات والأدب. وفي القرن العشرين، شهد العراق لظهور العديد من المجلات التي لعبت دورا حيويا في إثارة الوعي السياسي وتحفيز الناس على التفكير في الحرية والاستقلال. ومن بين هذه المجلات، يمكن ذكر "الأوقات البصرية"، و"الاستقلال"، و"صدى الإسلام"، و"النهضة"، و"الأمل"، والعديد من غيرها.

فالاحتلال البريطاني وما تبعه من الأحداث والتغيرات في بيئة الثقافية العراقية، أوجد في المجتمع العراقي المشاعر الوطنية، والتي وحدتهم في سبيل الثورة للاستقلال. وقيام المثقفين والأدباء في أداء مسؤوليتهم من توجيه الشعب العامي للحصول على الحرية المطلقة بإبداء الآراء والتفكير عن طريق المقالات والكتب، كان بداية النهضة الثقافية والاجتماعية الحديثة في العراق بعد تراجعه من هيمنة الثقافة والحضارة في العصور الوسطى بعد عصر العباسي. فكان الاحتلال البريطاني وإجراءاته التقدمية، رغم مصالحه السياسية الخاصة، نقطة تحول بالنسبة للعراق في نشوء العراق الحديث وبالتالي في ترقيته في كل النواحي الثقافية والاجتماعية.

الأحوال السياسية

الأحوال السياسية في العراق لم تحظ بالاستقرار والأمن بعد انقراض الخلافة العباسية. بدأت بلاد العراق تصبح ميدانا لصراعات وتغييرات في الحكم والسيطرة. توالت الحكومات والحكام الذين انتموا إلى دول متتالية، ولم يتمكن العراق من تحقيق استقرار دائم. وصارت الأمور أكثر تعقيدا عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى في عام 1914، وشاركت فيها الدولة العثمانية. أصبح العراق مسرحا لحروب دامية

[15] أحمد، عبد الإله. نشأة القصة وتطورها في العراق. دار الشؤون الثقافية العامة، ط3، 2001، ص 82.

حيث تصارعت القوات البريطانية والقوات العثمانية على سيطرته. بريطانيا كانت تهتم بالاستيلاء على بلاد العراق من قبل ذلك بسبب خصب أرضها وموقعها الجغرافي الاستراتيجي، وأهمية وجود آبار نفط غنية في أرضه. هذا الاهتمام بالمصادر الطبيعية والموقع الجغرافي ساهم في تشكيل الأحداث التاريخية في العراق وسياسته الخارجية. وقد أشار إلى هذا رؤوف الواعظ بقوله التالي: "إن من أهم العوامل التي أغرت بريطانيا وشجعتها على بسط نفوذها وسيطرتها على العراق، هو نفطه الغزير. إذ أشار الجيولوجيون منذ منتصف القرن التاسع عشر للميلاد بوجود آبار نفط غزيرة .ولذلك أصبح مطمح أنظار الإنكليز للاستيلاء على نفطه وتغذية أساطيله منه، كما اعتبرت خصوبة أرض العراق ووفرة المواد الغذائية الأولية فيه وإمكان اتخاذه مجالا حيويا لإسكان عدد كبير من الفائضين من سكان الهند وخاصة في جنوبه، من العوامل المهمة التي استهوت إنكلترا فأغرتها على احتلاله"[16].

خلال الحرب العالمية الأولى، قادت الحكومة البريطانية حملة عسكرية إلى العراق بقيادة الجنرال ديلا في عام 1914، بدءا بالاحتلال الناجح لمدينة البصرة. بعد هذا الانتصار، استمرت الحملة لاستهداف بغداد، حيث كانت المرحلة الثانية من الحملة تستهدف السيطرة على الكوت كنقطة مهمة على طريق الوصول إلى بغداد. بفضل تقدم القوات البريطانية واستيلاءها على القرى المحيطة، انسحبت القوات التركية والعثمانية من الكوت، ودخلت القوات البريطانية هذه المدينة في سبتمبر 1914.

بعد التقدم نحو بغداد، واجهت القوات البريطانية معركة كبيرة قرب المدينة، حيث تعرضوا لهزيمة على يد الجيش التركي المدعوم من الحكومة العثمانية. انسحبت القوات البريطانية إلى الكوت وتعرضت للحصار هناك، ورغم المقاومة التي قدمها القائد البريطاني، اضطر في النهاية للاستسلام دون قيود في أبريل 1916 بعد مضي 143 يوما من الحصار. هذه الحملة أسفرت عن خسائر كبيرة للجيش البريطاني وأثرت بشكل كبير على السياسة البريطانية واستراتيجيتها في المنطقة.

[16] رؤوف، الواعظ. معروف الرصافي: حياته وأدبه السياسي دار الكتاب العربي،1961 ، ص 33- 34

وبالرغم من هذه الخسائر الكبيرة، نجحت بريطانيا في تجميع قواتها مجددا وتجهيزها لاستعادة الكوت ومن ثم احتلال بغداد. تولى الجنرال مود قيادة هذه المرحلة الثالثة من الحملة، وبدأ هجمات عسكرية على مواقع الترك بالقرب من الكوت في يناير 1917، وأجبر القوات التركية على الانسحاب إلى العزيزية. واصلت القوات البريطانية مطاردة القوات التركية حتى تم إجبار الأتراك على الانسحاب من بغداد في مارس 1917. بعد هذا الانتصار، بدأت القوات البريطانية في توسيع سيطرتها على مناطق أخرى في العراق بنجاح. وفي نوفمبر 1918، أعلنت الهدنة مما أدى إلى إنهاء الحرب واستسلام الإمبراطورية العثمانية، حتى انتهى الحكم العثماني في العراق[17].

بعد احتلال الجيش البريطاني لبغداد، أذاع الجنرال مود بلاغا على الأهلين، قال فيه،" إن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم بمنزلة أعداء قاهرين، بل منقذين محررين"[18]. وأعقب صدور هذا البلاغ نشر بيانات رسمية من سلطات الحلفاء المدنية، أهمها التصريح الإنكليزي- الفرنسي المؤرخ 8 تشرين الثاني سنة 1918م الذي جاء فيه،" إن الغاية التي نرمي إليها كل من الفرنسة وبريطانية العظمى في خوض غمار الحرب في الشرق من جراء أطماع ألمانية، هي تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت أعباء استعباد الترك تحريرا تاما نهائيا، وإنشاء حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة نفس السكان الوطنيين ومحض اختيارهم"[19].

يثبت عبد الرزاق الحسني، مسلطًا الضوء على الوعود الجذابة التي قدمها الإنجليز، إلى جانب حيلهم وتذللهم أمام الساسة العراقيين وشعبهم. تلك الوعود والتصرفات الاستبدادية من جانب الإنجليز أسهمت في إشعال شرارة الثورة، " لقد خدعت هذه الوعود الساسة والمفكرين لا في العراق فحسب، إنما خدعت أقطاب السياسة عامة في جميع الأقطار العربية التي انسلخت عن الإمبراطورية العثمانية في

[17] الحسني، عبد الرزاق، العراق قديما وحديثا، مطبعة العرفان، صيدا، 1957، ص 33

[18] المرجع السابق، ص 33

[19] المرجع السابق، ص 34

نتيجة هذه الحروب أيضا. وبينما العراقيون ينتظرون تحقيق هذه الوعود، إذا بمجلس الحلفاء الأعلى يفرض الانتداب عليهم للإنكليز في 25 نيسان /إبريل سنة1920م، كما فرض الانتداب على السوريين للفرنسيين. فكان ذلك ضربة قاضية على الآمال الوطنية ونقضا صريحا للعهود الدولية. وعلى أثر ذلك تضافرت جهود العراقيين على المطالبة بحقوقهم المشروعة، وطفقوا يعقدون الاجتماعات السرية والعلنية في بغداد وكربلا والنجف وفي الموصل وغيرها من أمهات المدن العراقية لهذا الغرض. وسرعان ما تطورت هذه المطالبة إلى ثورة مسلحة امتدت من الرميثة 30 حزيزان /يونيو سنة 1920م إلى لواء ديالي، ثم إلى معظم أنحاء الفرات، سارية سريان النار في الهشيم. واستمرت ستة أشهر، فكبدت السلطة المحتلة والثوار المطالبين باستقلال البلاد خسائر فادحة في الأموال وفي الأنفس"[20].

بعد الحرب العالمية الأولى، أن بريطانيا واجهت تحديات في تحديد سياستها في العراق. هناك تأثرت بين مدرستين فكريتين: المدرسة الهندية التي أيدت السيطرة المباشرة لحماية المصالح البريطانية في المنطقة، والمدرسة التي ركزت على السيطرة غير المباشرة بهدف استرضاء القوميين العرب. في العراق، كانت هناك انقسامات داخل السلطات البريطانية بشأن هذه القضية، مع دعوات للسيطرة المباشرة وأخرى للسيطرة غير المباشرة. ظلت بريطانيا مترددة بشأن السياسة التي يجب تبنيها في العراق بعد تغير الأوضاع في العالم العربي عام 1920[21].

في أوائل عام 1920، بعد الثورة العربية وانتهاء الحرب العالمية الأولى، قام الأمير فيصل الأول بتأسيس حكومة عربية في دمشق وتولى العرش كملك على سوريا. في الوقت نفسه، تجمعت مجموعة من القوميين العراقيين في دمشق لتنصيب الأمير عبد الله، شقيق فيصل، كملك للعراق. انتشرت الاضطرابات الوطنية في العراق مع تأثير الأحداث في سوريا، وامتدت الثورة في الصيف إلى مناطق مختلفة من البلاد، باستثناء

[20] الحسني، عبد الرزاق، العراق قديما وحديثا، مطبعة العرفان، صيدا، 1957، ص 34

[21] Kennedy, Hugh , Khadduri, Majid , Blake, Gerald Henry , Chambers, Richard L. and Woods, John E.. "Iraq". Encyclopedia Britannica, 12 Oct. 2018, https://www.britannica.com/place/Iraq

المدن الكبرى التي كانت تسيطر عليها القوات البريطانية. في يوليو 1920، دخل فيصل في صراع مع السلطات الفرنسية في سوريا، وبناء على توجيهات القوميين، رفض مطالب الفرنسيين وأُجبر على مغادرة سوريا. وفيما بعد ذهب إلى لندن للشكوى من التصرف الفرنسي.

وعلى الرغم من قمع الثورة في العراق بالقوة، إلا أنها دفعت العراق وبريطانيا العظمى إلى تسوية خلافاتهما. في بريطانيا كان الرأي العام الخروج من العراق، بينما في العراق كان القوميون يطالبون بالاستقلال. وفي عام 1921 عرضت بريطانيا العرش العراقي على فيصل مع تشكيل حكومة عربية تحت الانتداب البريطاني. كان فيصل يريد العرش إذا عرضه عليه الشعب العراقي. واقترح استبدال الولاية بمعاهدة تحالف. وقد قبلت الحكومة البريطانية هذه المقترحات، ووعد وزير المستعمرات ونستون تشرشل (WinstonChurchill) بتنفيذها. وقد نصحه تي.إي. لورنس (T.E. Lawrence)، المعروف بتعاطفه مع العرب. وفي يوليو 1921 أصدرت الحكومة المؤقتة التي شكلها السير بيرسي كوكس (Sir Percy Cox)، المفوض السامي للعراق، قرارا بإعلان فيصل ملكا على العراق، وأكد الاستفتاء العام هذا الإعلان، وتم تتويج فيصل ملكا رسميا في 23 أغسطس. إن تأسيس النظام الملكي هو الخطوة الأولى في تأسيس النظام الوطني. وتبع ذلك على الفور خطوتان أخريان: التوقيع على معاهدة التحالف مع بريطانيا العظمى وصياغة الدستور. تم التوقيع على المعاهدة في 10 أكتوبر 1922. وتعهد العراق باحترام الحرية الدينية والمؤسسات التبشيرية وحقوق الأجانب، ومعاملة جميع الدول على قدم المساواة، والتعاون مع عصبة الأمم. كانت بريطانيا ملزمة بتقديم المشورة في الشؤون الخارجية والداخلية، مثل المسائل العسكرية والقضائية والمالية[22].

وفي عام 1932، نال العراق استقلاله وانضم إلى عصبة الأمم. ومع ذلك، تميزت هذه الفترة بعدم الاستقرار السياسي والصراع على السلطة بين قادة العراق. واجهت البلاد انقساما داخليا، مع حوادث

[22] المرجع السابق

مثل الانتفاضة الآشورية عام 1933 وتنافس زعماء المعارضة على النفوذ. كان المشهد السياسي يفتقر إلى الأحزاب المنظمة، مما أدى إلى أساليب خارجة عن الدستور، بما في ذلك الهجمات الصحفية، والانتفاضات القبلية، والتدخلات العسكرية لفرض تغييرات حكومية. وقع أول انقلاب عسكري في عام 1936، بدأه اللواء بكر صدقي وقاده حكمت سليمان، مما عزز دور الجيش في السياسة. وعلى الرغم من الاضطرابات السياسية، شهد العراق بعض التقدم المادي، بما في ذلك تطوير موارد النفط ومشاريع البنية التحتية، لكن حالة عدم الاستقرار المستمرة طغت عليه. انتهى عهد الملك غازي عام 1939 عندما قُتل في حادث سيارة، وتولى ابنه الصغير فيصل الثاني العرش، وكان الأمير عبد الإله وصيا على العرش لمدة 14 عاما.

فيصل بن غازي تولى العرش العراقي باسم فيصل الثاني في عام 1939، واستمر في هذا المنصب حتى عام 1953. هذه الفترة من 1939 حتى اعتلاء الملك فيصل الثاني للعرش في مايو 1953، شهدت انقساما سياسيا في العراق بين التيار القومي العربي والتيار المرتبط ببريطانيا والمتبع لسياستها في المنطقة العربية. في تلك الفترة، كان الأمير عبد الإله هو السلطة الفعلية في البلاد بالتعاون مع نوري السعيد، وكانوا يسيطرون على مقدرات العراق بينما العرش كان شاغرا. تعكس هذه الفترة الصراع السياسي والتوتر الدائم بين القوى الداخلية والتدخلات الخارجية في الشؤون العراقية، وتمثل فترة هامة في تاريخ العراق حيث كان العرش يعتبر رمزا لوحدة الدولة ودورها في الساحة العربية [23].

خلال الحرب العالمية الثانية، شهد العراق تحولا نحو العناصر السياسية الليبرالية والمعتدلة، متأثراً جزئياً بدعم الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي للحريات الديمقراطية. لقد عانى السكان من النقص والقيود في زمن الحرب على أمل أن تؤدي حقبة ما بعد الحرب إلى تحسين الظروف المعيشية. ومع ذلك، فشلت الحكومة في الاستجابة لتطلعات الشعب، واستمرت الأنظمة في زمن الحرب. في عام 1945، دعا

[23] لطيف عبد الحسين الكناني، سقوط النظام السياسي في العراق، دمشق 1999، ص 85

الوصي عبد الإله إلى اجتماع قادة البلاد، داعيًا إلى نظام برلماني حقيقي، وتشكيل الأحزاب السياسية، والإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية. وبينما كانت ردود الفعل الأولية إيجابية، قاومت النخبة السياسية الأكبر سنا هذه التغييرات، مما أدى إلى عدم الاستقرار السياسي والتغييرات الحكومية. وفي عام 1948، تسببت معاهدة جديدة مع بريطانيا في إثارة ضجة عامة، مما أدى إلى احتجاجات واسعة النطاق ورفض المعاهدة. استمر الصراع على السلطة بين القادة الليبراليين الأصغر سنا والطبقة السياسية الأكبر سنا، وبلغ ذروته بسقوط النظام الملكي في عام 1958. وعلى الرغم من الاضطرابات السياسية، حقق العراق تقدما ماديا خلال الخمسينيات بسبب اتفاق النفط المحسن وتأسيس حكومة التنمية. المجلس، على الرغم من أن هذه التطورات قوبلت بالنقد والمعارضة.

في عام 1958، شهدت العراق ولادة جمهوريته بعد ثورة أطاحت بالنظام الملكي. جيل الشباب، الذي لم يكن راضيا عن النظام الملكي وعجزه عن إحداث التقدم وإلهام الثقة العامة، سعى إلى قيادة مستنيرة. مجموعة من الضباط العسكريين الشبان المعروفة بالضباط الأحرار بقيادة عبد الكريم قاسم بدأت في تنظيم ووضع الخطط الثورية. في 14 يوليو 1958، تمكنت القوى الثورية، بقيادة قاسم، من السيطرة على بغداد والإطاحة بالنظام الملكي، معلنةً قيام جمهورية العراق. تم تنفيذ حكم الإعدام بحق أعضاء بارزين من الأسرة الملكية ونوري السعيد. تولى قاسم السلطة وشكل حكومته، وأصبح قائدًا للقوى الوطنية. ظهرت صراعات داخل صفوف الضباط، حيث دعا عارف إلى الوحدة العربية والاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة، بينما أكد قاسم على هوية العراق المتميزة ووحدته الداخلية. بحلول عام 1963، تضاءلت قوة قاسم بسبب العزلة الداخلية والخارجية. أدى تمرد قاده فصيل من الجيش وحزب البعث العربي الاشتراكي إلى انهيار النظام، مما أدى إلى إعدام قاسم.

بعد أن تولى عبد السلام عارف السلطة عام 1963، ذهب حزب البعث إلى العمل السري وبدأ تغييرات مهمة في قيادته واستراتيجيته بهدف استعادة السلطة. لعب صدام حسين، بالعمل جنباً إلى جنب مع

البكر، دورا حاسما في حشد الدعم المدني لحزب البعث. أدت محاولة انقلاب سابقة لأوانها في سبتمبر 1964 إلى سجن قادة البعث الرئيسيين، بما في ذلك البكر وصدام. أطلق سراح البكر عام 1965 بسبب المرض، وتمكن صدام من الفرار من الاعتقال عام 1966.

في يوليو 1968، سيطر حزب البعث على العراق، وأطاح بالحكومة السابقة بسبب الفساد الملحوظ، والفشل في معالجة القضايا الكردية، والتحالف مع مصر. واجه نظام البعث في البداية صراعات على القيادة لكنه عزز سلطته تدريجياً في عهد الرئيس البكر، مع ظهور نائب الرئيس صدام حسين كشخصية رئيسية. وتصدت الحكومة للاضطرابات الكردية ومحاولات الانقلاب، وعززت التحالفات السياسية وتوصلت إلى اتفاقات لمعالجة هذه القضايا، بما في ذلك اتفاق عام 1970 بشأن الحكم الذاتي الكردي. وقد أدت التوترات مع إيران بشأن النزاعات الإقليمية إلى تعقيد هذه الجهود. كما عزز العراق العلاقات مع الاتحاد السوفييتي وتم إنشاء الجبهة الوطنية التقدمية لتوسيع الدعم السياسي. ومع ذلك، نمت المعارضة الداخلية، مما أدى إلى قمع الشيوعيين، وترسيخ سيطرة البعث مع معارضة محدودة داخل الجبهة الوطنية التقدمية.

في نهاية السبعينيات، تولى صدام حسين القوة الدافعة وراء الرئيس البكر في العراق من خلال قيادته لجهاز الأمن الداخلي وقضاء المعارضة الداخلية. استخدم صدام الروابط القرابة والقمع لتعزيز سيطرته والحفاظ على ولاء الأفراد. بينما كان من المتوقع أن يخلف البكر كرئيس، إلا أن ذلك تأخر بسبب الأحداث الإقليمية، مثل معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ودعوة الرئيس السوري للاتحاد مع العراق. تصاعدت التوترات بين العراق وسوريا بسبب تباين الآراء بشأن العلاقات العربية والثورة الإسلامية في إيران. صعد صدام إلى السلطة بعد إجباره للبكر على الاستقالة، وأجرى حملة تطهير ضد منافسيه، مما أدى إلى تدهور العلاقات السورية العراقية وقطع العلاقات الدبلوماسية وإغلاق الحدود بين البلدين[24].

[24] سهيل، محمّد طقّوش. تاريخ العراق الحديث والمعاصر. دار النفائس، بيروت، 2015

بعد الثورة الإيرانية في عام 1979، تصاعدت التوترات بين العراق وإيران. القيادة العراقية تخشى التأثير المتزايد للشيعة داخل حزب البعث والروابط الدينية بين الشيعة العراقيين وإيران. الثورة الإيرانية ألهمت النشاط السياسي الشيعي في العراق، مما أدى إلى مظاهرات وأعمال عصابات تم قمعها بقسوة. تصاعدت التوترات بعد محاولة اغتيال شيعية ضد وزير خارجية العراق وانتهت بغزو العراق لإيران في 1980، مما أدى إلى حرب مدمرة استمرت لسنوات. بفضل الدعم العسكري والدعم الدولي، تمكن العراق من الخروج بيد عليا، وقبلت الدولتان قرار الأمم المتحدة لوقف إطلاق النار في عام 1988. ومع ذلك، استمرت التوترات بينهما بسبب النزاعات الحدودية ودعم الجماعات المعارضة.

غزو العراق للكويت في عام 1990 أدى إلى إصدار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة للقرار 660، الذي أدان الغزو وطالب بانسحاب العراق دون شروط. شكل تحالف دولي بقيادة الولايات المتحدة مع 28 دولة أخرى لفرض عقوبات واستعادة الكويت. بدأت العمليات الجوية في يناير 1991، وتبعها هجوم بري في فبراير، أسفر عن السقوط السريع للجيش العراقي ووقف إطلاق النار الذي أجبر العراق على الانسحاب من الكويت. رغم الدمار الهائل، أثرت العمليات على السكان الشيعة والأكراد، وسجّلت محاولات انقلاب ضد نظام صدام حسين. بعد هجمات 11 سبتمبر، تغيّر تركيز الولايات المتحدة نحو العراق بسبب المخاوف من أسلحة دمار شامل ودعم الإرهاب، وشنت حربًا في مارس 2003، أطاحت بصدام حسين، لكن العراق شهد تمردًا وحرب عصابات مع مرور الوقت.

كان عهد صدام حسين بمثابة فصل مضطرب في تاريخ العراق الحديث. وبعد الإطاحة به، استمرت تحديات إعادة بناء العراق والتعامل مع التمرد في تشكيل مسار البلاد. شهد أوائل القرن الحادي والعشرين جهودا لإنشاء عراق أكثر ديمقراطية، لكن الصراع الطائفي والتأثيرات الأجنبية والمخاوف الأمنية المستمرة ظلت قضايا مهمة، مما يؤكد الطبيعة المعقدة والمتعددة الأوجه لتاريخ العراق المعاصر.

الفصل الثاني

نشأة الرواية وتطورها في العراق

كانت بيئة الأدب العراقي تجري على هيمنة الشعر من نوعي الأدب المهمّين الشعر والنثر في أوائل القرن المنصرم كما يثبت حمدي السكوت[25] "والواقع أنه لا الروائيون ولا القصاصون العراقيون قد استطاعوا أن يفرضوا نتاجاتهم على انتباه القراء العرب - على الأقل خارج العراق - على النحو الذي فعله زملاؤهم العظام، "الجواهرى" و"السياب" و"البياتى" و"النازك الملائكة" مثلا في ميدان الشعر"[26].

قد ازدادت أهمية النثر منذ حوالي الحرب العالمية الأولى، بعد سقوط الخلافة العثمانية واستعمار البريطانيين للعراق. والرواية، من أنواع النثر، قد جاءت إلى الكيان آخر العشرينات في القرن الماضي بعد ان قطعت مراحلة مختلفة من المقالة الاجتماعية الاصلاحية والقصة إلى ان تحولت رواية معاصرة بمفهومها الحديثي وعناصرها الفنية. و"الرواية الايقاظية" لسليمان فيضي المنشورة سنة 1919، والتى وصفها هو نفسه "رواية أدبية انتقادية أخلاقية فكاهية..."[27] لم تكن رواية بمفهومها الحديث؛ بل كانت تطويرا للنمط القصصي البدائي قبل الحرب العالمية الأولى، و"... خلت من كثير من مقومات القصة، واختلطت إلى حد كبير بالمسرحية النثرية..."[28]، لذا اعتبرها الباحثون مثل جميل سعيد من العمل المسرحي. فالرواية "جلال خالد" المنشورة سنة 1928 لمحمود أحمد السيد، تعتبر أول رواية وضعت الأساس للرواية العراقية الحديثة رغم كونها غير مستوعبة لجميع عناصر الرواية الفنية.

وتعتبر رواية "النخلة والجيران" المنشورة سنة 1966 لغائب طعمة فرمان، أول رواية عراقية فنية. والفترة بينهما فترة تشكيلية للرواية العراقية، وشهدت لروايات معدودة مثل "مجنونان" و"الدكتور إبراهيم"

---

[25] حمدي سيد أحمد السكّوت (Hamdi Sakkut) مفكر وكاتب مصري، وقد حصل على درجة الدكتوراه من جامعة كامبريدج سنة 1965م، وكان أستاذا للأدب العربي الحديث إضافة إلى كونه مديراً لوحدة البحث العلمي ومركز الدراسات العربية في الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

[26] السكوت، حمدى. الرواية العربية ببليوجرافيا ومدخل نقدي، قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، القاهرة، 2000، ص 161.

[27] احمد، عبد الآله. نشأة القصة وتطورها في العراق 1908 - 1939، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002، ص 61.

[28] نفس المرجع، ص 61

و"اليد والأرض والماء". وهذه الروايات الثلاثة، مع كونها غير ناضجة فنيا، يعدّها الباحثون ذات أهمية في هذه المرحلة؛ كما يعتبرون مؤلّفيها محمود أحمد السيد وعبد الحق فاضل وذو النون أيوب روّاد الرواية في العراق . لذا يريد الباحث للقيام بتسليط الضوء على هؤلاء الروّاد ورواياتهم المذكورة بتلخيصها وتحليلها في إطار مفهوم الحياة الاجتماعية.

محمود أحمد السيد

محمود أحمد السيد روائي وصحفي ومترجم عراقي، يعتبر رائد الرواية العربية الحديثة في العراق. إنه ولد في بغداد سنة 1903 في عائلة دينية، وكان أبوه مدرسا بجامع الحيدرخانة وإماما لجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وكان جدّه أيضا من رجال الدين. وقد درس في المدرسة السلطانية العثمانية وتخرّج منها سنة 1918. "ثم دخل مدسة الهندسة وتحول عنها إلى مدرسة المعلمين، وشهد تغير الزي في المدرسة، شهد القبعة الإفرنجية التى اعتقد بأن لبسها حرام..."[29]. وسافر إلى الهند سنة 1919 بعد أن ترك وظيفته في دائرة الريّ ومكث هنا سنة واحدة حتى عاد إلى العراق سنة 1920وأخذ بالكتابة. إنه قدّم تراثا ضخما لا للأدب العراقي فحسب بل للغة العربية أيضا في فترة قصيرة قبل ان توفي اليوم العاشر من شهر كانون الأول 1937.

بدأ السيد الكتابة الأدبية حوالي الحرب العالمية الأولى واحتلال البريطانيين للعراق، فاختار أولا منهج المغامرة والرومانسية وقدم ثلاث تأليفات في هذه الفترة؛ وهي "في سبيل الزواج" عام 1921، و"مصير الضعفاء" و"النكبات" عام 1922؛ أوليان منها قصة والأخيرة هي مجموعة من القصص القصيرة. ثم توجه إلى كتابة مقالات اجتماعية وفكرية في الجرائد والمجلات، وتنحّى عن كتابة القصة. والمقالات المنشورة في هذه الفترة لتوعية المجتمع واصلاحه و للبثّ فيهم الأفكار التقدمية للاستقلال.

[29] سعيد، جميل. نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق (ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية)، معهد الدراسات الأدبية العالية، جامعة الدول العربية، 1954، ص 8

والوقت الوافر في الفترة التى استنكف فيها عن كتابة القصة، وبراعته في اللغة التركية سنحت له فرصة للتعرف على الأدب التركي والأعمال الأدبية المترجمة من الروسية إلى التركية. هذه التجربة غيرت مفهومه عن الأدب القصصي، وساعدته لإدراك المقومات الفنية والاتجاهات الحقيقية للقصص؛ حتى انبثقت فيه نزعة للعودة إلى كتابة القصة مرة ثانية.

كانت نتيجة تأثره بهذا الأدب ميوله إلى الحرية، وإلى هدم التقاليد التى تمثلت عرقلة أمام مجتمعه عن التقدم. فقام أولا بتحريض الأدباء على تقديم هذا النوع من الأدب إلى بيئة العراق من خلال مقالاته. كتب في مقالته المعنونة "نزعة من نزعات الأدب القصصي التركي" المنشورة في 'الاستقلال' سنة 1927 ((إني أرى من واجب الأدباء عندنا- تمهيدا لادخال القصة والأقصوصة في أدبنا- ان يعرضوا علينا بواسطة النقل والتلخيص والتحليل نماذج مما شاع وانتشر منها في الآداب الشرقية من روسية ويابانية وصينية وتركية. فإنها تتفق أذواقنا ولا يكون بعيدة عن نفسياتنا...))[30]. وحاول لتقديم القصة إلى بيئة الأدب العراقي على شكل موجود في الأدب العالمي؛ إضافة إلى دعوته الكتاب المعاصرين في العراق، قام هو نفسه بالنقل والتلخيص ما رآه مهما في الأدب التركي والروسي وعرضه على المجتمع العراقي.

ساعدت علاقته بالأدب العالمي ومحاولته لتحليله على تعرّف بغاية الأدب بكونها تصويرا للحياة الشعبية كما في الواقع بحيث يلفت أنظار المصلحين، حتى تابع المنهج الواقعي في أعماله الأدبية التالية. فنتاجاته القصصية في الطور الثانى من حياته الأدبية تلوّنت بالواقعية؛ وصار مدار قصصه حياته هو، والبسطاء من الناس همومهم وتطلعاتهم. والمرحلة الثانية من إسهماته الأدبية دشّنتها روايته القصيرة 'جلال خالد' عام 1928، وتبعتها 'الطلائع' عام 1929 و'في ساع من الزمن' عام 1935؛ وهي "وثيقة مهمة لفترة مضت من تاريخ العراق الحديث"[31].

[30] نفس المرجع، ص 9

[31] نفس المرجع، ص 10

رواية "جلال خالد"

إن رواية جلال خالد يراها السيد قصة موجزة و يثبت نفسه في مقدمتها "وتصلح هذه القصة الموجزة التي اشبه شيئ بالحديث (نوفل) لان تكون أساسا لقصة مطولة وافية (رومان)..."[32]؛ وهي حقيقية كما يأكّدها بنفسه في المقدمة. استند في كتابتها إلى مذكرات صاحبه جلال خالد الخاصة، والمراسلات بين الخالد وأصحابه في فترة بين 1919 و 20 عن العراق الراهن وضرورية الثورة للاستقلال، وأحاديث الكاتب الهندوي ف. سموامي الاشتراكي الثوري الذي لقيه جلال بكلكته كما لقيه المؤلف أيضا فيما بعد. هذه الملاقاة هي التي غيرت مسير أفكار الخالد ووسعت أفقه الفكرية وأعادت تشكيل مفهومه الوطني من الإطار الضيق إلى مفهوم إنساني واسع. وإن المذكرات والأحديث التى استندها في تشكيل هذه الرواية جرت قبيل الثورة العشرين؛ لكن لها أهمية كبرى حيث إنها أيضا تقوم تحريضا للثورة الثانية للاستقلال المطلقة.

هذه الرواية منقسمة إلى القسمين، فالقسم الأول يتحدث فيه عن شاب عراقي اسمه "جلال خالد" الذي لم يقدر الصبر على الهوان الذي واجهه بلاده بعد ان احتله البريطانيون، فعزم على مغادرة العراق حتى سافر إلى الهند، والتي كانت أيضا تحت حكم البريطاني، والتقى هنا صحفيا هنديا من الثوريين الاشتراكيين الذي تلقى منه الأفكار عن الثورة، ويتمّ بعودته إلى العراق وإجتماعه مع صاحبيه 'أحمد مجاهد' و 'ك.س' ووصول رسالتين من الكاتب الهندي وبيان تأثيرهما عليه. أما القسم الثاني من الرواية فهو مجموعة من الرسائل، تبادلها جلال خالد مع صديقيه؛ وهي تفصح عن رغبة الأصدقاء الثلاثة لبثّ أفكارهم الثورية لتغير الواقع الاجتماعي في العراق.

وفي مطلع القصة يرى البطل، جلال خالد، راكبا الباخرة من فرضة البصرة إلى بومبي في أصيل اليوم السابع من مارس 1919؛ وهو طالب في العشرين من عمره من عائلة غنية، وكان "راضيا بالسفر رضى

[32] السيد، محمو أحمد. المقدمة في جلال خالد. الأعمال الكاملة لمحمود أحمد السيد، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، 1978، ص 274.

تشوبه اللذة، لذة الحرة، فهو سيد نفسه، يمتلك زمام إرادته، ويخرج عن بلدته الذاهلة السكرى، تحتلها الجيوش"[33] . في البداية يبيّن المؤلف إطار الزمان والمكان، ومظهر البطل، ومجرى أفكاره، كلها بدقة وترتيب موظفا تقنية السرد بضمير الشخص الثالث مباشرا؛ كما يلمح إلى تدينه وتعصبه بشكل غير مباشر أثناء سرده عن خلو حب البطل ل'سارة'[34] من الأمل لأنه مسلم وأنها من أسرة يهودية.

قضى جلال خالد سنة وبعض شهر في بومبي متحيرا ببون بين الأغنياء والشعب الفقراء رغم ما فيها من الثروة الهائلة التي تملأ خزائن الشركات الأجنبية والتجار الأجانب والهنود. ثمّ غادرها ووصل إلى كلكته التى وجدها أيضا مماثلة لبومبي في الغنى والفقر. وشاهد فيها اضرابا من قبل العمال مطالبين زيادة الأجور، والذي اسكته الشرطة بالعنف؛ قد أثرت هذه المشاهدة في قلبه تأثيرا عميقا. ولقي في الفندق الذي كان يسكنه بها كاتبا هندويا اسمه 'ف. سوامى' وكان يكتب في إحدى الصحف الثورية والتى كانت في رعاية 'تيلاك' الزعيم العظيم وأستاذ 'غاندي' . خاض الكاتب في الحديث عن شؤون الهند والشعوب الشرقية المستعمرة المظلومة، وكان له وقع في قلب خالد الذي تلتهب شعلة الوطنية بين أحنائه، والذي يتململ بين الوطنية والإنسانية لكن يغلبهما كبرياؤه وإنزواؤه. وأدرك الكاتب أن الخالد له آمال يحسبها غير محققة، وأنه متشائم بسبب عجزه لمساعدة الضعفاء البائسين في مجتمعه، كما أنه رجل متدين ومتعصب لابتعاده عن مشاهدة رقص في الفندق لاستحرامه فقط، ولتجنّبه عن تناول النبيذ.

الكاتب الهندي وخالد العراقي، يجمعهما شيئ واحد وهو أن البريطانيين يستعمرونهما في آن واحد، بيد أنهما يأخذان بوجهة نظر مختلفة. إن الكاتب الذي يمثّل الهندي المثقف يؤمن أن الثورة هي الوسيلة للنهضة واليقظة ويقوم لتحقيقها بتحريض العمال تدريجيا على الاضراب، بينما خالد العراقي المهذّب يغادر وطنه تخلصا عن عار الاحتلال بدلا من توعية الشعب وتشجيعهم على الاتحاد والانسجام لطرد المحتلّين. إن ادعاء خالد، بأنه لم يشاهد اضرابا في وطنه بسبب قناعة الفلاحين الجائعين ولعدم العمال،

[33] نفس المرجع، ص 278

[34] فتاة من أسرة يهودية ركبت معه الباخرة من البصرة.

ينكره الكاتب بل يعلّقه بعقيدة المسلمين وذلك "أن القناعة كنز لا يفنى وأن الرضى بالرزق المقسوم واجب". واردفه "ولكن (الهندو) هنا اكثر منهم قناعة واكتفاء بالرزق القليل"[35] يشير به إلى قناعة الشعب بحقارة العيش مادام متابعا لتقاليد الدين ولم يحرّره المثقفون منها كما في الهند، ويلمح إلى تعطل المثقفين في العراق عن القيام بعهدتها والتى لم ينتبه إليها خالد بعد. والكاتب يتبنّى كلمتين 'الشعب' المتدين الأكثرية و'الطبقة المستنيرة' الأقلية التي تحارب ثقافة الدين، للتفريق بين المثقف الذي يقوم للحرية والحياة الصحيحة، وغيرالمثقف الذي هو مقيّد بتقاليد الدين وتعاليم القرون الأولى.

إن الكاتب، وهو ينتمى إلى الطبقة المستنيرة بالنسبة إليه، يقول لخالد "تجدنا نحن المتعلمين علوم أوربة، حاملين في رؤوسنا خلاصة ثقافة العصر الحديث، طلاب الاستقلال للهند، الحياة الحرة الهانئة لشعبنا والشعوب الشرقية المظلومة كلها، تجدنا متخلفين عن هذا الدين، نحارب ثقافته: الأفيون، العلة الوحيدة لخنوعنا وذلتنا واستعبادنا"[36]، ويحاول لإقناعه بأن الدين هو العرقلة الكبرى أمام التقدم، وأن تدينه هو الذي يصده عن أداء مسؤوليته رغم كونه مثقفا.

ويرى الكاتب أن الدين، فوق قتله الرغبة في الحياة، يمنع الاتحاد بين الهنود والمسلمين، "وأن الاتحاد قوة والتفرق ضعف والضعيف لا حق له ولا استقلال"[37]؛ ويبرهن على رأيه بما يقع بين المسليمن والهندو من المذابح لأجل بقر الذى يراه الهندو مقدسا لكن ينحره المسلم للتناول. قد طرحت هذه الملاحظة في فكر خالد سؤالا عن حقيقة الدين.

إن صحبة خالد مع الكاتب الهندي، ومحالة الأخير لتعريف الأول بالمثقفين الهنديين الذين يتحدون لهدف واحد، وهو الاستقلال، رغم دعمهم وجهة مختلفة من الدين، افصحت أمامه ضرورية اضطلاع المهذبين بمسؤولية قيادة الشعب وتسخير قوة الاتحاد للوصول إلى الغاية. إضافة إلى ذلك، أن المحاضرة التي

[35] السيد، محمو أحمد. المقدمة في جلال خالد. الأعمال الكاملة لمحمود أحمد السيد، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، 1978، ص 283.

[36] نفس المرجع، ص 290

[37] نفس المرجع، ص 291

عقدت في نادي الطلبة عن الأدب التركي واثبات المحاضر أن نهضة الأدب التركي هي التى خلقت الروح الوطنية في الشعب، وهي التى هيأت الأفكار للتجدد، وقعت في نفسه موقعا حسنا؛ كما فتحت المحاضرات عن الأدب الروسي والفرنسي والألمانى أمامه بابا جديدا "فخرج خالد من النادي وقد برق أمامه نور المعرفة الحديثة الصالحة فرأى أفق الحياة متسعا، وأدرك أنه كان في مثل ظلمة، لا يرى لها إلا أفقا ضيقا كإطار الصورة"[38]؛ وبعثت فيه حماسة لم يمارسها من قبل فعزم على دراسة الأدب والفلسفة بعد وصوله إلى العراق.

إنه رجع إلى العراق وهو يحفظ شعلة الحماسة متقدة، ووصل فرضة البصرة في 25 تموز 1920. وحاول لتوعية الشعب على قوة الاتحاد، فخطب مرة أو مرتين في إحدى جوامع بغداد مشجعا على التآلف والتآزر ومظهرا حماسته التى أخذها من الهند. يفرغ المؤلف من الجزء الأول مبينا اجتماع خالد مع صاحبيه في دراه ومشاطرته معهما تجربته مع الكاتب وآراءه التي تخالف ثقافته العراقية القديمة وتدينه وتعصبه، وثناءه عليه حسنا، وقمّة سعادته معه، فخالد يقول لهما "أنه يحفظ في قلبه أجمل الذكرى، وأنه يتمنى ان يزور الهند مرة ثانية، فيلقاه"[39]. تكشف رغبته لملاقاة الكاتب الهندي مرة ثانية، رغم تمسكه المبادئ المختلفة تماما لعقيدته ودينه، عن مدى تأثره به وانجذابه إليه.

وهناك تشابه أساسية بين البطل جلال خالد والمؤلف محمود أحمد السيد في عدة أوجه منذ نشوئهما في بيئة دينية إلى تزامن جولتهما في الهند وموقفهما الإشتراكية بعد الرجوع حتى يمكن ان ترى رواية جلال خالد شبه سيرة ذاتية لمحمود أحمد السيد ان لم تكن بأسرها، كما يرى جميل السعيد "وهو حين يتحدث عن 'جلال خالد' إنما يتحدث عن نفسه أيضا"[40]؛ إضافة إلى ما يثبته السيّد نفسه في مقدمتها "فقد قدر لي ان أزور الهند كما زارها صاحبي جلال، وان أعرف صاحبه سوامي كما عرفه، وان أصاحبه وأجالسه

[38] نفس المرجع، ص 307

[39] نفس المرجع، ص 315

[40] سعيد، جميل. نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق (ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية)، معهد الدراسات الأدبية العالية، جامعة الدول العربية، 1954، ص 14

وأحاوره كما صاحبه وجالسه وحاوره..."[41]. وقد حدثت زيارته في فترة تكوينية بالنسبة إلى أفكاره، ربما شبابه وسذاجته هذه التى ساعدت سوامي ليجذبه إلى موقفه ويثير الشكوك في ذهنه عن حقيقة الدين، كما أنه تسبّب لتغيير رأيه عن الأدب بواسطة تمهيده الطريق للمشاركة في الندوة عن الأدب الحديث. فمما لا منارعة فيه، أن رأي سوامي وموقفه قد نثر ذرر الشعبية والواقعية في ذهن السيد وان تأخر نموها حتى ظهور رواية جلال خالد التي شقّت طريقا جديدا في تاريخ الأدب العراقي.

ذو النون أيوب

ولد ذو النون أيوب في محافظة الموصل في العراق عام 1908. أكمل دراسته الابتدائية بمحافظة الموصل في المدرسة الإسلامية وأنهى دراسته الثانوية في مدرسة الحكومة الرسمية، ثم أكمل دراسته الجامعية في دار المعلمين العالية في بغداد وتخرج منها عام 1928 مدرسًا للرياضيات والعلوم الطبيعية، وعمل مدرسًا في المدارس الثانوية و مديرًا لبعض المدارس في عدد من مدن العراق. كتب القصة والرواية في العراق منذ أواسط الثلاثينيات؛ فنشر أول قصة له تحت عنوان "صديقي" في صحيفة (الطريق) في 25 يونيو 1935. وشارك في تحرير مجلة (العصر الحديث)، ومجلة (المجلة) في ثلاثينيات القرن الماضي ثم أصبح رئيسًا لتحريرها في الأربعينيات. أصدر صحيفة "إلى الأمام" وتحامل فيها على رفاقه في جريدة "الشرارة" لسان حال الحزب الشيوعى العراقي، وبعد أعداد قليلة منها، تم القاء القبض عليه، ثم أطلق سراحه بعد بضعة أيام. تولى مناصب مهمة منها منصب عميد معهد الفنون الجميلة بالعراق ومدير عام في وزارة الإرشاد (الإعلام) عام 1959. عمل ملحقًا صحفيًا في براغ بعد ثورة 1958 وتعرف على زوجته هناك. مارس الترجمة وترجم هو والدكتور أكرم فاضل رواية "الأبناء والبنون" لتورجنيف، وترجم عن الألمانية "أسد الفلاندرز"، إلي جانب عدد كبير من القصص القصيرة لأبرز كتّاب العالم. شكى خلال حياته من إهمال النقاد العراقيين، ومحاربة بعضهم له. سافر إلي النمسا، ومكث هناك حتي قيام ثورة 14 تموز حيث عاد إلي

[41] السيد، محمو أحمد. المقدمة في جلال خالد. الأعمال الكاملة لمحمود أحمد السيد، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، 1978، ص 273

العراق، لكنه ما لبث ان ترك العراق عائدًا إلي فيينا إلي أن توفي فيها عام1988 [42]. تمتدّ أعماله الأدبية من القصص إلى الروايات.

"ومن مجموعاته القصصية: رسل الثقافة (1937)، وحي الفن (1938)، الضحايا(1938)، صديقي (1938)، برج بابل(1939)، الكادحون(1939)، مختارات ذو النون أيوب (**1958**)"[43].

تشتمل نتاجاته الروائية: "الدكتور إبراهيم، 1939؛ اليد والأرض والماء، 1948؛ الرسائل المنسية، 1958؛ وعلى الدنيا السلام، 1972؛ حوراء، 1988؛ أبو هريرة وكوجكا، **1995**"[44].

ومن رواياته "الدكتور إبراهيم" و"اليد والأرض والماء"، تعدّان من الروايات في مرحلة التشكيلية للرواية العراقية.

رواية "الدكتورإبراهيم"

هذه الرواية نشرها أولا "مسلسلة في مجلة "المجلة" بالموصل، ثم جمعها في كتاب مستقل ونشرها عام 1939"[45]. وموضوعها كما يذكر هو : "تشريح تفصيلي للانتهازية في العراق ، والانتهازية في العراق داء مستعص، له جذور وأسس، تستمد غذاءها من حالة المجتمع القبلية والبدوية التي تقوي النعرة الفردية، وتطمس الغيرة النحنية، والغريزة الاجتماعية"[46]. بنى ذو النون روايته على أساس قصة "نحو القمة"، المنشورة في مجموعته الخامسة "برج بابل" ولم يزد فيها غير التفاصيل . وقد قدّم للرواية بتمهيد طويل مملوء من الخيال، غير أن الرواية في جملتها خالية منه. فقد تخيل الدكتور إبراهيم، بطل قصته "نحو القمة"، يأتي لمقابلته في إحدى مقاهي بغداد، فيلتقي به ويشيد بذكائه، لأنه عرف عنه أكثر مما يعرف هو عن نفسه، ويخبره أنه سيمده بمعلومات جديدة عن حياته، ليكتبها، لأنه قرر مغادرة العراق، والسفر إلى

[42] جائزة كتارا للرواية العربية، /ذو-النون- أيوب /https://kataranovels.com/novelist/

[43] المرجع السابق

[44] المرجع السابق

[45] احمد، عبد الآله. نشأة القصة وتطورها في العراق 1908 - 1939، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002، ص 265.

[46] المرجع السابق، ص 266.

أمريكا. وقد صاغ ذو النون أيوب، على أساس هذا التمهيد، بقية فصول الرواية على لسان الدكتور إبراهيم، فتحدث عن نشأته الأولى في قرية من قرى الموصل، ثم رحلته في بعثة إلى انجلترا، ومن ثم رجوعه إلى بلاده العراق بعد حصوله على شهادة الدكتوراه، في الزراعة، وهو يصمّم على اعتلاء أرفع المراكز في الدولة.

ويحكي ذو النون أيوب بعد ذلك عن الخطط والأساليب التي اتبعها الدكتور إبراهيم لكي يحصل على مركز مدير الزراعة العام، بشكل مفصل ودقيق. وتنتهي الرواية، بعزم الدكتور إبراهيم على مغادرة العراق، والإقامة في أميركا، بعد أن وفر لنفسه مبالغ هائلة من الأموال تضمن له عيشاً رغيداً هناك.

فتصوير المؤلف للدكتور إبراهيم كطفل صغير شاذ بحيث لا يشبه غيره من الأطفال، واتصافه بالحقد والنميمة قبل ان يصل إلى مرحلة لإدراك معناها، وأثرها في معاملته حين كان رجلا كاملا، "لا يصلح ان يكون نموذجا لحالة من الحالات الاجتماعية كما يريد المؤلف أن يكون"[47]، لأن معاملته كانت معاملة شاذة.

فهذه المعاملة الانتهازية التى تبنّاها الدكتور إبراهيم في حياته العملية، لا بد له أن تظهر أمام الآخرين، رغم ذكاء صاحبه، مما جعل البطل يفكر بالرحيل والهروب إلى بلاد أخرى، حيث يضمن لنفسه عيشاً، يأمن به شر العاديات، خاصة وأن حياته أصبحت في بلاده مهددة بالخطر .

ويرى أن روايته في الواقع، ان هي إلا تكبير الصورة، أو إخراج جديد لقصة من قصصه . وبهذا سيتطيع أن يقال أن ذو النون أيوب قد قدم من واقع العراق ، صوراً يلهبها السخط ، لم تخل من مفارقات غير فنية ، وأساليب غير قصصية . ولكنها في جملتها مثلت أقوى قوة دفعت بالقصة العراقية ، نحو أن تكون قصة بالمعنى الفني. والفضل في ذلك، يرجع إلى عقيدة هذا الرجل، الذي أحدث فيه تعلم العلوم، والتأثر بالقصص الروسي، مزيجاً صالحاً لان يأخذ السخط عنده صورة قصة فنية، أو قريبة من الفنية. "والواقع

[47] المرجع السابق، ص 267.

أن المؤلف لم يقدم في "الدكتور إبراهيم" رواية بمعنى المفهوم للرواية الفنية، وإنما قدم بحثا موضوعيا، اتخذ شكلا القصصي إطارا له"[48]؛ فيتضح أن هدفه بهذا العمل لم تكن كتابة رواية رائعة بل لفت انتباه المجتمع إلى الوضع السياسي الفاسد وتوعيتهم على الحذر منه؛ والحادثة التى عاقبتها تثبت نجاحه في مهمته.

رواية "اليد والأرض والماء"

هذه الرواية التي نشرت سنة 1948 رواية ثانية لذوالنون أيوب، ورواية ثالثة في سلسلة الروايات العراقية في مرحلتها الابتدائية. قدّمها ذو النون أيوب في الطور الثاني من مراحله الأدبية، بعد ان استنكف عن الكتابة لمدة. وهي انعكاس تجربته الفاشلة، وتكشف عن الجوانب السياسية والاجتماعية الفاسدة السائدة حين ذاك.

شخصيات الرواية وهم ماجد بطل الرواية الرئيس، والدكتور حسام وخطيبته هيفاء، وهما شريكا ماجد في المشروع الزراعي؛ وسنية التي أصبحت زوجة لماجد وشريكته في مشروعه. تبدأ القصة بمعركة اندلعت بين الفلاحين بسبب خصام حول الأرض، يروح ضحيته العديد من الأفراد. وكان منهم الفلاح "سليم"الذي يشرف على علاجه الدكتور حسام والدكتورة هيفاء، يوثقان به علاقتهما ويقدمان له إلى صديقهما ماجد، فيكون ذلك سببا رئيسا في تورطهم في مشروع الأرض الزراعية، موضوع الرواية الأساسي[49]. إنه قصة مشروع زراعي يحاول تحقيقه أحد أولئك الشبان المفكرين الواعين الذين لا يطيقون إلا يؤدوا في حياتهم رسالة ما، فيدافع من القروي سليم، عزم ثلاثة أصدقاء على ان يبذلوا كل جهودهم لاستغلال أرض أميرية: ماجد المحامي، وطبيب وخطيبته، وهي ايضا طبيبة. وكان العمل يقتضي أول الأمر ري الأرض بواسطة المضخات، وبعد ان نفذ المسؤولون جميع شكليات القانونية، اقيمت الآلات على حافة أحد

[48] المرجع السابق، ص 266.

[49] أحمد، عبد الآله، الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية اتجاهاته الفكرية وقيمه الفنية. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ج 1، ص 183.

الأنهار وحين تدفق الماء قال المحامي لصديقه "ألا تشعر بالغبطة والسعادة، أنت ترى المئات من هؤلاء الفلاحين يغمرهم سرور مفرط، وتلوح عليهم أمارات السعادات والنشاط؟ انظر إلى الأيدي وهي تصفق للماه المتدفقة المسرعة إلى تلك الأرض الميتة لتنفخ فيها روح الحياة، إني لا أفكر بالمال قط، وأنا أرى ما أرى . إن الربح قد أصبح في نظري أمرا ثانويا. لقد وجدت الآن معنى من معاني السعادة التي ينشدها الإنسان في كثير من الأحيان، فلا يجدها. لقد وجدتها في بريق عيون هؤلاء الفلاحين. إننا قد أنشأنا عملا مفيدا لمئات من الناس، ووفرنا قوتا للألوف، وأحيانا أرضا ميتة، وأعدنا جزءا من سيرة تاريخية عظيمة. حقا إني لأشعر بسعادة مفرطة"[50].

ولكن الصعوبات ما عتمت ان برزت، فإن ملاكي الأرض المجاورة بذلوا كل جهدهم لإحباط هذا المشروع الذي كان يناصره الفلاحون بقوة لما كانوا يعلقون عليه من آمال تحسن أحوالهم يوم يتحقق. والحق أن أولئك الملاكين إنما كانوا يخشون ان يهجرهم فلاحو أراضهم لينضموا إلى فلاحي المشروع، وهنا يقوم ماجد بكفاح عنيف غايته الانتصار للقانون وإخضاع أولئك الملاكين لكي يحترموه، وفي ذلك طبعا دعوة إلى محاربة قونون القبائل العشائر. وقد اضطر من أجل ذلك إلى ان يصطدم بالموظفين تارة وبالإقطاعيين تارة أخرى؛ ولم يثنه الفشل الأول الذي أصابه عن متابعة النضال. وتعرف في هذه الأثناء بمعلمة ما لبثت ان أصبحت خطيبته فانخرطت معه في مشروعه بحماسة، وإذا هي في عين ماجد المرأة المثلي التي تدفع وتشجع كلما دنا شبح اليأس.

ولكن إخفاق المشروع أصبح ويا للأسف نهائيا. فإن ما أنتجته الأرض، في ذلك الموسم، كان تافها جدا. وأدرك ماجد أنه أولى الفلاحين من الثقة ما يتجاوز كل حد، إذ رآهم يتركونه، ولكنه وجد تبريرا لموقفهم، وأن غايتهم الأولى هي خبزهم اليومي. على أن الفلاح سليم تأثر جد التأثر لإخفاق المشروع الذي اقترحه هو نفسه، فإذا هو يغادر الأرض العاقة وينضم إلى الجموع التي كانت تظاهر في ذلك الأثناء احتجاجا على

[50] ايوب، ذوالنون. اليد والأرض والماء. مطبعة شفيق، بغداد، ط2، ص 51-52

معاهدة بورتسموت. وقد كان الجوع هو الذي يدفع أولئك الثائرين، فإن الوضع الاجتماعي، في نظرهم، يأتي قبل الوضع السياسي، ولكنهم ينتهزون أية فرصة لكي يثوروا على ذلك الوضع الاجتماعي الظالم. وجرح سليم جراحا خطيرة في التظاهرات فحمل إلى المستشفى، وهناك قدم له ماجد المحامي دمه... ولكنه كان في الطور الهذيان، فلم يكن يميز بين الرجال الشرطة، هؤلاء الذين يحاولون ان يحرموا الشعب من التعبير عن حريته وجدارته الإنسانية، وبين أولئك الإقطاعيين المستغلين الذين يحرمون الفلاح من خبزه، إنهم جميعا أعداء الشعب[51].

كانت هذه الرواية وسيلة إلى تحقيق هدف المؤلف من تعرية الواقع السياسي في العراق، ويثبت عبد الآله أحمد "فإن أبطالها الرئيسيين يبدون أشخاصا مثاليين لا ينتمون إلى بيئة نعرفها حقا، وليس لهم سماتها"[52]. يشير تعليقه إلى أن الرواية المذكورة أسهمت إلى حد ما في تصوير الظروف السياسية على شكل واضح، غير أنها لم تعرج على تصوير الحياة الاجتماعية. فالمؤلف، بسبب انتمائه إلى السياسة مباشرا ومشاركته الفعالة في الشؤون السياسية، قد ركز على الجانب السياسي وانجذب إلى كشف واقعه، ولم يعتن بالعناصر المهمة للعمل الأدبي خاصة للرواية. لذا كانت رواية "اليد والأرض والماء" أيضا مواصلة لجهود محمود أحمد السيد، التي نقصت القيم الفنية، إلا أنها لا محالة ساهمت في تطوير الرواية العراقية.

عبد الحق فاضل

ولد عبد الحق فاضل في أسرة مثقفة في بغداد عام 1911. وكان كبير ابناء الشاعر الموصلي فاضل حامد الصيدلي صاحب ديوان (هدية الاحرار)، الذي صدر في دمشق عام 1928. وقد شارك والده فاضل

[51] إدريس، سهيل. القصة العراقية الحديثة، الآداب، ع 3، 1 مارس 1953، ص 47.

[52] أحمد، عبد الآله، الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية اتجاهاته الفكرية وقيمه الفنية. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ج 1، ص 181.

الصيدلي في الحركات السياسية المناهضة للاستعمار العثماني ثم الإنكليزي، وعمل مع الأندية الثقافية الأدبية التي دعمت الحركة الوطنية بين عامي 1920-1927.

كانت دراسة عبد الحق الابتدائية في الموصل وحصل على العلوم الدينية من كلية الإمام الأعظم، وعمل في الديوانية. ثم التحق بكلية الحقوق، ومارس المحاماة في الموصل بعد تخرجه فيها عام 1935. "وأصدر مع زميله المحامي يوسف الحاج إلياس مجلة (المجلة) التي تعد واحدة من أهم المجلات الثقافية الصادرة في الموصل في أوآخر الثلاثينيات. نشر فيها شعره وقصصه ومقالاته النقدية، ويعد عبد الحق فاضل رائداً للنقد الأدبي في الموصل"[53]. وفي عام 1939انتقل إلى السلك الدبلوماسي، وشغل وظائف عدة في السفارات العراقية في الخارج مثل تبريز ودمشق والقاهرة وروما. وتم تعيينه وكيلاً لوزارة الخارجية بعد قيام ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958، ثم عين عام 1960سفيرا للعراق في الصين. وبقي في منصبه هذا حتى استقال من الخدمة عام 1963، واستقر في مراكش مشرفاً على مجلة (اللسان العربي) التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية حتى عام 1992 وأصيب في حادثة طريق وعاد إلى العراق ليموت في وطنه الذي أحبه وأخلص له كل الإخلاص[54]. وله مساهمات عديدة من الأعمال الأدبية من القصص والمسرحية والدراسات بما فيها روية واحدة "المجنونان" نشرت سنة 1939.

رواية "المجنونان"

"مضمون الرواية يستند إلى فكرة ذهنية ذات طابع فلسفي عميق، مما يذكر بالروايات الذهنية في الأدب الأوربي الحديث، وبأدب توفيق الحكيم، الذي أقامه على قضايا ذهنية. فبطله صادق شكري محام

[53] من اعلام العراق عبد الحق فاضل 1911-1992، عراقيون، 30، يوليو، 2017.
/https://web.archive.org/web/20200203170258/http://www.iraqyoon.net/18319

[54] د. عمر الطالب، عبد الحق فاضل 1911-1992. ملاحق المدى، 04-07-2022. https://www.almadasupplements.com/view.php?cat=25154

وأديب، يكتب القصة، شاذ في سلوكه، صريح في أقواله، عنيف مع من يحس عنده الغباء، ولا ينجز أمراً مالم يقتنع بصواب إنجازه"[55].

وخلاصتها حسب مراجعة عبد الآله أحمد "أحب يوماً فتاة، ولكنه فشل في حبه، ولم يفشل. وفهم الرواية يقوم على تفسير هذه العبارة. فهو قد أعجب مرة بفتاة تدعى صفية سعدي لم يرها، ولكنه كان يقرأ لها في الصحف فصولاً ممتعة تنم عن ذكاء شديد وجرأة نادرة، وروح ثائرة متمردة. فأرسل لها رسائل أبدى فيها إعجابه بها، فنهرته في جواب لها على رسالته الأخيرة .. فتألم ألماً عميقاً، وراح يؤنب نفسه على انسياقه مع عواطفه، وحاول أن ينسى الأمر"[56].

وهو يواصل(ثم حدث أن التقاها، في يوم قد كتبت مقالًا تثني فيه عليه، مما جعله يعتبر هذا المقال بمثابة اعتذار له على ما بدر منها. وكان لقاؤه بها عن طريق الصدفة، نادى عربة، في شارع وأراد أن يستقلها، فسبقته هي إليها، ثم اتفقا على أن يستقلاها معاً. وقد عرفها بعد أن كشفت له عن اسمها، ولكنه لم يشأ أن يخبرها باسمه الصريح، حين سألته عنه، وإنما انتحل له اسماً آخر، هو صدقي. ولقد جرى بينهما حوار طويل،) أحست الفتاة بعده، بانجذاب غريب نحوه. فأحبته وأحبها. وكان حباً عنيفاً قاهراً، فأراد بعده أن يعرفها بشخصيته الحقيقية. ولكنه لم يشأ أن يسلك إلى ذلك الطريق المباشر، فذكر اسم صادق شكري، وذكر لها أنه يعرفه، فظنت أنه يعرف رسائله إليها، وظنت أنه يتصور أنها ربما تحبه، خصوصاً بعد كتابتها لمقالها الأخير الذي تثني فيه عليه، فكان أن سخرت منه . وأغلظت في القول، فتألم.

(ولقد نبعت مشكلته من هنا ، وهي المشكلة التي بنى المؤلف روايته عليها. لقد أراد أن يمنحها نفسه كلها. بشخصيته الحاضرة أمامها، التي أطلق عليها اسم صدقي، وبما يقبع وراءها، صادق شكري الأديب والمفكر

[55] احمد، عبد الآله. نشأة القصة وتطورها في العراق 1908 - 1939، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002، ص 278-279

[56] المرجع السابق، ص 288

المعروف، لكي يكون حبه كاملا.لكن لم تفهم الصدق المسدود حتى يفيدها أخوها حين التقيا مرة ثانية في بيت أخيه وأشار إليها عن صادق شكري.)

"وهذه الفكرة الذهنية التي جعلها عقدة روايته ، هي التي جعلت من أحداث هذه الرواية ، غير ممكنة الوقوع في العراق . فالفتاة مستقلة استقلالا كاملا وتتصرف بحرية مطلقة ، بحيث تستقبل حبيبها في غرفتها ، على نحو لم تتجرأ عليه الفتاة العراقية لحد اليوم . وحين يلتقيها في الشارع ، حين استقلا عربة واحدة ، في أول لقاء لهما ، تكون هي التي تقترح عليه أن يشاركها العربة"[57] . كما أن في الرواية أحداثاً طارئة وشخوصاً لا ضرورة لها في مجرى الحدث ، وحذفها لن يضير الرواية في شيء ومن ذلك ما حرص عليه المؤلف ، من أن يجعل بطله صادق شكري نائباً في مجلس النواب . ثم يسوق على لسانه خطباً وطنية رنانة ، بحيث استغرقت من الرواية الصفحات الطوال. وهي صفحات تذكرنا بمضامين قصص ذو النون أيوب المعروفة . كما أن حشره لبطلة ثانية ، تحب البطل وهي سميرة فائق ، لا ضرورة له إطلاقاً ، إذ ليس لها من دور في بناء أحداث الرواية أو في توضيح عقدتها الذهنية .

غائب طعمة فرمان

ولد عام 1927 في عائلة فقيرة كانت تسكن في أحياء بغداد الشعبيه القديمة الفقيرة وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية فيها،وأصيب بالتدرن في وقت مبكر. وكان والده أحد سائقي السيارات الأوائل في بغداد، وكان يحدثه في طفولته عن انطباعاته ورحلاته، مما أدى إلى تعلقه بالماضي والذكريات فصوّرها فيما بعد في روايته "المخاض"[58].

وكان نشوؤه خلال الحرب العالمية الثانية، في فترة الاضطراب السياسي الكبير في العراق، إلا أنها لعبت دورًا إيجابيًا في تكوين شخصيته الأدبية، حيث أدت إلى مزيد من التأثيرات الخارجية على بغداد. تعرض

[57] احمد، عبد الآله. نشأة القصة وتطورها في العراق 1908 - 1939، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002، ص 290.

[58] السيرة الذاتية:غائب طعمة فرمان، https://elcinema.com/person/1108063/biographies

فرمان للأفكار الماركسية والواقعية الأدبية الأوروبية، ولا سيما لأعمال الكتاب الروسيين مثل غوركي، وخلال هذه الفترة بدأ كتابة الرواية.

سافر فرمان إلى القاهرة عام 1947 لغرض الدراسة في كلية الآداب، وتعرف هنا على نجيب محفوظ وحضر جلساته في مقهى الأوبرا، وسلامه موسى وطه حسين، ونشر بعض قصصه القصيرة ومقالاته الأولى في المجلات المصرية مثل "الرسالة" و"الثقافة" و"الثقافة الوطنية" وغيرها. وتعكس قصص غائب ومقالاته الأولى مفاهيمه وأفكاره عن مختلف قضايا الحياة الاجتماعية والأدبية متجنبا القضايا السياسية المباشرة[59].

وفي عام 1951، عاد فارمان إلى بغداد لكنه أُجبر على المغادرة مرة أخرى في عام 1954عندما أغلقت حكومة نوري السعيد صحيفة "الأهالي" التي كان يعمل بها. كانت الصحيفة ناطقة بلسان الحزب الوطني الديمقراطي بزعامة كامل الجادرجي، حزب المعارضة الرئيسي في ذلك الوقت. في نفس العام، تم نشر أول مجموعة قصصية لفرمان بعنوان "حصيد الرحى". وكانت هجرته الثانية أولاً إلى بيروت، حيث عمل لفترة وجيزة كمدرس، ثم إلى دمشق، حيث شارك في مؤتمر اتحاد الكتاب العرب عام 1954 وانتُخب عضواً في لجنة الأدب الجديد، التي شجعت على استخدام اللغة العربية العامية في الرواية[60].

حينما زار فرمان القاهرة مرة ثانية، أتحيت له فرصة للمشاركة مع الناقد المصري المشهور محمود أمين العالم في تحرير المجموعة القصصية بعنوان "القصص الواقعية من العالم العربي" والتى صدرت في القاهرة عام 1956 عن دار النديم. وقاما بتحديد مفهوم "الواقعية الجديدة" في مقدمتها[61].

وأسقطت عن فرمان الجنسية عندما كان متجها إلى بوخارست للمشاركة في مؤتمر، بسبب نشره عمله غير الروائي "الحكم الأسود في العراق"، في القاهرة عام 1957. بعد ذلك، سافر إلى الصين، حيث عمل

[59] المرجع السابق

[60] Caiani, Fabio, and Catherine Cobham. The Iraqi Novel: Key Writers, Key Texts. Edinburgh University Press, 2013. Pg 74

[61] المرجع السابق، ص 74

لفترة في وكالة أنباء الصين الجديدة. وبعد ثورة 14 تموز 1958، التي أطاحت بالنظام الملكي، عاد إلى العراق وعمل في الصحافة لفترة قصيرة. وفي العام التالي، ظهرت مجموعة قصصه الثانية "مولود آخر".

وفي عام 1960، بعد فترة قصيرة من نشر مجموعته الثانية، غادر فارمان إلى موسكو حيث عاش حتى وفاته في عام 1990. عانى فرمان في الروسيا المنفى من المشاكل الصحية والاكتئاب والإحباط، لكنه تزوج أيضًا وأنجب ولداً. وعمل في دور نشر في موسكو، حيث قام بترجمة أعمال كتّاب مثل تولستوي ودوستويفسكي وتشيكوف وبوشكين إلى العربية. علاوة على ذلك، في هذه الفترة، نضج ككاتب ونشر جميع رواياته في العالم العربي[62]، بدأها ب"النخلة والجيران" عام 1966 وقدم بعدها عدة روايات وهي: "خمسة أصوات" 1967، و"المخاض" 1973، و"القربان" 1975، و"ظلال على النافذة" 1979، و"آلام السيد معروف" 1980، و"المرتجى والمؤجل" 1986، و"المركب" 1989، والتى كانت روايته الأخيرة.

فروايته الأولى -النخلة والجيران- "عدّها النقاد أول رواية عراقية فنية ناضجة تتوفر فيها مقومات الرواية الحديثة مثل الحوار، والحوار الداخلي أو المناجاة والوصف الخارجي والداخلي للشخصيات والاهتمام بالبطل الروائي الخاص، الذي يجب أن يعبر عن ملامح العصر، إضافة إلى الزمان والمكان وتغييراتهما وتقاطعاتهما الزمكانية"[63]. ويثبت عبد الآله أحمد "أن الرواية في العراق باستثناء بعض المحاولات المتباعدة، التى تخل من عيوب فنية كثيرة أضعفت من شأنها، لم تبدأ بدايتها الحقيقية إلا مع رواية غائب طعمة فرمان "النخلة والجيران" التى نشرها عام 1966"[64]، وهو يعد من تلك المحاولات المتباعدة الأعمال المنشورة قبلها من "المجنونان" و"الدكتور إبراهيم" و"اليد والأرض والماء". فلم تكن رواية فرمان الأولى تتويجًا لتطوره الشخصي ككاتب فحسب، بل يمكن اعتبارها أيضًا الولادة الرائعة للرواية الفنية العراقية.

[62] المرجع السابق، ص 75

[63] السيرة الذاتية:غائب طعمة فرمان، https://elcinema.com/person/1108063/biographies

[64] احمد، عبد الآله. نشأة القصة وتطورها في العراق 1908 - 1939، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002، ص 95.

ومما لا يمكن إهمالها في هذا الصدد، أن علاقة فرمان بالأدباء العباقرة في الأدب العربي، وتجربته الشخصية العالمية في الوظائف الإبداعية وسّعت آفاقه الأدبية ومكّنته لتعرف على التيار الأدبي السائد حين ذاك. ومع ذلك استيطانه في بيئة أدبية خاصة في ربوع الأدباء المشهورين في مستوى العالم لمدة نحو ثلاثين سنة، وخوضه في عمل الإبداعي والترجمة خاصة في دور النشر الروسية، أسهم في تشكيل وجهاته الأدبية، وتجسيدها من خلال رواياته الفنية الناضجة التى تعلو إلى مستوى الروايات العالمية. وفرمان أوصل ما بدأه محمود أحمد السيد من مبادرة فنّ الرواية إلى نضوجها وقمّتها بعد أربعة عقود؛ ولذا يعدّ رائد الرواية العراقية الفنية، رغم كونه في المنفى حين نشره جميع رواياته.

رواية "النخلة والجيران"

الكتاب مقسم إلى اثنين وثلاثين فصلاً حيث يقوم الراوي بضمير الغائب بتحويل التركيز بحرية من شخصية إلى شخصية ، غالبًا في نفس الفصل. على الرغم من أنه بحلول نهاية الرواية ، ظهرت أربع شخصيات كبطل رئيسي ، فإن المنظور السردي هو منظور كورالي (Choral Perspective) ، يركز أحيانًا على العديد من الشخصيات الثانوية الأخرى. هذا تغير التركيز السردي مفيد في نقل فكرة شاملة عن طبيعة المكان (بغداد ، خاصة الحي القديم الذي تعيش فيه معظم الشخصيات) والوقت (خلال الحرب العالمية الثانية) الذي يحدث فيه الحدث[65].

الشخصيات الأربع الرئيسية هي سليمة الخبازة، ومُصطفى صديق زوجها الراحل وزوجها المستقبلي، وابن زوجها حسين وصديقته تماضر؛ وتهيمن منهم سليمة على الجزء الأول من الرواية. هي امرأة في منتصف العمر، ترملت منذ ست سنوات في وقت بدء السرد، واضطرت إلى العمل الشاق، تهيّئ الخبز بين عشية وضحاها لتربية حسين. هذا الأخير، شاب في العشرينات من عمره، يعيش في نفس منزل سليمة في أحد الأحياء القديمة في بغداد. يعيش حسين على الأموال التي أودعها له والده لدى صاحب، مالك محل لتأجير

[65] Caiani, Fabio, and Catherine Cobham. The Iraqi Novel: Key Writers, Key Texts. Edinburgh University Press, 2013. Pg 76

الدراجات، والذي يسكن في نفس الشارع. صاحب شخصية بمنزلة أب للشاب الذي من المفترض أن يبحث عن عمل. على الرغم من قيامه بذلك من وقت لآخر، إلا أنه يقضي معظم وقته في الجدل حول المال مع سليمة وإقامة علاقة سرية مع تماضر، هي شابة لقيها حسين أمام سينما وسط المدينة في اليوم الذي غادرت فيه المنزل هربًا من زواج مرتب. يرى حسين في بداية الرواية يقوم بزياراته اليومية إلى غرفتها في حي معسكر الأرمان، لكنها سرعان ما تنتقل للعيش مع خالتها العجوز نشمية في حي الكرادة القريب من مكان سكن حسين[66].

تتبع حبكة الرواية موضوعين رئيسيين: من ناحية، محاولة سليمة للتغلب على مشقة حياتها كأرملة: عليها أن تتشاجر مع حسين على المال الذي تكسبه من خبزها، وعلى ما تشعر به بسبب منزلها الذي غادره زوجها الراحل، ولكن الأهم من ذلك أنها تشعر بالوحدة لأنها تكبر وتضجر، وتتمنى أن تتوقف عن العمل وتستمتع بصحبة رجل. هنا يدخل مصطفى إلى المشهد: صديق قديم لزوج سليمة الراحل يستغل معرفته بها لإقناعها بمنحه بعض النقود (30 دينارًا)، والتي من المفترض أن يشتري لها حصة في فرن حديث، ويريحها من شدة التخبز في فرن تقليدي. في الواقع، ينوي مصطفى استخدام أموالها لشراء سلع مسروقة من الجيش البريطاني المحتل. على الرغم من خيانته لها، ينتهي الأمر بمصطفى بالزواج منها بدافع من مزيج من المصلحة الذاتية والإعجاب الحقيقي بها.

بينما الموضوع الرئيسي الثاني للحبكة يتعلق بحسين الذي يسعى جاهداً لإيجاد طريقة في حياته المضطربة. إنه عاطل عن العمل وليس له أب، وبالتالي يفتقر إلى من يرشده. هناك شخصيتان رئيسيتان ستشكلان حياته: تماضر، التي تزداد صعوبة علاقته بها؛ ومحمود بن الحولة، الشقي من الحي، الذي أهانه علنًا أولاً ثم قتل صاحبا، صديقه وشخصية بمنزلة والده[67].

[66] المرجع السابق، ص 76

[67] المرجع السابق، ص 77

في حين أن الجزأين الأول والوسطى من الرواية يتكونان من فصول يتحول فيها المنظور من شخصية إلى شخصية، فإن الجزء الأخير (الفصول الستة الأخيرة) يركز على حسين فقط، الذي ظهر كبطل مثير للجدل في الرواية. في هذا الجزء الأخير بشكل خاص أصبحت الرواية تشبه رواية الجريمة.

الروايات تحت حزب البعث

يتضح بعد مراجعة الروايات في الفترة التشكيلية، كلها ترتكز على الواقعات الاجتماعية والسياسية في زمن كتابتها. لكن تغير المشهد الأدبي في العراق بشكل كبير مع صعود صدام حسين كرئيس للدولة عام 1979 واندلاع الحرب العراقية الإيرانية عام 1980. في ظل حملة البعثية للمجتمع بأسره، والتي أجبرت المواطنين على التوقيع على المادة 200، التي تطالبهم باحتضان الحزب وحكم بالإعدام على أي شخص يمارس نشاطًا سياسيًا تحت أي حزب آخر،[68] وفي سياق الحرب، أصبح الأمر أكثر صعوبة لكتّاب الروايات والقصص.

المشكلة السياسية، وبالتالي المراقبة الشديدة من قبل الحكومة، والصعوبات التي تبعت الحروب، كلها أدت إلى هجرة عدد كبير من المثقفين وخاصة الروائيين أولا في منتصف السبعينيات. ثم حدثت هجرة ثانية بعد غزو الكويت عام 1990 وفي أعقاب حرب الخليج عام 1991.

يقول كاياني (Caiani) وكوبهام (Cobham) "لم يكن المنفى بالطبع مصير كتاب جيل الخمسينيات فقط. في العقود التالية، غادر الكتاب العراقيون بلادهم بأعداد متزايدة، بحيث أصبح من الحتمي تقريبًا أن يتحدث الناس عن أدبين عراقيين: أحدهما كتبه المنفيون والآخر كتبه من بقي داخل العراق. إن التمييز بين الأدبين ليس ممكنًا دائمًا، كما أنه ليس من المفيد تقسيم الكتاب "داخليين" و "خارجيين" بنغمة جدلية التي يستخدمها أحيانًا الصحفيون العراقيون والنقاد وحتى الكتاب أنفسهم"[69].

[68] المرجع السابق، ص 19

[69] المرجع السابق، ص243

يتأمل الروائي العراقي علي بدر، الذي يعيش الآن في بروكسل، في هذا الانقسام بين الكتاب والمثقفين العراقيين، ويرى أنه من "العبث" أن يُنظر إليه على أنه من الداخل في يوم من الأيام ودخيل في اليوم التالي: "أصبحت الآن أحد المثقفين في الخارج: أنا، الذي تم الاعتراف به قبل عامين فقط بكوني أحد (المثقفين الداخليين). بدا الأمر كله وكأنه جزء من لعبة مكان عبثية - ليس أكثر من ذلك - لعبة همشت الناس باستخدام فكرة المكان، وطردهم مؤقتًا من مواقعهم، ووصفهم بأنهم من الداخل أو الخارج. وبالتالي، فإن هذه اللعبة هي نتيجة الحرب، فهي الحرب التي أدين لها بتشككي اللامتناهي"[70].

وقد ظهر نوعان من الروايات العراقية في سياق الحرب ضد إيران وما تبعه من القمع، والأول مكتوب في العراق بموجب السلطة الديكتاتورية ومراقبتها؛ والآخر مكتوب في المنفى، وكان لكل نوع منهما خصائصه المميزة وميزاته الفكرية والفنية.

وقد وجد الكتاب العراقيون والفنانون والمثقفون الذين لا يزالون داخل البلاد أنفسهم تحت ضغط من النظام للتجمع وراء جهد الحرب منذ بداية الحرب ضد إيران. وقد تم إنشاء المسابقات الأدبية وتوزيع الجوائز لإغراء الكتاب في ما كان يسمى "قادسية صدام"، بالإشارة إلى معركة القادسية، حيث انتصر العرب فوق الجيش الفارسي (الساسانيين) في 637م[71].

لم يكن لدى الشعراء والروائيين وكتّاب القصة القصيرة داخل العراق، خيار سوى الامتثال لرغبات النظام. وكانت نتيجة هذه الحملة أنه تم نشر قدر غير عادي من العمل خلال السنوات الثمانية منذ الحرب وما بعده. "سنة واحدة فقط في الحرب، تم نشر مجلّدين كبيرين من القصص القصيرة للمؤلفين العراقيين من قبل وزارة الثقافة العراقية و المعلومات تحت عنوان (قادسية صدام) و(قصص تحت لهيب

[70] Badar,Ali. 'Iraq: A Long Phantasmagorical Dream for Those Who Are Not Part of the New Capitalism or Retired Communism', in We Are Iraqis: Aesthetics and Politics in a Time of War, ed. Nadje al-Ali and Deborah al-Najjar (Syracuse, NY: Syracuse University Press, 2013), p. 105.

[71] عبود، سلام. ثقافة العنف في العراق، دار الجمل، 2002

النار)"[72]. وفي ذلك الوقت، لم يكن الكتاب هم الوحيدون الذين تم استخدامهم لتخليد النصر المتوقع؛ بل الناقدون أيضا تم طلبهم تحليل هذا الأدب وتحقيقه. "المرئي والمتخيل"،دراسة نقدية وتحليلية نشرها محسن جاسم الموسوي سنة 1986، كانت من قبيل هذه الأعمال النقدية.

شهدت الرواية أيضا ازدهارا فوريا مثيرا للدهشة؛ لأن "عدد الروايات المنشورة في العراق خلال السنوات الثماني من هذه الحرب كان أعلى من عدد الروايات التي نشرت في التاريخ السابق بأكمله"[73]. كان جاسم الرصيف أحد أبرز المؤلفين الناجحين الذين شاركوا في المسابقة الأدبية لترويج قادسية صدام، وفاز بالجائزة الأولى مرتين. وروايته (الخط الأحمر، 1985)، التي يصف فيها الخراب الذي عانته البصرة خلال الحرب وعزم شعبها، تمّ تحبيذها لنضجها الفني وتوثيقها للتدمير الناتج عن الحرب؛ وفازت بالجائزة الأولى في المنافسة الأدبية لعام 1985.

على الرغم من أن عديدا من الكتاب داخل العراق شاركوا في القادسية صدام، هناك آخرون مثل مهدي عيسى الصقر - الذي كان أحد الكتاب البارزين من الخمسينيات والذي على عكس عديد من مؤلفي جيله لم يغادر العراق أبدًا ولم يكتب عن الحرب حتى التسعينيات، مجازفا بالملاحظة النقدية على آثارها المدمرة على العلاقات الاجتماعية وتسميتها "فترة عزلة ومصاعب مادية كبيرة في البلاد عامة"[74]. كتب الصقر روايتين تصوّران المعاناة الإنسانية التي تسببت بالحرب وتتناول عودة الجنود إلى الوطن. وإن كُتبت كلتا الروايتين في التسعينيات، لم تنشر إلا واحد فقط، (صراخ النوارس)، في عام 1997 في بيروت؛ أما الأخرى، (بيت على نهر دجلة)، طال نشرها حتى عام 2006 لأنها كانت أكثر انتقادًا للحكومة، " فكل سطر فيها كفيل بتغييبه كشخصيات روايته"[75]. كلتا الروايتين تعالجان موضوعا واحدا بصلة وثيقة،

[72] Caiani, Fabio, and Catherine Cobham. The Iraqi Novel: Key Writers, Key Texts. Edinburgh University Press, 2013. Pg 164-165

[73] المرجع السابق، ص 165

[74] المرجع السابق، ص 165

[75] علي حاكم، مهدي عيسى الصقر في الانتظار، ملاحق المدى، 2011/01/19

لكن تم تطويره في الرواية المنشورة عام 1997 بطريقة أكثر غموضًا وإبهامًا بسبب الرقابة الذاتية المفروضة.

خوفا من المراقبة والمعاقبة، كتب عديد من المؤلفين الآخرين أيضًا بطريقة غامضة وغير مباشرة، حيث لجأوا إلى الأسطورة ولغة رمزية لأنه أصبح من الصعب الشديد الكتابة بطريقة واضحة ومباشرة إذا كانت معارضة للحرب أو سياسة البعث. وجدير بالإشارة في هذا الصدد إلى كتاب عبد الخالق الركابي "من يفتح باب الطلسم" (1982)، و"من يرث الفردوس" (1989) للطفيّة الدليمي ، و"سيرة مدينة بصرياتا" (1993) لمحمد خضير؛ وقد تمّ ترجمتها إلى الإنجليزية باسم (Basrayatha: Portariat of a City) عام 2006.

يبيّن سلام إبراهيم واصفا المعاناة التي واجهها الكتّاب داخل العراق من قبل السلطة وعواقب الرقابة الذاتية: "الروائي تحت حكم الديكتاتور يعاني في لحظة الكتابة سطوة رقيب داخلي يثير فيه الخوف؛ فالكلمة محاسبة، وقد تؤدي إلى حتفه، كما حدث للروائيين محمود جنداري وحسن مطلق، وهو ما أبهت النص وجعله يتناول كل ما هو غير جوهري في التجربة، منشغلًا بتفاصيل غير مهمة؛ تاريخ قديم؛ هموم اجتماعية عادية لا محل لها وسط مواجهة الموت اليومي؛ حكاية لا تمت إلى الواقع بصلة، الأمر الذي أثر في الصوغ الفني، فبدت الرواية واهية البنية، مرتبكة الصوغ، غير ناضجة، وهو ما يستطيع القارئ أو الباحث أن يجده في الكم الهائل من الروايات التي صدرت عن دار الشؤون الثقافية الرسمية في تلك الفترة".[76]

وفي الجملة أن الكتابة والنشر في فترة حزب البعث كانت تحت مراقبة حادة من قبل السلطة، لذا لم تصوّر النتاجات الأدبية داخل العراق المعانات الإنسانية والحقائق الاجتماعية أو لم تخطّ أمام مجتمع يائس طريقا مشرقا ولم تقدهم إلى أفق الأمل والتوقع؛ بل اختارت طريق آخر من تعظيم السلطة وتشجيعها واستمرّت هذه الحالة إلى إجتثاث حزب البعث عام 2003. فالمؤلفون الذين اهتموا بالحقائق

[76] سلام، إبراهيم، الرواية العراقية: رصد الخراب العراقي في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف، ص 8

الاجتماعية والطموح الإيجابية تركوا منشأهم ولجأوا إلى البلدان المجاورة حيث تمتعوا بحرّية كاملة وبيئة مفعمة بالهدوء والسكينة ومساعدة للكتابة المفتوحة. لذا النتاج الأدبية العراقية في المنفى عامة والرواية خاصة تعالج فترة حزب البعث بلكل صراحة ووضاحة.

الباب الثاني

الاحتلال الأمريكي و أثره في الرواية

الفصل الأول: الاحتلال الأمريكي وتجلياته في الأدب العراقي

الفصل الثاني: الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي

الفصل الأول

الاحتلال الأمريكي وتجلياته في الأدب العراقي

حرب العراق ، وتسمى أيضًا حرب الخليج الثالثة (2003-11) ، وهي صراع في العراق يتكون من مرحلتين. ففي المرحلة الأولى كانت حربًا تقليدية وجيزة في مارس - أبريل 2003، حيث غزت قوات التحالف من الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى (مع وحدات صغرى من عدة دول أخرى) العراق وهزمت بسرعة القوات العسكرية العراقية والقوات شبه العسكرية. وأعقب ذلك مرحلة ثانية طويلة عارض فيها المتمردون الاحتلال بقيادة الولايات المتحدة. بعد أن بدأ انخفاض العنف في عام 2007، خفضت الولايات المتحدة وجودها العسكري في العراق تدريجيًا، واستكملت انسحابها رسميًا في ديسمبر 2011. اجتثاث حزب البعث نقطة تحول في تاريخ العراق السياسي عامة وفي تاريخ العرق الأدبي خاصة حيث إنه حلّل قيود المراقبة على النتاجات الأدبية ومهّد جوّا ملائما للتعبير الحرّة؛ لكن كان له أثر عميق على الحياة اليومية في العراق لأن فترة ما بعد الاحتلال صيّرته ميدان الانشقاق والعصبية، وتحدّت لكيان شخصي وصار الانفجار والقتل جزءا من عادات العراق اليومية، تصوّرها الروايات العراقية بعد الاحتلال الأمريكي.

خلفية الاحتلال

انتهى غزو العراق للكويت عام 1990 بهزيمة العراق أمام قوات التحالف التي قادتها الولايات المتحدة في حرب الخليج (1990-1991). ومع ذلك، احتفظ حزب البعث، بقيادة صدام حسين، بالسلطة من خلال قمع انتفاضات الأقلية الكردية والأغلبية الشيعية في البلاد بقسوة. "وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تبحث عن بديل لصدام حسين منذ نهاية غزو الكويت، فأجرت اتصالا مع أخيه برزان، الرئيس السابق للمخابرات العراقية المقيم في سويسرا، كما أقامت اتصالات مع الأكراد في الشمال لينضموا إلى جماعات

عراقية معارضة تحت اسم ((المجلس الوطني))"[77]. وأنشأ الحلفاء "ملاذًا آمنًا" شمال العراق في المناطق ذات الأغلبية الكردية لوقف نزوح الأكراد من العراق، وقامت الطائرات الحربية بدوريات في مناطق "الحظر الجوّي" شمال وجنوب العراق التي كانت محظورة على الطائرات العراقية. علاوة على ذلك، نفذت الأمم المتحدة عقوبات اقتصادية ضد العراق من أجل إعاقة التقدم في برامجه بتطوير الأسلحة النووية والبيولوجية والكيميائية. وكشفت عمليات التفتيش التي أجرتها الأمم المتحدة في منتصف التسعينيات عن مجموعة متنوعة من الأسلحة والتكنولوجيا المحظورتين في جميع أنحاء العراق[78]. وقد أدى انتهاكه المستمر لحظر الأسلحة الذي أفرضه الأمم المتحدة وتدخله المتكرر في عمليات التفتيش، إلى إحباط المجتمع الدولي وأمر بيل كلينتون، رئيس الولايات المتحدة، في عام 1998 بقصف عدة منشآت عسكرية عراقية. لكن، رفض العراق السماح للمفتشين بدخول البلاد مرة أخرى بعد القصف. ثمّ اضمحلّت العقوبات الاقتصادية ببطء بعد سنوات حينما سعت الدول المجاورة إلى إعادة فتح التجارة مع العراق.

إن ضعف الولايات المتحدة في أعقاب هجمات 11 سبتمبر عام 2001، واستمرار امتلاك العراق وتصنيعه لأسلحة الدمار الشامل (وهو الاتهام الذي ثبت لاحقًا أنه خاطئ[79]) ودعمه للجماعة الإرهابية بما فيها تنظيم "القاعدة"، منفذي هجمات 11 سبتمبر؛ كلها حسب زعم الرئيس الأمريكي الجديد جورش بوش عام 2002، جعل نزع سلاح العراق أولوية أساسية. طالب قرار مجلس الأمن الدولي رقم 1441، الصادر في 8 نوفمبر / تشرين الثاني 2002، العراق بالتعاون مع المفتشين، وأن يمتثل لجميع القرارات السابقة. "عدّت الولايات المتحدة الأمريكية هذا القرار كافيا إلى أن أية دولة تعارضها أو تقف في طريقها فيما عزمت عليه من غزو العراق؛ أضحت تشجّع صدام حسين والإرهاب"[80]. في أوائل عام 2003 أعلن الرئيس بوش ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير (Tony Blair) أن العراق يواصل بالفعل عرقلة عمليات التفتيش

[77] سهيل، محمّد طقّوش. تاريخ العراق الحديث والمعاصر. دار النفائس، بيروت، 2015، ص 395

[78] Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Iraq War". Encyclopedia Britannica, 21 Feb. 2021, https://www.britannica.com/event/Iraq-War.

[79] المرجع السابق

[80] سهيل، محمّد طقّوش. تاريخ العراق الحديث والمعاصر. دار النفائس، بيروت، 2015، ص 398.

التابعة للأمم المتحدة وأنه لا يزال يحتفظ بأسلحة محظورة. وقد طلب قادة العالم الآخرون مثل جاك شيراك (Jaques Chirac)، والمستشار الألماني غيرهارد شرودر (Gerhard Schroder)، مستشهدين بأنه ازداد التعاون العراقي، إلى تمديد عمليات التفتيش وإعطاء العراق مزيدًا من الوقت للامتثال لها. ومع ذلك، في 17 آذار (مارس)، أعلن بوش إنهاء الدبلوماسية، وهو لا يسعى لمزيد من قرارات الأمم المتحدة ويرى أن مزيدا من الجهود الدبلوماسية من قبل مجلس الأمن غير مجدية؛ وأصدر إنذاراً نهائياً لصدام، ومنحه 48 ساعة لمغادرة العراق. اعترض قادة فرنسا وألمانيا وروسيا ودول أخرى على هذا التراكم للحرب.[81]

صراع 2003

عندما رفض صدام مغادرة العراق ، شنت القوات الأمريكية والقوات المتحالفة هجوماً صباح يوم 20 مارس. بدأت عندما أسقطت الطائرات الأمريكية عدة قنابل دقيقة التوجيه على مجمّع محصّن يُعتقد أن الرئيس العراقي كان يجتمع فيه مع كبار الموظفين. وأعقب ذلك سلسلة من الضربات الجوية الموجهة ضد المنشآت الحكومية والعسكرية، وفي غضون أيام حملت القوات الأمريكية على العراق من الكويت في الجنوب (كانت القوات الخاصة الأمريكية قد تم نشرها سابقًا في المناطق التي يسيطر عليها الأكراد في الشمال). على الرغم من المخاوف من أن القوات العراقية قد تنخرط في سياسة الأرض المحروقة - تدمير الجسور والسدود وإضرام النار في آبار النفط في جنوب العراق - لم تلحق القوات العراقية المنسحبة أضرارًا تذكر. في الواقع، اختارت أعداد كبيرة من القوات العراقية ببساطة عدم مقاومة تقدم قوات التحالف. في جنوب العراق، كانت أكبر مقاومة للقوات الأمريكية أثناء تقدمها شمالًا من مجموعات غير نظامية من أنصار حزب البعث، المعروفة باسم فدائيي صدام. واجهت القوات البريطانية - التي انتشرت حول مدينة البصرة الجنوبية - مقاومة مماثلة من المقاتلين شبه العسكريين وغير النظاميين.

[81] Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Iraq War". Encyclopedia Britannica, 26 May. 2021, https://www.britannica.com/event/Iraq-War.

في وسط العراق، تم نشر وحدات من الحرس الجمهوري للدفاع عن العاصمة بغداد. حين تقدم الجيش الأمريكي والقوات البحرية باتجاه الشمال الغربي إلى وادي نهر دجلة والفرات، تجاوز عديدا من المناطق المأهولة حيث كانت مقاومة الفدائيين أقوى وتباطأت فقط في 25 مارس عندما أجبرهم الطقس العاصف على وقف تقدمهم لفترة وجيزة في غضون 60ميلا من بغداد. وألحقت الطائرات الأمريكية، خلال فترة التوقف، أضرارًا جسيمة بوحدات الحرس الجمهوري حول العاصمة. استأنفت القوات الأمريكية تقدمها في غضون أسبوع، وفي 4 أبريل سيطرت على مطار بغداد الدولي. كانت المقاومة العراقية، على الرغم من قوتها في بعض الأحيان، غير منظمة للغاية، وخلال الأيام التالية شنت وحدات من الجيش ومشاة البحرية غارات على قلب المدينة. في 9 أبريل انهارت المقاومة في بغداد وسيطر الجنود الأمريكيون على المدينة[82].

في نفس اليوم، غلبت القوات البريطانية على مدينة بصرة التي دخلت فيها قبل عدة أيام. لكن في الشمال، أحبطت خطط فتح جبهة رئيسية أخرى عندما رفضت الحكومة التركية السماح لوحدات الجيش الأمريكي بالمرور عبر تركيا للانتشار في شمال العراق. رغم ذلك، وقد وصل فوج من المظليين الأمريكيين في المنطقة، وانضم جنود القوات الخاصة الأمريكية إلى مقاتلي البشمركة[83] الأكراد للاستيلاء على مدن شمال كركوك في 10 أبريل والموصل في 11 أبريل. سقطت مدينة تكريت مسقط رأس صدام، آخر معقل رئيسي للنظام، مع مقاومة قليلة في 13 أبريل. واصلت المجموعات المعزولة من الموالين للنظام القتال في الأيام اللاحقة، لكن الرئيس الأمريكي أعلن نهاية القتال الرئيسي في 1 مايو. "وخلال مطاردة القوات الأمريكية لرموز الحكم السابق، تمّ قتل ولدي صدام حسين قصي وعدي في 22 تموز ... كما تمّ اعتقال صدام حسين في 13 كانون الأول"[84]، وتم تسليمه إلى السلطات العراقية في يونيو 2004 لمحاكمته على جرائم مختلفة. وأدين بعد ذلك بارتكاب جرائم ضد الإنسانية وأُعدم في 30 ديسمبر / كانون الأول 2006.

---

[82] المرجع السابق

[83] البيشمركة (بالكردية: پێشمەرگە، Pêşmerge) أو رسمياً قوات البيشمركة الكردية هي قوات عسكرية والمصطلح الذي يستخدمه الأكراد للإشارة إلى المقاتلين الكرد. حرفيًا المصطلح يعني «الذين يواجهون الموت».

[84] سهيل، محمّد طقّوش. تاريخ العراق الحديث والمعاصر. دار النفائس، بيروت، 2015، ص 401.

الاحتلال والحرب المستمرة

بعد انهيار النظام البعثي، تعرضت المدن العراقية الرئيسية للنهبات التي كانت موجهة في الغالب إلى المكاتب الحكومية والمؤسسات العامة الأخرى. وكان هناك اندلاع حاد للعنف - سواء كان عنفا إجراميا عاديا أو أعمالا انتقامية ضد الزمرة الحاكمة السابقة. كانت استعادة القانون والنظام واحدة من أصعب المهام لقوات الاحتلال، والتي تفاقمت بسبب استمرار الهجمات ضد القوات المحتلة التي سرعان ما تطورت إلى حرب عصابات واسعة النطاق؛ وبصورة متزايدة، أصبح يُعرّف الصراع على أنه حرب أهلية، على الرغم من أن إدارة بوش تجنبت عمومًا استخدام هذا المصطلح وفضلت بدلاً من ذلك تسمية "العنف الطائفي"[85]. كانت خسائر قوات التحالف خفيفة في القتال الأولي عام 2003، حيث قُتل حوالي 150 بحلول الأول من مايو. ومع ذلك، ارتفع عدد القتلى من القوات الأمريكية بعد ذلك، ووصل إلى حوالي ألف بحلول وقت الانتخابات الرئاسية الأمريكية في نوفمبر 2004 وتجاوز ثلاثة آلاف في أوائل عام 2007؛ بالإضافة إلى ذلك، قُتل مئات من جنود دول التحالف الأخرى. عدد العراقيين الذين لقوا حتفهم خلال الصراع غير مؤكد. أحد التقديرات التي تم إجراؤها في أواخر عام 2006 قدّر العدد الإجمالي بأكثر من ستة ملايين بين الغزو الذي قادته الولايات المتحدة، وأكتوبر / تشرين الأول 2006؛ لكن العديد من التقديرات الأخرى المبلغ عنها تشير إلى أن الأرقام للفترة نفسها تتراوح بين أربعة ملايين إلى خمسة ملايين.

بعد 35 عامًا من الحكم البعثي الذي شمل ثلاث حروب كبرى وعشرات من العقوبات الاقتصادية، كان الاقتصاد في حالة من الفوضى وبدأ يتعافى ببطء. علاوة على ذلك، ظلت البلاد مثقلة بديون ثقيلة تجاوزت بشكل كبير ناتجها المحلي الإجمالي السنوي، وكان إنتاج النفط - أكبر مصدر للإيرادات في البلاد - مرهقًا

[85] Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Iraq War". Encyclopedia Britannica, 26 May. 2021, https://www.britannica.com/event/Iraq-War.

بشدة. أدت هجمات العصابات المستمرة على قوات الاحتلال وقادة الحكومة العراقية الجديدة في السنوات التي تلت الحرب إلى تفاقم صعوبة إعادة بناء العراق[86].

في المناطق الشيعية في جنوب العراق، عاد العديد من القادة الدينيين المحليين (آيات الله) الذين فروا من نظام صدام إلى البلاد، وتمكنت الشيعة من جميع أنحاء العالم من استئناف الزيارة إلى مدينتي النجف وكربلاء المقدستين المحظورة في عهد صدام. بدأ العراقيون في جميع أنحاء البلاد مهمة مؤلمة متمثلة في البحث عن أحبائهم الذين سقطوا ضحية للنظام السابق. المقابر الجماعية، نتيجة المذابح الحكومية العديدة على مر السنين، أسفرت عن آلاف الضحايا. تسبب العنف الطائفي الذي اجتاح البلاد في فوضى عارمة، مع عمليات قتل وحشي على يد الميليشيات الشيعية والسنية المتنافسة.

الحرب والآراء عنها

على عكس الموافقة المشتركة التي تم التوصل إليها في حرب الخليج، لم يتم تشكيل تحالف واسع للإطاحة بصدام حسين وحزب البعث من السلطة. على الرغم من أن بعض القادة الأوروبيين أعربوا عن دعمهم المشروط للحرب ولم يأسف أي منهم لنهاية النظام البعثي العنيف، إلا أن الرأي العام في أوروبا والشرق الأوسط كان ضد الحرب[87]. رأى الكثير في الشرق الأوسط في ذلك نوعًا جديدًا من الإمبريالية للعرب والإسلام، وانتقد معظم القادة العرب احتلال القوات الأجنبية لدولة عربية أخرى. كانت ردود الفعل على الحرب مختلطة في الولايات المتحدة. على الرغم من حدوث العديد من الاحتجاجات المناهضة للحرب في المدن الأمريكية في الفترة التي سبقت الغزو، أظهرت عديد من استطلاعات الرأي دعمًا كبيرًا للعمل العسكري ضد العراق قبل الحرب وأثنائها.

[86] المرجع السابق

[87] المرجع السابق

مع استمرار العنف وتزايد الخسائر، بدأ المزيد من الأمريكيين (بمن فيهم بعض الذين دعموا الحرب في البداية) في انتقاد حكومة بوش لما اعتبروه سوء إدارة لاحتلال العراق. أدى ظهور صور الجنود الأمريكيين في الأخبار وهم يعاملون معاملة سيئة للعراقيين في سجن أبو غريب غرب بغداد، إلى الإضرار بالرأي العام للولايات المتحدة. إضافة إلى ذلك، أفادت لجنة أمريكية من الحزبين، تم تشكيلها للتحقيق في هجمات 11 سبتمبر، في يوليو 2004 أنه لا يوجد دليل على "علاقة عملانية تعاونية" بين الحكومة البعثية والقاعدة - وهو تناقض مباشر مع أحد المبررات الرئيسية للحكومة الأمريكية للحرب.[88]

أصبحت ادعاءات بوش قبل الحرب، وفشل أجهزة المخابرات الأمريكية في قياس قدرة العراق على صنع الأسلحة بشكل صحيح، والفشل في العثور على أية أسلحة دمار شامل - المنطقي الأساسي الجوهري لإدارة بوش لخوض الحرب - نقاط نقاش سياسية رئيسية. كانت الحرب قضية مركزية في الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام 2004، والتي فاز بها بوش بفارق ضئيل. استمر ازدياد معارضة الحرب خلال السنوات العديدة التالية؛ حتى اعتقدت أقلية متضائلة فقط من الأمريكيين أن القرار الأولى بشن الحرب في عام 2003 كان القرار الصحيح[89].

في أواخر عام 2006 ، أصدرت مجموعة دراسة العراق (The Iraq Study Group)، وهي لجنة مستقلة من الحزبين برئاسة وزير الخارجية الأمريكي السابق جيمس بيكر الثالث (James A. Baker III) وعضو الكونجرس الأمريكي السابق لي هاملتون (Lee Hamilton)، تقريرًا وجد أن الوضع في العراق "خطير ومتدهور". دعا التقرير إلى بذل جهود دبلوماسية على مستوى المنطقة لحل النزاع، ودعا إلى تطوير الدور العسكري الأمريكي ليصبح دورًا يوفر دعمًا متناقصًا للحكومة العراقية التي تحدى التقرير لتحمل مزيدا من المسؤولية عن أمن البلاد[90].

---

[88] المرجع السابق

[89] المرجع السابق

[90] المرجع السابق

قبل إصدار تقرير مجموعة دراسة العراق، كان هناك نقاش كبير داخل الإدارة حول المسار إلى الأمام في العراق. على الرغم من أن الرئيس بوش قد أشار بحلول كانون الأول (ديسمبر) 2006 إلى ميله إلى زيادة عدد القوات في العراق، إلا أن الأسئلة - على وجه الخصوص، العدد الدقيق للقوات التي سيتم إضافتها - ظلت غير مستقرة. أخيرًا ، في يناير 2007 ، أعلن الرئيس بوش عن خطة مثيرة للجدل لزيادة عدد القوات الأمريكية هناك مؤقتًا بأكثر من عشرين ألفا. على الرغم من الخسائر الفادحة في البداية - كان عام 2007 أكثر الأعوام دموية بالنسبة للقوات الأمريكية منذ عام 2004 - كان الانخفاض في العنف الذي حدث مع اقتراب العام مصدرًا للتشجيع، وتم سحب عدد من القوات الإضافية لاحقًا. ومع ذلك، ظل النجاح النهائي للاندفاع نفسه مصدرًا للنقاش المستمر، حيث إن المستويات المتدنية للعنف التي لوحظت في عام 2007 لم تُعزى إلى الزيادة نفسها فقط، ولكن إلى تضافر العوامل. وكان منها التغيير في التكتيكات التي جعلت القوات الأمريكية الموجودة بالفعل على الأرض أكثر انسجاما مع استراتيجية مكافحة التمرد الكلاسيكية؛ الصحوة السنية، وهي حركة قام فيها رجال القبائل السنية الذين قاتلوا في السابق ضد القوات الأمريكية، قامت بإعادة تنظيم أنفسهم في نهاية المطاف للمساعدة في مواجهة المتمردين الآخرين، وخاصة أولئك المرتبطين بالقائدة؛ والسلم الطوعي الذي عاشه الصدر وقواته ابتداء من شهر آب من ذلك العام.

في تشرين الثاني (نوفمبر) 2008 ، وافق البرلمان العراقي على اتفاقية أمريكية عراقية أعادت تحديد الإطار القانوني للنشاط العسكري الأمريكي في العراق، ووضع جدولًا زمنيًا للانسحاب النهائي للقوات الأمريكية. بموجب الاتفاقية، التي تم توقيعها خلال الأشهر الأخيرة لإدارة بوش بعد ما يقرب من عام من المفاوضات، كان من المقرر أن تغادر القوات الأمريكية المدن بحلول منتصف عام 2009، وكان من المقرر الانتهاء من الانسحاب من البلاد بحلول 31 ديسمبر 2011. وفي فبراير 2009 أعلن باراك أوباما، رئيس الولايات المتحدة المنتخب حديثا، أن اللواء القتالي الأمريكي ستنسحب من العراق بحلول 31 أغسطس 2010، مع انسحاب القوات المتبقية بحلول نهاية عام 2011. في 18 أغسطس 2010 - قبل أسبوعين من الموعد

المحدد - انسحب اللواء القتالي الأخير من العراق؛ ظل 50 ألف جندي أمريكي في العراق للعمل كقوة انتقالية.

على عكس أرقام الخسائر العسكرية الأمريكية المعروفة (التي تتبعها البنتاغون إلى أكثر من 4300 في أكتوبر 2009)، لم توفر الحكومة العراقية بيانات شاملة عن الوفيات العراقية لعدة سنوات. في أكتوبر / تشرين الأول 2009، أصدرت الحكومة العراقية تقديراتها للوفيات العنيفة للفترة 2004-2008 (وكان الحصول على إحصائيات الجزء الأول من الحرب أكثر صعوبة بسبب عدم وجود حكومة عاملة في ذلك الوقت). وطبقاً لتقديرات الحكومة، فإن أكثر من خمسة وثمانين ألفا عراقي - وهو رقم يشمل مدنيين وعسكريين - لقوا حتفهم بعنف في مدة أربع سنوات.

في أكتوبر 2010، نشرت منظمة ويكيليكس ما يقرب من أربعة آلاف وثيقة عسكرية أمريكية سرية من حرب العراق على الإنترنت تحت عنوان "سجل حرب العراق"، بعد إصدار مخبأ مماثل من الوثائق المتعلقة بحرب أفغانستان في يوليو 2010. قدم ويكيليكس الوثائق المتاحة للعديد من الوسائل الإعلام الرئيسية، بما في ذلك نيويورك تايمز، ودير شبيجل، ولوموند، وذي غاديان، والجزيرة قبل تاريخ النشر، والتي تنص على أن المواد يجب أن تظل تحت الحظر حتى الإصدار على الإنترنت. الوثائق، ومعظمها تقارير تكتيكية واستخباراتية أولية أعدتها الوحدات الميدانية في العراق بين عامي 2004 و 2009، لم تغير بشكل جذري الفهم العام للحرب، لكنها كشفت عن معلومات مفصلة حول سلوكها اليومي. وأشارت إلى أن القوات الأمريكية احتفظت بإحصائيات أكثر تفصيلاً للضحايا المدنيين العراقيين أكثر مما تم الاعتراف به سابقًا، وأن هذه الأعداد تشير إلى معدلات أعلى من الخسائر المدنية مقارنة بالتصريحات العلنية للجيش، وأن المتعاقدين العسكريين الخاصين كانوا غالبًا متورطين في حوادث القوة المفرطة، وأن إيران قدمت بشكل مباشر واسع النطاق المساعدة العسكرية للميليشيات الشيعية المشاركة في الصراع الطائفي في العراق، وأن القوات الأمريكية تجاهلت الاستخدام الواسع النطاق للتعذيب من قبل قوات الأمن

العراقية. وندد مسؤولون أميركيون وعراقيون بنشر الوثائق، قائلين إن الإفراج عنها سيعطل الجهود الأمنية ويعرض للخطر أرواح العسكريين والعراقيين الذين تعاونوا مع الجيش[91].

في يوليو / تموز 2011، أعلن مسؤولون عسكريون أمريكيون أن العراق والولايات المتحدة بدآ مفاوضات للاحتفاظ بعدة آلاف من الجنود الأمريكيين في العراق بعد 31 ديسمبر 2011، وهو تاريخ الانسحاب المحدد في المفاوضات في عام 2008. ومع ذلك، أن تمديدا محتملا للوجود الأمريكي في العراق ظل غير محبوب لدى الجمهور العراقي ومع عديد من الفصائل السياسية العراقية. وفشلت المفاوضات عندما لم يتمكن الجانبان من التوصل إلى اتفاق بشأن استمرار القوات الأمريكية في الحصانة القانونية من القانون العراقي. في أكتوبر، أعلن الرئيس أوباما أن 39000 جندي متبقين سيغادرون البلاد في نهاية عام 2011. وأعلن الجيش الأمريكي رسميًا انتهاء مهمته في العراق في حفل أقيم في بغداد في 15 ديسمبر، عندما استعدت القوات الأمريكية النهائية للانسحاب من الدولة.

"دمّرت الحرب الأمريكية - البريطانية العراق بما في ذلك الكثير من تراثه الحضاري الذي لا يقدّر بثمن، ونهبت متاحف بغداد، وتشكّل محتوياتها سجلا فريدا للحضارات القديمة، وكان ومثيرا للاهتمام أن جنودا أمريكيين وبريطانيين قد شجعوا أعمال النهب، ورحبوا بالفوضى التى انتشرت في المجتمع العراقي، وربما كان منظرو السياسة الأمريكية عازمين على تدمير الحضارة العراقية كوسيلة لتحطيم العنفوان التاريخي لشعب العراق، وترك أثر نفسي على الشعب والنظام، وجرت عمليات سرقة كبيرة جدا للكنوز الأثرية العراقية قام ببعضها جنود أميركيون"[92].

ويتضح مما سبق أن تعرض الولايات المتحدة للهجوم الإرهابي، ونجاحها في اقناع الأوساط العالمية بأن الجماعات الإرهابية وامتلاكها الأسلحة الدمار الشامل هي الخطر الوشيك على الأمن البشري؛ كلها ساعدت الولايات المتحدة لتحقيق الدعم والتأييد من جانب المجتمع العالمي، لإعلانها الحرب على الإرهاب

[91] المرجع السابق

[92] سهيل، محمّد طقّوش. تاريخ العراق الحديث والمعاصر. دار النفائس، بيروت، 2015، ص 402.

وشنّ سلسلة من الحروب والاحتلال أولا على أفغانستان ثم العراق. لكن ظهرت تدريجيا أن حججها ومبرراتها كانت وسيلة سرية لتأمين هيمنتها الإقتصادية والسياسية والثقافية في مستوى العالم، حين قام المجتمع العالمي بنقدها وسحب تأييدها.

الفصل الثانى

الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي

كان عام 2003 عامًا انتقاليًا في تاريخ العراق، حيث بدأ عصر استعمار التحالف الدولي، وانتهى زمن الدكتاتورية، وظهر فجر الحرية المطلقة بالنسبة للأدباء؛ لكن مهّد الطريق لصراع طائفي، وتحدّى لكيان شخصي، وأصبح الانفجار واقعا عاديا، وتحوّل العراق ميدان القتل والموت. فإن ظهور داعش، مع غزو مدينة الموصل في شمال البلاد، أضاف بُعدًا كارثيًا ومعقدًا آخر للوضع. هذان الحدثان المأساويان كانا سببًا للدمار والاضطراب الذي عطل العراق بشكل جذري وأصبح مصدر إلهام للفنانين بشكل عام، و للروائيين العراقيين بشكل خاص. فالرواية، في دورها كمنفذ تعبيري للواقع الجديد بعد غزو عام 2003، شهدت لتغيير جذري في تركيزها وتقنياتها وأسلوبها السردي كما شهد العراق لتغيره التاريخي. إن العنف والفساد والموت المنتشرة بعد انزياح حزب البعث عن السلطة، هو ما يحدد الانشغال العام للروائي العراقي ما بعد الاحتلال.

تحول الرواية العراقية بعد الاحتلال

الرواية في العراق لم تحظ بالشعبية والشهرة التي تمتع بها الشعر، لأن العراق كان = من الأماكن التي ترسخ فيها الشعر العربي في الماضي، بالإضافة إلى القيود السياسية والأيديولوجية التي قيدت إنتاجات الروائيين في الماضي. لكن احتلال 2003 وما تبعه من الواقعات، أحدث تحولات كبيرة في المشهد الثقافي المحلي، وانفتاحا أكبر على التجارب الأدبية العربية والعالمية، وهو ما كان مؤذنا بميلاد جيل من الروائيين كانوا أكثر جرأة في التعاطي مع مفردات الواقع العراقي وتعقيداته، عبر أعمال نال بعضها جوائز عربية وعالمية.

وتبرز قضية الاحتلال الأميركي في مقدمة القضايا التي تصدى لها هؤلاء الروائيون، لأن الغزو وما أحدثه من انقسامات اجتماعية وسياسية ومذهبية قدم مادة خصبة يستقي منها هؤلاء الكتاب قصصهم، وهو ما دفع البعض لتناوله روائيا عبر عدة أعمال كانت من بينها رواية "ذكريات معتقة باليوريا" للكاتب علي عبد الرحمن الحديثي، التي تتحدث عما يدور في معتقلات أبي غريب وبوكا الأميركية[93].

وفيما قال الحديثي "إن الواقع العراقي لم يأخذ حقه بعد بما يكفي في أعمال الروائيين الشباب، رغم العديد من الأعمال المهمة، مضيفا أن أحد أهم أسباب عدم انتشار الرواية العراقية مقارنة بمثيلاتها العربية يعود إلى ضبابية الواقع المحلي التي جعلت الكاتب العراقي يقف في حيرة أمام فوضى عارمة في كل شيء، إذ لا يمكن لشخص أن يصف وجها لا ملامح له"[94]؛ ويتضح من تعبيره أن المثقف العراقي محمّل بإرث من الصمت يمتد إلى عقود، ولم يكن قادرًا على الكتابة عنه في ذلك الوقت، لكنه انبثق اليوم للتعبير عنه في شكل روائي.

"ولو نظرنا إلى عدد الروايات الصادرة بعد احتلال 2003 وحتى العام 2014. أي بفترة زمنية قوامها تسعة أعوام، سنجدها كثيرة جداً قياساً إلى العدد الصادر طيلة عمر الرواية العراقية، فخلال تلك الفترة صدرت 470 رواية، بينما المجموع الكلي، وحسب كتاب "الفهرست الكامل للرواية العربية في العراق" للدكتور نجم عبد الله كاظم، الذي أرشف لهذا الفن خلال قرن كامل، من 1919– 2018، هو 2382 رواية، بدءاً من "الرواية الإيقاظية لسليمان فيضي 1919، ومروراً برواية "جلال خالد" لمحمود أحمد السيد 1928، وانتهاءً بروايات الأجيال الجديدة"[95].

[93] الجبوري، مروان، الرواية العراقية الجديدة. قصة تحولات بين عصرين. ثقافة، الجزيرة، 23\08\2017، الرواية-العراقية-الجديدة-قصة-تحولات/https://www.aljazeera.net/culture/2016/3/28

[94] المرجع السابق

[95] الخالدي، ضياء، الرواية العراقية بعد نيسان 2003. ثقافة، عالم الجديد، الأحد 31 تموز 2022. الرواية-العراقية-بعد-نيسان-2003-https://al-aalem.com/article/51694-

وإذا تم تسليط الضوء على القيمة الإبداعية من خلال نماذجها للرواية بعد عام 2003 ، فيمكن ملاحظة ارتفاع كبير لن تفوت عين الطالب والمهتم. الروايات التي تجاوزت انتشارها المحلي إلى لغات العالم، وقدمت الموضوع العراقي الساخن، بملامح تميزه عن ما سبق. وأصبح تاريخ الإنسان العراقي كله متاحاً للبحث والتنقيب، وأصبحت الواقعية فيه طريقاً واضحاً لمرور ما كان بعيداً عن التفكير. ويأثر ضياء الخالدي في مقالته المعنونة (الرواية العراقية بعد نسيان 2003) قول الناقدة العراقية د. نادية هناوي سعدون "ما عاد الروائي العراقي منشغلا بالآليات قدر انشغاله بالثيمات، لاسيما عند أولئك الكتاب الذين بزغ نجمهم في ظل التغيير وما بعده، ولعل هول المرحلة المعاشة بوصفها انعطافة خطيرة في تاريخ العراق المعاصر، وما رافقها من كم هائل من الموضوعات الطازجة والجديدة وغير المعتادة هو السبب وراء هذا اللهاث في احتواء أكبر قدر من تلك الموضوعات في مقابل تجاهل غير مقصود للأشكال والمباني"[96].

تنوعت المواضيع وتقاطعت في جوّ ساخن من الأسئلة، وإعادة صياغة ما تم طرحه في العقود الماضية حول نقاط التحول الرئيسية في تاريخ العراق الحديث، بدءاً من ولادة الدولة ومرورها بالانقلابات والحروب الفاشلة والناجحة في آن واحد، وعواقبها؛ وانتهاء بالفترة المباشرة التي تواجدت فيها قضية الإرهاب والعنف الطائفي، وغياب بوصلة في مجتمع يحاول إيجاد مخرج من المأزق الذي يحل محل جلده حسب نوع القوة ولونها. لذلك ظهرت مواقف من تلك المنعطفات الكبيرة، وبقدر ما كانت إيجابية في إثراء الرؤية والنقاش حول آثارها من أجل الاقتراب من فهمها، بدا الأمر سلبيًا من ناحية أخرى، في التشتيت القيمة المعرفية التي تطمح إلى تفكيكها ورسم ملامحها العامة.

تكشف نظرة سريعة على تاريخ الرواية في العراق أنها رواية مشاريع فردية غير مكتملة قبل عام 2003 ، وسط نزعة غامرة من قبل الكتاب إلى الشعر والقصة القصيرة مع استثناءات قليلة مثل غائب طعمة

[96] المرجع السابق

فرمان وعبد الرحمن مجيد الربيعي وفؤاد التكرلي وعبد الخالق الركابي ومهدي عيسى الصقر الذين أعطوا الزخم المؤثر للرواية العراقية. فالقصة القصيرة، الفن الأقرب للرواية، وأيضا أن بعض الكتاب أنفسهم كتبوا في كلا الجنسين، ارتقت مكانة وتميزت بنماذج لم تستطع الرواية الاقتراب منها مدّة هذه العقود. وفي رأي ضياء الخالد أن الأمر "لم يكن له علاقة بشعبية هذا الجنس الأدبي عن الآخر، سواء أكان محلياً أم عالمياً، وإنما بسبب ظروف بعضها يتعلق بسهولة وصعوبة النشر، والبعض الآخر بالتقلبات السياسية التي كان يشهدها العراق، ومساحات الحرية التي تفرض قيودها على الرواية أكثر من القصة القصيرة التي تتيح خصائصها الفنية في تمرير ما يريده الكاتب"[97].

وهناك، في تاريخ الرواية العراقية مشاريع من نوع آخر، كانت فيها السلطة السياسية هي الموجّه في صناعة حالة من الهوس غير الحقيقي بالرواية، وظهر ذلك في عقد الثمانينيات خلال سنوات الحرب العراقية الإيرانية، حيث تضاعف عدد الروايات بشكل ملفت، وظهرت مسابقات لهذا الفن، مجزية مادياً، ولكننا اليوم عند النظر إبداعياً لتلك الروايات، فأننا نجدها بعيدة عن التناسب الفني المتوقع مع حجم اصداراتها. تبدو القيمة الفنية ضحية لخطاب لا علاقة له بالأدب جاء من خارجها، وفرض بشكل لا شعوري أو شعوري على الروائيين الدخول في مناطق فقيرة ومكتشفة تضاريسها مسبقاً لدى القارئ. يكفي لنا القول، أن أغلب الروايات الفائزة بالمراكز الأولى في مسابقات تلك الحقبة، وطيلة سنوات الحرب، لم تستطع البقاء كنماذج في العقود التي تلت. ناهيك أن الدارس والمهتم اليوم لا يستطيع الوصول إلى جل حقيقة الاحاسيس التي كان يعاني منها الجندي مثلاً، باعتباره الشخصية الأبرز، أو تلمّس مشاعر الأم المنكوبة وهي تودع ابنها القتيل – الشهيد.

تكرر مثل هذا المشروع في النصف الثاني في عقد التسعينيات، ولكن هذه المرة كان العدو مختلفاً، والموضوعة عادت من جبهات القتال إلى الداخل الممزق بالعوز والحاجة الفعلية إلى الطعام والدواء جراء

[97] المرجع السابق

الحصار الاقتصادي العالمي بسبب حرب الخليج الثانية، فعادت مجدداً زاوية النظر الضيقة للواقع لتمر عبر قنوات يدركها الروائي جيداً، ولا يحيد عنها، وبدا الصمود أمام المآسي الثيمة الأبرز، والشيطان بمعناه السياسي هو المسبب للكوارث. الشيطان كان الآخر.. لذلك، كان الكم هو اللافت فقط، عبر برنامجي نشر لكل واحد منهما مئة رواية. أي مئتا رواية صدرت في بحر سنوات قليلة.

ومن جانب آخر، ينبغي أن نشير إلى صدور روايات حاولت الخروج عن الطوق الصارم في مشاريع العقدين الثمانيني والتسعيني من القرن الماضي، وعبر استثمار حذر لكل ما تقدمه النظريات الأدبية الممكنة في تشتيت أو تكسير صورة الواقع إلى شظايا يصعب جمعها للوهلة الأولى. لكنها تبقى قليلة جداً، ويظهر فيها هاجس الابتعاد عن الضرر، أو مداواة جرح الذات المدفوعة إلى دروب لا تريد أن تسلكها.

لذلك، وبعد زوال كل تلك الحواجز بعد نيسان 2003 بدت الرواية العراقية وكأنها تريد وضع يدها على أكبر مساحة من الحرية، كما باتت متاحة للقراءة أعمال "رغم قلتها" كتبها روائيون كانوا خارج السلطة في المنافي، ما دعا إلى ظهور قضية في وقتها شغلت الواقع الأدبي العراقي بما يُسمى "أدب الداخل" و "أدب الخارج"، وتناول النقاد الخصائص الفنية والتباين بينهما، لكن ذلك سرعان ما زال بعد سنوات قليلة، وفورة الروايات الجديدة الصادرة من كلا الاتجاهين، الذين أتاح لهم التغيير حرية كانوا يسعون إليها. بينما الروائيون الأقدم احتاجوا وقتاً أطول قليلاً لاستيعاب مناخ المرحلة الجديدة، والعودة بكتابة لها ملامح يمكن تمييزها عن غيرهم. وترصد د. نادية هناوي سعدون ذلك بقولها "ذهب التصنيف القطاعي النوعي لفن الرواية في العراق في مرحلة التغيير ما بعد عام 2003 إلى تمييز صنفين روائيين مختلفين على مستوى الخطاب والبناء، أولهما صنف روائي تابع لما قبل التغيير، مُقاطع لما بعد التغيير، قابع في الظل شاهدا ومراقبا متمسكا بمعاييره المعتادة والكلاسيكية. وثانيهما صنف روائي مساير للتغيير وما بعده حاملا معايير تنظيرية مستجدة انتظمت بموجبها المتغيرات الجديدة والوقائع المستحدثة".

بين توثيق التاريخ وتصوير الواقع

يبدو أن أحد أسباب ظهور الرواية العراقية في السنوات الأخيرة توافر الوقائع والأحداث بالنسبة لإنجازات الرواد الأوائل. فهناك اختلافات بين جيلي قبل عام 2003 وما بعده، حيث يقول الروائي عامر العيثاوي "إن الموضوعات التي كانت تعالجها روايات فؤاد التكرلي وجبرا إبراهيم جبرا وعبد الستار ناصر وغيرهم، كانت القضايا السياسية والاجتماعية والثورات والانقلابات العسكرية في خمسينيات وستينيات القرن الماضي، وتمخضات الحرب العراقية الإيرانية، وكذلك حفلت روايات تلك الحقبة بأعمال رمزية اعتمدت التاريخ والميثولوجيا"[98]. وهو يحاول لمقارنتها بالروايات بعد 2003 فيرى أنّ "مادتها هي التحولات العنيفة التي مرت بالمجتمع العراقي بعد الاحتلال الأميركي، وما تركته من معضلات وقضايا شائكة لا تزال تعمل في النسيج العراقي، كانتشار العنف والتهجير الطائفي والغربة عن الوطن، كما في روايتي "طشاري" لإنعام كجه جي و"فرانكشتاين في بغداد" لأحمد السعداوي"[99].

إن الرقابة الصارمة وعدم التطرق إلى الموضوعات التي تمس النظام السياسي أو التعامل مع المشاكل القومية والطائفية شجّعت العديد من الكتاب في الماضي إلى الكتابة بطريقة رمزية، ولكن اليوم حسب العثاوي أن العديد من الكتاب يخلطون بين الواقعية السحرية في أمريكا اللاتينية والفانتازيا، ويستفيدون من فنون الرواية الحديثة.

"وقد أسهمت تجربة اغتراب عدد من هؤلاء الروائيين في ولادة أعمال أحدثت صدى قويا في الساحة الثقافية، كما تقول الناقدة الأدبية نورس كوجر، حيث فاز بعضها بجوائز عربية وعالمية، مثل "فرانكشتاين في بغداد" و"الفتيت المبعثر" و"دوامات الرحيل" وغيرها. ورغم تنائي المسافات بين هؤلاء

[98] الجبوري، مروان، الرواية العراقية الجديدة. قصة تحولات بين عصرين. ثقافة، الجزيرة، 23\08\2017، الرواية-العراقية-الجديدة-قصة-تحولات/https://www.aljazeera.net/culture/2016/3/28

[99] المرجع السابق

الروائيين ووطنهم، فإنهم نقلوا الكثير من تفاصيل الحياة في العراق، وهو ما ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي في جعله أمرا متاحا"[100].

وتعتبر كوجر أن الكتاب مثل علي بدر وسنان أنطون ومحسن الرملي وغيرهم قد قدموا مساهمات جدّية في تشكيل رواية عراقية جديدة، حيث استخدموا تقنيات السرد المعاصرة منها تسلسل الأفكار والتلاعب بالعبارات والألفاظ واستخدام فن التناص، والسرد المشوق.

وهنا يشير يشير الباحث إلى أهم الروايات بعد 2003، مع مؤلفيها وناشريها للعقد الأول منذ الاحتلال. ولا محالة أن الفارق بين عدد الروايات المنشورة قبل الاحتلال وبعده أصدق دليل يؤكّد أثر احتلال الأمريكي في تحويل تاريخ الروايات العراقية.

أهم الروايات بعد الاحتلال الأمريكي

الرواية	المؤلف	الناشر	السنة
1) "الخائف والمخيف"	زهير الجزائري	المدى	2003
2) "الراقصة"	شاكر الأنباري	دار المدى	2003
3) "الضالان"	محمود سعيد	دار الآداب	2003
4) "المحبوبات"	عالية ممدوح	دار الساقي للطباعة والنشر	2003
5) "دروب" وغبار"	جنان جاسم حلاوي	دار الآداب	2003

[100] المرجع السابق

6) "عاشقان من بلاد الرافدين "	جاسم المطير	الدار العربية للعلوم	2003
7) عالم صدام حسين	مهدي حيدر	دار الجمل (ط2)	2003
8) قوة الضحك في أورا	حسن مطلك	الدون كيشوت	
		للنشر والتوزيع	2003
9) "ما بعد الحب	هدية حسين	المؤسسة العربية	
		للدراسات والنشر	2003
10) "إعجام"	سنان أنطوان	دار الآداب	2004
11) "أقمار عراقية في السويد"	علي عبد العال	دار المدى	2004
12) "امرأة الغائب"	مهدي عيسى الصقر	دار المدى	2004
13) "الأضرحة	عزيز التميمي	دار أزمنة	2004
14) "البلد الجميل "	أحمد سعداوي	دار الشؤون الثقافية	2004
15) "الحدود البرية"	ميسلون هادي	المؤسسة العربية	
		للدراسات والنشر	2004
16) "الصمت حين يلهو	خولة الرومي	دار المدى	2004
17) العودة إلى كاردينيا	فوزي كريم	دار المدى	2004
18) حمار على جبل	عبد الستار ناصر	المؤسسة العربية	

		للدراسات والنشر	2004
19) "زائية الوجد	عبد عون الرضوان	المؤسسة العربية	
		للدراسات والنشر	2004
20) زهرة الرازقي	سلام عبود	دار الحصاد، دمشق	2004
21) سوق هرج	عائد خصباك	دار الهلال، مصر	2004
22) شلومو الكردي وأنا والزمن	سمير نقاش	دار الجمل	2004
23) غايب	بتول الخضيري	المؤسسة العربية	
		للدراسات والنشر	2004
24) في الطريق إليهم	هدية حسين	المؤسسة العربية	
		للدراسات والنشر	2004
25) لجوءعاطفي	عبد الستار البيضاني	دار الشؤون الثقافية	
		العامة، بغداد	2004
26) مواسم الإسطرلاب	علي لفتة سعيد	دار الشؤون الثقافية	
		العامة، بغداد	2004
27) نبوءة الغيوم	عاتي البركات	دار الجمل	2004
28) نزوة الموتى	شاكر نوري	دار الفارابي	2004

29) نهر جاسم	قصي الشيخ عسكر	دار الأضواء	2004
30) ياسين وصحبه	حاتم جعفر	Regnbue Tryk-Copenhagen	2004
31) يوميات غياب الندى	أسعد الهلالي	وزارة الثقافة والسياحة اليمنية	2004
32) الجهجهون هذيان المرأة في بوابات المدن الشرقية	عبد الإله عبد القادر	المجلس الأعلى للثقافة	2005
33) الفريسة	لؤي حمزة عباس	دار الشؤون الثقافية، بغداد	2005
34) المزمار	حمودي عبد محسن	دار الكنوز الأدبية، بيروت	2005
35) الوحل	عزيز التميمي	إصدار خاص، عزيز التميمي	2005
36) الوليمة العارية	علي بدر	دار الجمل	2005
37) تحت سماء الكلاب	صلاح صلاح	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	2005

38) حديث الكمأ	صبري هاشم	دار كنعان، دمشق	2005
39) صخب ونساء وكاتب مغمور	علي بدر	المؤسسة العربية	
		للدراسات والنشر	2005
40) صورة يوسف	نجم والي	المركز الثقافي العربي	2005
41) سفر السرمدية	عبد الخالق الركابي	المؤسسة العربية	
		للدراسات والنشر (ط2)	2005
42) سواقي القلوب	أنعام كجه جي	المؤسسة العربية	
		للدراسات والنشر	2005
43) عراقي في باريس	صموئيل شمعون	دار الجمل	2005
44) فيكتوريا	سامي ميخائيل	دار الجمل	2005
45) لغات عائشة	رياض الأسدي	دار الشؤون الثقافية،	
		بغداد	2005
46) ليلى والقرد	سعد هادي	منشورات -نينوى	2005
47) متعتك نفسي	إيمان محمد	المكتب المصري	
		للمطبوعات	2005
48) مزاعل الخوف	جاسم الرصيف	المؤسسة العربية	

		للدراسات والنشر	2005
49) ممرات السكون	إقبال قزويني	دار أزمنة	2005
50) ميلاد حزين	علي عبد العال	دارحوران للطباعة	
		والنشر، دمشق	2005
51) ناسوس	محيي الدين زنكنة	دار فاراس	
		للطباعة والنشر	2005
52) اغتيال نوبل	أسعد الجبوري	الشركة العربية الأوربية	
		للآداب والنشر	2006
53) أماكن حارة	جنان جاسم حلاوي	دار الآداب	2006
54) الجنائن المغلقة	برهان الخطيب	دار الشؤون الثقافية	
		العامة، بغداد	2006
55) الدنيا في أعين الملائكة	محمود سعيد	دار ميريت	2006
56) الوحل النهائي	آمال كاشف الغطاء	ديوان الكتاب للثقافة	
		والنشر	2006
57) تجريد شرقي	سعد هادي	دار نينوى	
		للدراسة والنشر	2006

58) ديالاس بين يديه	شاكر نوري	دار الفارابي	2006
59) رقص على الماء (أحلام وعرة)	محمود البياتي	المؤسسة العربية	
		للدراسات والنشر	2006
60) زقاق الألم	فاضل عباس	مؤسسة العارف	
		للمطبوعات، بيروت	2006
61) سبت يا ثلاثاء	زيد الشهيد	دار أزمنة	2006
62) على فراش الموز	عبد الستار ناصر	المؤسسة العربية	
		للدراسات والنشر	2006
63) عندما تستيقظ الرائحة	دنى غالي	دار المدى	2006
64) عندما خرجت من الحلم	علي عباس خفيف	دار أزمنة، عمان	2006
65) فريدة	نعيم قطان	دار الجمل	2006
66) مصابيح أورشليم	علي بدر	المؤسسة العربية	
		للدراسات والنشر	2006
67) يحدث في البلاد السعيدة	ضياء الخالدي	دار الشؤون الثقافية	
		العامة، بغداد	2006

68) أرض الليالي	ناظم العبيدي	دار الشؤون الثقافية، بغداد	2007
69) أطياف الندى	صبري هاشم	دار كنعان دمشق	2007
70) الأعزل	حمزة الحسن	مؤسسة الانتشار العربي	2007
71) التشهي	عالية ممدوح	دار الآداب	2007
72) التل	سهيل سامي نادر	دار المدى	2007
73) الدكتاتور فناناً	رياض رمزي	دار الساقي للطباعة والنشر	2007
74) الركض وراء الذئاب	علي بدر	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	2007
75) السراب الأحمر	علي الشوك	دار المدى	2007
76) السؤال	شاكر خصباك	دار الحداثة للطباعة والنشر	2007
77) الشماعية	عبد الستار ناصر	دار المدى	2007
78) الضلع	حميد العقابي	دار الجمل	2007
79) الطاطران	عبد الستار ناصر	المؤسسة العربية	

		للدراسات والنشر	2007
80) جمعة يعود إلى بلاده	خالد المعالي	دار الجمل	2007
81) جزيرة الهدهد	صبري هاشم	دار كنعان دمشق	2007
82) رؤوس الحرية المكيسة	جاسم الرصيف	المؤسسة العربية	
		للدراسات والنشر	2007
83) صرخة البطريق	حمزة الحسن	دار أزمنة للنشر والتوزيع	2007
84) غوايات	عبد المطلب محمود	اتحاد الكتاب العرب	2007
85) كتابة على التراب	عبد الجبار ناصر	الهيئة المصرية العامة	
		للكتاب	2007
86) كوبنهاجن - مثلث الموت	حسين السكاف	دار ميريت	2007
87) لعنة ماركيز	ضياء الجبيلي	اتحاد الأدباء والكتاب	
		في البصرة	2007
88) محطة قطار براماتا	عبد اللطيف الحرز	دار الفارابي	2007
89) نبوءة فرعون	ميسلون هادي	المؤسسة العربية	
		للدراسات والنشر	2007
90) أقصي العالم	ناظم العبيدي	دار المدي	2008

91) التراب لا يتشابه	فاطمة الحساني	دار نينوى	2008
92) الإرسي	سلام إبراهيم	الدار للنشر والتوزيع	2008
93) الحفيدة الأميركية	إنعام كجه جي	دار الجديد	2008
94) الصليب... حلب بن غريبة	فهد الأسدي	اتحاد الأدباء والكتاب في العراق	2008
95) الظلال الطويلة	أمجد توفيق	منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق	2008
96) الكلمات الساحرات	شاكر الأنباري	دار التكوين (ط2)	2008
97) المأزق	عامر حسين	دار الفارابي	2008
98) أموات بغداد	جمال حسين علي	دار الفارابي	2008
99) إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت	أحمد سعداوي	دار المدى	2008
100) بلاد سعيدة	شاكر الأنباري	دار التكوين	2008
101) بلقيس والهدهد	علي خيون	التكوين للطباعة والنشر	2008
102) بنات يعقوب	محمود سعيد	دار فضاءات للنشر	2008
103) ثلاثية شيكاغو	محمود سعيد	دار آفاق	2008

104)	حارس التبغ	علي بدر	المؤسسة العربية	
			للدراسات والنشر	2008
105)	حجاب العروس	محمد الحمراني	دار المدى	2008
106)	حكاية من النجف	حمودي عبد محسن	دار فيشون	
			ميديا السويد	2008
107)	حليب المارينز	عواد علي	دار فضاءات	
			للنشر والتوزيع	2008
108)	حمار وثلاث جمهوريات	كريم كطافة	دار الجمل	2008
109)	حينما خرجت من الحلم	علي عباس خفيف	دار أزمنة	2008
110)	خضر قد والعصر الزيتوني	نصيف فلك	دار الجمل	2008
111)	خلف السدة	عبد الله صخي	دار المدى	2008
112)	رسائل حب خليجية	جاسم المطير	الدار العربية	
			للعلوم ناشرون	2008
113)	صباح يوم معتم	حسين عبد الخضر	دار الكتاب العربي،	
			بيروت	2008
114)	صورة يوسف	نجم والي	دار ميريت القاهرة	2008

115)	ضيف على بنات آوى	أحمد محمد أمين	دار نينوى 2008
116)	طوفان صدفي	سعدي عوض الزيدي	دار الشؤون الثقافية العامة بغداد 2008
117)	عزاء أبيض أو ليلة وأد بغداد	أطوار بهجت	العربية للصحافة والإعلام، أبو ظبي 2008
118)	على ضفاف بابل	خالد القشطيني	دار رياض الريس 2008
119)	غرباء في الرمادي	جاسم سلمان	دار الفارابي 2008
120)	فراسخ لآهات تنتظر	زيد الشهيد	دار ورد الأردن 2008
121)	فضاء القطرس	شوقي كريم	اتحاد الكتاب والأدباء بغداد 2008
122)	قيامة بغداد	عالية طالب	شمس للنشر والتوزيع 2008
123)	كلاب كلكامش	شاكر نوري	الدار العربية للعلوم ناشرون 2008
124)	كوميديا الحب الإلهي	لؤي عبد الإله	دار المدى 2008
125)	ليلة الملاك	نزار عبد الستار	دار أزمنة 2008

126) ما بعد الجحيم	حسين سرمك حسن	اتحاد الكتاب العرب	2008
127) مثلث متساوي الساقين	علي الشوك	دار المدى	2008
128) مطر الله	هدية حسين	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	2008
129) مقامة الكيروسين	طه حامد الشبيب	دار فضاءات للنشر والتوزيع	2008
130) مقهى مراكش	منعم الفقير	دار شمس، القاهرة	2008
131) هوركي أرض آشور	صبري هاشم	دار كنعان، دمشق	2008 -
132) أرابيسك	علي عبد الأمير صالح	دار أزمنة	2009
133) أشرعة الهراء	خالدة خليل	دار شمس القاهرة	2009
134) أطراس الكلام	عبد الخالق الركابي	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	2009
135) أقتفي أثري	حميد العقابي	دار طوى	2009
136) الجدار	ليلى جراغي	الدار العربية للعلوم ناشرون	2009
137) الحكاية السادسة	طه حامد الشبيب	دار فضاءات	2009
138) الحياة لحظة	سلام إبراهيم	الدار المصرية اللبنانية	2009

139) العزيز	قاسم حول	الدار العربية للعلوم	2009
140) الغبار الأمريكي	زهير الهيتي	دار الساقي	2009
141) المنطقة الخضراء	شاكر نوري	الدار العربية للعلوم ناشرون	2009
142) أيام كنا نحتال على الأشياء	علي حداد	دار شرق غرب للنشر	2009
143) بوهيميا الخراب	صلاح صلاح	دار التنوير للطباعة والنشر	2009
144) تمر الأصابع	محسن الرملي	الدار العربية للعلوم ناشرون	2009
145) جنة العتاد	إبراهيم سبتي	دار ينابيع، دمشق	2009
146) حرب العاجز	زهير الجزائري	دار الساقي	2009
147) حسناء الهور	عبد اللطيف الحرز	الدار العربية للعلوم ناشرون	2009
148) حلم وردي فاتح اللون	ميسلون هادي	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	2009
149) حمام نساء في أور	نعيم عبد مهلهل	دار فضاءات	2009

150) خريطة كاسترو	خضير فليح الزيدي	دار الينابيع للطباعة والنشر	2009
151) دعبول	أمل بورتر	دار فضاءات	2009
152) رماد الحب	علي خيون	دار الآداب	2009
153) زنابق بين الألغام	علي الشوك	دار المدى	2009
154) سلوة العشاق	علي خيون	دار نينوى	2009
155) سيدات زحل	لطفية الدليمي	دار فضاءات	2009
156) سوسن وعثمان	أمل بورتر	دار فضاءات للنشر والتوزيع	2009
157) سيناريو حياة النمر	حسن عبد الرزاق	دار الينابيع دمشق	2009
158) شروكية	شوقي كريم حسن	إصدار خاص (المؤلف)	2009
159) شكراً أيتها المصادفة	فاطمة الحساني	دار أزمنة	2009
160) ضياع في حفر الباطن	عبد الكريم العبيدي	مؤسسة مسارات للتنمية الثقافية والإعلامية بغداد	2009
161) عقيق النوارس	لميس كاظم	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	2009
162) فتاة من طراز خاص	علي الشوك	دار المدى	2009

163) قال الأفعوان	سعد سعيد	دار إيبلا، دمشق	2009
164) قيثارة مدين	صبري هاشم	دار كنعان دمشق	2009
165) ليالي الأنس في شارع ابي نؤاس	برهان الخطيب	دار الفرقد	2009
166) مأتم	طه حامد الشبيب	دار فضاءات	2009
167) مكنسة الجنة	مرتضى كزار	دار أزمنة	2009
168) ملوك الرمال	علي بدر	المؤسسة العربية	
		للدراسات والنشر	2009
169) مواسم العطش	حسين عبد الخضر	دار أزمنة	2009
170) مواء	طه حامد الشبيب	دار فضاءات	2009
171) نوار	أمل بورتر	دار فضاءات	2009
172) نخلة الواشنطونيا	عواد علي	دار فضاءات	2009
173) هواء قليل	جنان جاسم حلاوي	دار الآداب	2009
174) وجه فنسنت القبيح	ضياء الجبيلي	اتحاد الأدباء والكتاب	
		فرع البصرة	2009
175) الحلم العظيم	أحمد خلف	دار المدى	2010
176) الشاحنة	محمود سعيد	دار شمس القاهرة	2010

177) الصندوق الأسود كليزار أنور المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2010

178) الطعنة محمود سعيد دار فضاءات 2010

179) العزف في مكان صاخب علي خيون دار الفرقد 2010

180) المحرقة قاسم محمد عباس دار المدى 2010

181) الختم الأسود فاضل عباس الموسوي دار الينابيع 2010

182) الميتة الثالثة والاخيرة لعبد شويخ البدوي أسعد الهلالي دار الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة العراقية 2010

183) أنف الوردة... أنف كيلوباترا نعيم عبد مهلهل دار نينوى 2010

184) أوراق الزمن الداعر صلاح صلاح دار التنوير للطباعة والنشر 2010

185) بطن صالحة علي عبد النبي الزيدي دار الينابيع، دمشق 2010

186) بين الجنة والنار أحمد غانم عبد الجليل مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية

		والمعلومات، القاهرة	2010
187) تحت سماء القطب	يوسف أبو الفوز	مؤسسة موكرياني	
		للبحوث والنشر	2010
188) تحت سماء كوبنهاغن	حوراء النداوي	دار الساقي	2010
189) تعالى وجع مالك	حميد الربيعي	دار الينابيع	
		للطباعة والنشر	2010
190) تغريبة ابن زريق			
البغدادي الأخيرة	سلام عبود	دار الحصاد، دمشق	2010
191) حارس السلالة	حمزة الحسن	دار فضاءات للنشر	2010
192) حقوق الخاتون	حمزة الحسن	دار فضاءات للنشر	2010
193) ديسكو لاند	أسعد الجبوري	دار فضاءات	2010
194) ذيل نجمة - سيرة معمول لهم	خضير فليح الزيدي	دار رند	2010
195) رائحة الزعفران	عاتي بركات	دار الجمل	2010
196) ستة أيام لاختراع قرية	علي عباس خفيف	دار أزمنة، عمان	2010
197) شاي العروس	ميسلون هادي	دار الشروق للنشر	2010
198) عين الدود	نصيف فلك	دار الجمل	2010

199) غرام برغماتي	عالية ممدوح	دار الساقي	2010
200) قناديل مطفأة	لميس كاظم	دار الكتاب العربي	2010
201) ملائكة الجنوب	نجم والي	دار المدى	2010
202) من لا يعرف ماذا يريد	سميرة المانع	دار المدى	2010
203) نجمة البتاووين	شاكر الأنباري	دار المدى، بغداد	2010
204) نساء العتبات	هدية حسين	دار فضاءات للنشر والتوزيع	2010
205) هناك في فج الريح	عبد الرحمن مجيد الربيعي	دار نقوش عربية	2010
206) وحدها شجرة الرمان	سنان أنطوان	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	2010
207) يا حادي العيس	سعد سعيد	دار فضاءات للنشر والتوزيع	2010
208) أحاديث يوم الأحد	علي الشوك	دار جداول للنشر والتوزيع	2011
209) أساتذة الوهم	علي بدر	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	2011
210) اعترافات رجل لا يستحي	سليم مطر	"	2011

211) الأمريكان في بيتي	نزار عبد الستار	"	2011
212) الذئاب والزمرد	عبد الكريم العبيدي	دار ميزوبوتاميا، بغداد	2011
213) الصدأ	ليلى جراغي	دار نينوى	2011
214) الغبش	شاكر المياح	دار الينابيع، دمشق	2011
215) اللعبة المحكمة	كريم السماوي	دار فيشون ميديا السويد	2011
216) أيام المستعصم الأخيرة	عبد الجبار ناصر	الدار العربية للكتاب	2011
217) إيقاع غريزة الفراشات	سامي البدري	دار تموز ورند	2011
218) بنات آل سلطان	إيناس فاضل	البدران منشورات البحر	2011
219) بوصلة غضبان بن شداد	حسن عبد الرزاق	دار ميزوبوتاميا، بغداد	2011
220) بوغيز العجيب	ضياء الجبيلي	مؤسسة الدوسرى للثقافة والإبداع في المنامة، البحرين	2011
221) بيتهوفن يعزف للغرباء	فاتن الجابري	دار الشؤون الثقافية وزارة الثقافة، بغداد	2011
222) حفيد الـ"بي بي سي"	ميسلون هادي	المؤسسة العربية	

		للدراسات والنشر	2011
223)	حكايتي مع رأس مقطوع	تحسين كرمياني	المؤسسة العربية
		للدراسات والنشر	2011
224)	خميلة الأجنة	علي عبد الأمير صالح	المؤسسة العربية
		للدراسات والنشر	2011
225)	رحلة انتقام	نصير العراقي	دار كتابنا للنشر 2011
226)	شظايا وطن	فاطمة الحساني	دار أزمنة 2011
227)	صداقة النمر	لؤي حمزة عباس	دار العين، القاهرة 2011
228)	على تخوم الألفين	برهان الخطيب	جمعية نوافذ 2011
229)	عودة المهاجر	فهمي محمود شكري	دار الحكمة لندن 2011
230)	فاطمة أو ذكرى الناصرية	ليث سهر الزيدي	مؤسسة مصر مرتضى
			للكتاب العراقي 2011
231)	قشور بحجم الوطن	ميثم سلمان	دار فضاءات
			للنشر والتوزيع 2011
232)	قلب اللقلق	زهير الجبوري	دار فضاءات
			للنشر والتوزيع 2011

233) كواكب هلسنكي	يوسف أبو الفوز	دار المدى	2011
234) مدينة الصور	لؤي حمزة عباس	الدار العربية للعلوم ناشرون	2011
235) مملكة البيت السعيد	حنون مجيد	دار فضاءات للنشر والتوزيع	2011
236) منسي	علي جاسب	تموز للطباعة والنشر	2011
237) نطة الضفدع	محمود سعيد	دار الغاوون	2011
238) وادي الغزلان	محمود سعيد	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	2011
239) وأقبل الخريف مبكراً هذا العام	قصي الشيخ عسكر	شمس للنشر والتوزيع	2011
240) وديعة إبرام	طه حامد الشبيب	دار فضاءات للنشر والتوزيع	2011
241) يوميات فتاة عراقية تقاوم العنوسة	كلشان البياتي	جداول للنشر والتوزيع	2011
242) أخبار آخر الهجرات	برهان الخطيب	جمعية نوافذ	2012

243) إستلوجيا	صلاح صلاح	دار التنوير للطباعة والنشر	2012
244) أسفل خاص	أسعد الهلالي	دار شمس، القاهرة	2012
245) أشهر من شهريار	هاشم شفيق	ثقافة للنشر والتوزيع	2012
246) الأشباح والوهق	سليم جواد	دار أزمنة للنشر	2012
247) السيد أصغر أكبر	مريضى گزار	دار التنوير للطباعة والنشر	2012
248) العودة إلى البيت	وديع شامخ	دار ضفاف للطباعة والنشر	2012
249) العودة إلى الرصيف	غالب حسن الشابندر	فيشو ميديا فكشو / السويد (ط2)	2012
250) القنافذ في يوم ساخن	فلاح رحيم	دار الكتاب الجديد المتحدة	2012
251) الموت للحياة	غادة صديق رسول	دار الفارابي	2012
252) بغداد... مالبورو"	نجم والي	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	2012

253) بكاء مقابر الإنكليز في "بابل" نعيم عبد مهلهل دار نينوى للطباعة والنشر، دمشق 2012

254) بياض الليل سواد النهار غادة صديق رسول دار الفارابي 2012

255) ترنيمة امرأة... شفق البحر سعد محمد رحيم دار فضاءات عمان 2012

256) تمارا علي الشوك جداول للنشر والتوزيع 2012

257) جدد موته مرتين حميد الربيعي دار فضاءات، عمان 2012

258) حدائق الرئيس محسن الرملي ثقافة للنشر والتوزيع أبو ظبي 2012

259) حياة باسلة حسن النواب دار العين للنشر 2012

260) ذاكرة ارابجا محمد علوان جبر دار فضاءات، عمان 2012

261) ذبابة من بلد إلكتروني نهار حسب الله دار الينابيع، دمشق 2012

262) زينب وماري وياسمين ميسلون هادي المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2012

263) سفر الثعابين حميد الربيعي دار تموز، دمشق 2012

264)	شياطين	غالب حسن الشابندر	فيشو ميديا فكشو السويد (ط2)	2012
265)	غرباء مثل الحسين	عبد الجبار ناصر	الدار المصرية اللبنانية	2012
266)	فوهة في الفضاء	محمود سعيد	دار شرق غرب، بيروت	2012
267)	قتلة	ضياء الخالدي	دار التنوير	2012
268)	لظى الذاكرة	محمود جاسم النجار	الدار العربية للعلوم ناشرون	2012
269)	ما بعد الرماد	شاكر المياح	دار ميزوبوتاميا، بغداد	2012
270)	متاهة آدم	برهان شاوي	الدار العربية للعلوم ناشرون	2012
271)	مذكرات كلب عراقي	عبد الهادي السعدون	دار "ثقافة" أبو ظبي، الأمارات العربية	2012
272)	مرافئ الحب السبعة	علي القاسمي	المركز العربي، بيروت	2012
273)	مشرحة بغداد	برهان شاوي	الدار العربية للعلوم ناشرون	2012

ويتضح من قائمة الروايات المنشورة لعقد واحد (نوذجا) بعد الاحتلال الأمريكي أن عددها ازدادت، وخاصة بعد عام 2007، العام الذي بدأت قوات التحالف انسحابها تديجيا. لأن انسحاب قوات التحالف بذريعة اختيارها برلمانا جديدا تحت رئاسة العراقيين، دفع العراق إلى فوضى عارمة في ظلّ غياب القوانين الفعالة ومنفّذيها؛ من خلالها ظهر المسلحون، واحكموا سيطرتهم على العراق، وقادوا العراق من حالة مأساوية إلى ما أسوأ منها. فتعرض العراق للشرور الاجتماعية التي لم يشهدها من قبل. قام بتصويرها الروائيون العراقيون، لذا ازداد عدد الروايات بعد الاحتلال الأمريكي.

ملامح الرواية العراقية بعد الاحتلال

يقوم قيس كاظم الجنابي[101] بتلخيص أبرز ملامح الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي:

" أولاً، هشاشة المأوى، أو المسكن الذي يأوي اليه الانسان في أوقات راحته.

ثانياً، الحروب الطائفية والاقتتال الداخلي.

ثالثا، التغيير الديموغرافي، أو محاولة التدخل بتغيير هوية المكان من قبل المحتل وأعوانه من الأحزاب والكيانات السياسية المدعومة من خارج البلاد، وهو يستهدف الجميع من دون تمييز، وبطريقة قسرية فجة ولها أهداف مدفوعة الثمن من قوى خارجية"[102].

وهو يواصل "رابعاً، أزمة الهوية الوطنية وضمورها وانبثاق هويات بديلة عنها، منها طائفية أو عشائرية أو مناطقية، وظهور هويات ثانوية تحاول ازاحة الهويات المستقرة وزحزحتها من الفضاء الوطني.

خامساً، ارتباك البنى السردية، وتوزعها على أكثر من جانب، وحيرة الكاتب في تقديم الآخر بين الوضوح والتحايل على الواقع من خلال استخدام أساليب سردية غامضة، أو غير مؤثرة أو غائبة عن مسرح

[101] هو ناقد وباحث وكاتب عراقي، لديه العديد من المؤلفات والكتب والمقالات العلمية والأدبية، ومن مؤلفاته الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي.

[102] كاظم، قيس الجنابي، الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي، دار دجلة، 2021، ص 9-10

السردية العراقية، مثل سرد (السيرة الذاتية) وما وراء السرد (الميتا سرد)، وإيثار الجانب الحلمي ذي الخيال الجامح بعيداً عن الواقع"[103].

وكذا "سادساً، اضطراب النقد الأدبي الروائي، وتوزعه بين النقد الأسلوبي الغامض وبين النقد (السوسيو سياسي، أو السوسيو نقدي)، وهذا يعبر عن اضطراب حقيقي في مواكبة النص السردي وربما يشير إلى التغاضي عن أزمة الهوية التي عمل المحتل على تفاقمها لحماية أهدافه وسياساته؛ مما يشير بطريقة ما إلى تواطئ النقد المتمثل ببعض الأقلام التي تدعمه بما يتماشى مع المزاج العراقي المتقلب الذي يميل إلى النقد الجارح والألفاظ البذيئة غير القادرة على القراءة الصادقة للحدث وعلاقته بالبناء الروائي"[104].

بعد الإحتلال الأمريكي للعراق عام 2003 ، تغير الأدب وانتشر. يمكن للمرء أن يجادل بأن أحد الجوانب الإيجابية لهذه الحرب هو أنها منحت حرية جديدة للكتاب العراقيين الذين تم إسكاتهم في السابق خلال عهد صدام. من الواضح أن حرب عام 2003 قد أتاحت اندفاعًا للإبداع الأدبي داخل الكتاب وأن خيالهم أصبح أقل رسمية وأكثر تفكيرًا تقدميًا وأصليًا ومثيرًا للاهتمام حقًا. وقد استعاد بعض زخمه مع العودة إلى الواقعية الاجتماعية التي كانت سائدة قبل حكم صدام في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي. تسعى الروايات العراقية بعد عام 2003 إلى سرد تأثير الغزو على العراقيين. يميل الكتاب إلى تصوير مشاهد مروعة للعنف والتصدي لإرهاب العنف في العراق. يقدم الكتاب مثل حسن بلاسم وأحمد السعداوي ولؤي حمزة عباس مناظر لأشكال متطرفة من العنف في نصوصهم. يعزو بعض النقاد انتشار مثل هذه الروايات العراقية إلى سقوط نظام صدام حسين الديكتاتوري وممارسات نظامه الرقابية الصارمة. أحد هؤلاء المنتقدين هو هيثم بحورة الذي يجادل بأن هناك حاجة ملحة لسرد التجارب العراقية المكبوتة والمقموعة التي لا توصف، لأنها تفسر هذه الزيادة في الإنتاج الأدبي. ووفقاً للبحورة، فإن السمة المتكررة للإنتاج الثقافي العراقي بعد عام 2003 هي تصوير قطع الرأس، والأطراف المقطوعة

[103] المرجع السابق، ص 10

[104] المجع السابق، ص

والمشوهة، والجثث المعذبة، وبقايا الجثث المتفحمة. يحلل بمهارة هذا الاتجاه الأدبي باعتباره تدخلاً للتعبير عن الروايات التاريخية التي لا توصف أو المفقودة أو المكبوتة أو التي تم إسكاتها عمدًا عن ضحايا العنف البنيوي[105].

لذلك، فإن تفكك العراق، والحرب الطائفية، والتمرد على المحتلين الأمريكيين، وولادة سياسة طائفية من إرث من الخيانة والضحية والخسارة، تماسكها بعناية رواية كنعان مكية "الفتنة" 2016. مكية، مؤلف كتاب "جمهورية الخوف"، يروي في هذه الرواية القصة بعيون رجل مليشيا شيعي غيرت مشاركته في إعدام صدام حسين حياته بطرق لم يكن يتوقعها. "الفتنة" تصور فشل العراق في أعقاب الاحتلال الأمريكي. وتتناول قضايا الهوية باعتبارها واحدة من المشاكل الرئيسية للعراق كدولة. تُظهر هذه الرواية أن المؤلفين العراقيين يكتبون عن القضايا المحلّية والقلق التي أثرت على العراقيين في الوقت المناسب. ومن أهم القضايا الصراع القديم والعداوة وأزمة الهوية الطائفية والدينية. هؤلاء المؤلفون يرون أن الاحتلال الأمريكي صب الزيت على نار الهوية الطائفية الشيعية والسنية. حسب هذه الروايات يزعم سهيل نجم برأيي أن الرواية العراقية اليوم قد نضجت بما يكفي لرصد الوضع في العراق بتفاصيله المتداخلة. إنها قادرة على التقاط معظم التفاعلات بين الهويات المتنافسة في العراق، بحثًا عن وجود في المكان والزمان. نجح العديد من الكتاب العراقيين في رصد الوضع في العراق وتناقضاته بطريقة موضوعية أفضل من المحللين السياسيين الذين نشاهدهم في التلفزيون[106].

بالإضافة إلى ذلك، يُظهر هيثم بحورة أن الروايات العراقية بعد غزو واحتلال عام 2003 تصور الاختطاف الطائفي الوحشي الذي تتناثر جثث ضحاياه المقطوعة في شوارع بغداد، والطبيعة العادية للعنف، حتى مشاهد الإعدام العلني. مثل هذه الروايات والأساليب الأدبية تميز فشل الرمزية الوطنية العراقية. مثل

[105] Bahoora, Haytham. "WRITING THE DISMEMBERED NATION: THE AESTHETICS OF HORROR IN IRAQI NARRATIVES OF WAR." The Arab Studies Journal, vol. 23, no. 1, [Center for Contemporary Arab Studies, Arab Studies Journal, Arab Studies Institute], 2015, pp. 184–208, .http://www.jstor.org/stable/44744904

[106] Najm, Soheil. "Identity and Belonging: The American Occupation in the Iraqi Novel". Iraq Literary Review, vol. 3, 2013, pp. 30-35

هذه الروايات، يطارد فيها الماضي الحاضر. في حين كان الإنتاج الأدبي العراقي من أوائل القرن العشرين وحتى منتصفه متنوعًا بشكل راسخ في سياق النضال الوطني المناهض للاستعمار من أجل الاستقلال، فإن موضوعاته واهتماماته كانت تتعلق بصنع أمة، والوعد بعلاقات اجتماعية جديدة وإصلاحات اجتماعية و الصور الوطنية التلقائية. وعلى النقيض من ذلك، يرى بحورة أن الأدب العراقي بعد عام 2003 يدور حول "عدم صنع" الأمة العراقية: يؤرخ الأدب العراقي المعاصر تفكك الأمة وتقطيع أوصالها من قبل القوى الاجتماعية والسياسية، الداخلية والخارجية. الرواية العراقية المعاصرة هي أدب الحداد والصدمة التي، بشكل عام، لا تتطلع إلى المستقبل. في الوقت نفسه، كما في العصر الهاشمي، كان لهذا الأدب وظيفة سياسية وتاريخية أساسية.

إضافة إلى ذالك، تفحص إكرام المصمودي في كتابها War and Occupation in Iraqi Fiction (الحرب والاحتلال في الرواية العراقية) مجموعة كبيرة من الروايات غير المترجمة من داخل العراق من تأليف كتاب عراقيين لم يتمكنوا من الفرار من سلطة صدام الاستبدادية والاحتلال الأمريكي والعنف الطائفي. وتقول تميزت هذه الروايات بممارسات الرقابة التي اتبعها النظام البعثي خلال حكم صدام من الثمانينيات إلى 2003. لكن بعد عام 2003 قام المؤلفون العراقيون بتصوير الحرب الإيرانية العراقية وحرب الخليج عام 1991 بصدق وإلحاح شديد. كما تصور رواياتهم الاضطرابات الاجتماعية الرهيبة التي أحدثها الغزو الأمريكي وما تلاه من عنف طائفي. ووفقًا لها ، فإن هؤلاء الكتاب يؤرخون تجارب الديكتاتورية والقمع والحصار والحرب والاحتلال والعنف الطائفي التي بدأت مع الحرب العراقية الإيرانية عام 1980 من مجموعة من وجهات النظر والمواقف الحاسمة[107].

من أبرز الأمثلة الروائي العراقي أحمد السعداوي الذي كتب رواية فرانكشتاين في بغداد. إن الطابع الوحشي لفرانكشتاين في هذه الرواية هو رمز ملموس لمشاكل العراق السياسية والطائفية والهوية

[107] Masoudi, Ikram. War and Occupation in Iraqi Fiction; Edinburgh University Press; 2015

الحالية. يتكون بطل هذه الرواية من أجزاء مأخوذة من عراقيين من أعراق وطوائف مختلفة ويريد الانتقام نيابة عن جميع الضحايا في العراق. إنه يمثل الفرد العراقي الكامل والوحش يصبح مثالاً للدمار الشامل بالإضافة إلى تمثيل درامي للدمار الذي نشأ من الاضطرابات الزمنية في العراق. في مقابلة مع أحمد السعداوي أجراها مصطفى النجار في عام 2014، قال المؤلف إن "ما اسمها" هو مثال نادر لأزمة الهويات. لقد عانى العراق من هذه المشكلة المزمنة منذ تأسيسه في أوائل القرن العشرين. وقد انفجرت قضية الهوية الوطنية العراقية بعنف بعد الإطاحة بنظام صدام حسين. وكذالك، علي بدر، الروائي العراقي البارز، يصوير ظروف الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية المنفصلة في العراق. يتناول بدر في روايته التاريخية لعام 2008 "حارس التبغ" الحياة الثقافية في العراق بعد غزو القوات الأمريكية. وفيها يسرد التاريخ الحديث للعراق. ويصور الحكم المستبد المخيف لصدام حسين ويعرض الآثار الكارثية للحرب والاستبداد والعنف الطائفي.

بشكل عام ، يمكن للمرء أن يلاحظ أنه بعد عام 2003 حدث تغيير كبير في الحياة الفكرية العراقية وأن هناك جيلًا أدبيًا جديدًا يتحدى أساسيات الثقافة والهوية الوطنية العراقية. يشكك هذا الأدب الجديد في صحة القومية السابقة التي كانت ترعاها الدولة، والرواية الوطنية من خلال إعادة فحص الحياة في العراق خلال التسعينيات وتأثير أزمة ما بعد عام 2003. رونين زيدال، على سبيل المثال، في مقال يجادل بأنه "منذ الغزو الذي قادته الولايات المتحدة عام 2003، أصبحت القومية العراقية والهوية الوطنية العراقية من الموضوعات الأساسية للأدب العراقي".

أهم الروائيين داخل العراق ونتاجاتهم الأدبية

1) إبراهيم السبتى

الاسم الكامل: إبراهيم سبتي

مكان الولادة وتاريخها: مدينة الناصرية في عام 1960

الجنسية: عراقي

النتاج الروائي:

نخلة الغريب، 2003

جنة العتاد، 2009

النتاجات الأخرى:

الغياب العالي (قصص)، 2001

ما قالته الضواري في حداد الإنس (قصص)، 2002

معلومات أخرى (جوائز، ندوات، استضافات.. إلخ):

جائزة القصة القصيرة العراقية عام 1992

جائزة القصة القصيرة العراقية عام 2006

2) أحمد سعداوي

الاسم الكامل: أحمد سعداوي

مكان الولادة وتاريخها: مدينة بغداد في عام 1973

الجنسية: عراقي

النتاج الروائي:

البلد الجميل، 2004

إنه يحلم، أو يلعب، أو يموت، 2008

فرانكشتاين في بغداد، 2013

باب الطباشير، 2017

النتاجات الأخرى:

الوثن الغازي (شعر)،1997

نجاة زائدة (شعر)، 1999

عيد الأغنيات السيئة، (شعر)، 2001

صورتي وأنا أحلم، (شعر) 2002

الجوائز:

الجائزة الأولى في مهرجان الصحافة العراقية فرع الريبورتاج 2004.

الجائزة الأولى للرواية العربية بدبي عام 2005 عن رواية البلد الجميل

جائزة هاي فاستيفال البريطانية لأفضل 39 أديباً عربيًا دون سن الأربعين عام 2010

الجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) لعام 2014 عن رواية فرانكشتاين في بغداد

3) خضير فليح الزيدي

الاسم الكامل: خضير فليح حسن (الشهرة: خضير فليح الزيدي)

مكان الولادة وتاريخها: مدينة بغداد في عام 1958

الجنسية: عراقي

النتاج الروائي:

شرنقة الجسد، 1984

خريطة كاسترو، 2007

ذيل النجمة، 2010

فندق كويستيان، 2015

أطلس عزران البغدادي، 2015

النتاجات الأخرى:

قصص زوال، 2005

أمكنة تدعى نحن، 2006

تمر ولبن، 2009

سلة المهملات، 2011

الباب الشرقي، 2013

الجوائز:

جائزة البغدادية للقصص عام 2008

جائزة الدولة الإبداعية عام 2010 عن رواية خريطة كاسترو

جائزة ناجي الساعاتي للرحلات عن كتاب الباب الشرقي

4) حنان المسعودي

الاسم الكامل: حنان فوزي المسعودي

مكان الولادة وتاريخها: بغداد 26-10-1972

الجنسية: عراقية

النتاج الروائي:

خمس نساء، 2014

أسرار المعطف الأبيض، 2015

النتاجات الأخرى:

أميرة النهرين (ديوان شعري) 2015

أغازل صمتي (كتاب نصوص شعرية قصيرة)

ترجمة كتاب "عبور الربع الخالي"

5) زيد الشهيد

الاسم الكامل: زيد الشهيد

مكان الولادة وتاريخها: مدينة السماوة في 10 مايو 1953

الجنسية: عراقي

النتاج الروائي:

سبت يا ثلاثاء، 2006

فراسخ لآهات تنتظر، 2010

أفراس الأعوام، 2010

اسم العربة أو الرجل الذي تحاور مع النار، 2013

النتاجات الأخرى:

مدينة الحجر (مجموعة قصصية)، 1993

فضاءات التيه، 2003

أمي والسراويل (مجموعة شعرية)، 2004

حكايات عن الغرف المعلقة، 2004

اش ليبه دش (مجموعة قصصية)، 2008

الأدب الروائي – دراسة وتحليل، 2008

سحر المسنجر (مجموعة قصصية)، 2009

الرؤى والأمكنة، 2010

فم الصحراء الناده (قصص قصيرة جدًا)، 2010

نساءٌ تراب (قصص قصيرة جدًا)، 2012

6) سعد خليل الجبوري

الاسم الكامل: سعد خليل الجبوري

مكان الولادة وتاريخها: مدينة الموصل في 6 مايو عام 1980

الجنسية: عراقي

النتاج الروائي:

جنزار، 2014

أورشليم – نينوي، 2017

النتاجات الأخرى:

الرحيل الخامس (مجموعة شعرية)، 2014

7) سعدون جبار البيضاني

الاسم الكامل: سعدون جبار البيضاني

مكان الولادة وتاريخها: قضاء المجر الكبير بمحافظة ميسان في عام 1956

الجنسية: عراقي

النتاج الروائي:

خيبة يعقوب، 2006

النتاجات الأخرى:

جنون من طراز رفيع (مجموعة قصصية)، 1999

مخلوقات ومدن (مجموعة قصصية)، 2001

أسفل الحرب.. أسفل الحياة (مجموعة قصصية)، 2012

8) سعد سعيد

الاسم الكامل: سعد سعيد رشيد

مكان الولادة وتاريخها: مدينة خانقين بمحافظة ديإلى في 29 أغسطس 1957

الجنسية: عراقي

النتاج الروائي:

الدومينو، 2007

قال الأفعوان، 2009

يا حادي العيس، 2010

فيرجوالية، 2012

ثلاث عشرة ليلة وليلة، 2013

هسيس اليمام، 2015

النتاجات الأخرى:

كواليس القيامة (مجموعة قصصية)، 2008

9) عبدالرضا صالح محمد

الاسم الكامل: عبدالرضا صالح محمد

مكان الولادة وتاريخها: مدينة العمارة، عام 1950

الجنسية: عراقي

النتاج الروائي:

أضغاث مدينة، 2012

بعد رحيل الصمت، 2014

ثلاثية اللوحة الفارغة، 2015

سبايا الدولة الخرافة، 2017

النتاجات الأخرى:

كرة الصوف (مجموعة قصصية)

سقوط الأجنحة

خرير الوهم

الفخار والخزف

عناصر الفن الإسلامي

الجوائز:

جائزة البوستر السياسي القطرية 1976.

جائزة وزارة التربية عن قصة (لقاء غير مرتقب)

جائزة مؤسسة الأمل عن قصة (رفيقي ليلٌ)

جائزة النور للإبداع عن قصة (اله الخشب)

جائزة صلاح هلال الثقافية العربية عن قصة (حبات قمح)

10)عمار الثويني

الاسم الكامل: عمار فاضل الثويني

مكان الولادة وتاريخها: محافظة القادسية في 12 ديسمبر 1966

الجنسية: عراقي

النتاج الروائي:

في ذلك الكهف المنزوي، 2016

القديسة بغداد، 2017

مشحوف العم ثيسجر، 20

11)علي غدير

الاسم الكامل: علي غدير

مكان الولادة وتاريخها: العراق في عام 1971

الجنسية: عراقي

النتاج الروائي:

سفاستيكا، 2016

الجوائز:

جائزة بغداد للرواية العراقية للعام 2016 عن رواية سفاستيكا

12)لؤي حمزة عباس

الاسم الكامل: لؤي حمزة عباس

مكان الولادة وتاريخها: مدينة البصرة في عام 1965

الجنسية: عراقي

النتاج الروائي:

الفريسة، 2005

كتاب المراحيض،2007

صداقة النمر، 2011

مدينة الصور، 2011

النتاجات الأخرى:

على دراجة في الليل (قصص)، 1997

العبيد (قصص)، 2000

سرد الأمثال، 2003

سلوان السرد، 2008

ملاعبة الخيول (طفولات قصصية)، 2009

إغماض العينين (قصص)، 2008

المكان العراقي- جدل الكتابة والتجربة، 2009

بلاغة التزوير – فاعلية الإخبار في السرد العربي القديم (دراسة)، 2010

الكتابة – انقاذ اللغة من الغرق (دراسة)، 2014

حامل المظلّة (قصص)، 2014

قرب شجرة عالية (قصص)، 2017

الجوائز:

جائزة مجلة الأقلام للقصة القصيرة عامي 1992 و1993

جائزة الدولة التشجيعية عن مجموعة على دراجة في الليل عام 1997

جائزة قصة الطفل من الإمارات العربية عام 2001

جائزة الدولة للإبداع القصصي في العراق عن مجموعة (إغماض العينين) عام 2009

13) مرتضى كزار

الاسم الكامل: مرتضى كزار

مكان الولادة وتاريخها: محافظة البصرة في عام 1982

الجنسية: عراقي

النتاج الروائي:

مكنسة الجنة، 2009

السيد أصغر أكبر، 2012

طائفتي الجميلة، 2016

فالروائيون العراقيون باعتبار وجودهم الجغرافي، داخل البلاد أوخارجه، أن عددهم داخل البلاد ضئيل بالمقارنة للروائيين في المنفى، كما أن نتاجات الأدبية للروائيين العراقيين داخل البلاد أقل كما ونوعا مما نشره الروائيون خارج البلاد في المنفى.

الباب الثالث

روايات المنفى العراقية

الفصل الأول: المنفى والروايات العراقية

الفصل الثاني: تحليل روايات المنفى العراقية المختارة

الفصل الأول

المنفى والروايات العراقية

النفي والمنفي كلمتان ذات تأثير مؤلم، لأنهما تعبير عن النزوح والهجرة من مكان إلى آخر لأجل الحياة، طوعا كان أو قسرا، سياسيا كان أو اقتصاديا أو غيرهما. والنفي القسري السياسي أكثر وقوعا في جميع بلدان العالم سواء كان على مستوى عال مثل الشعب العراقي، أو على مستوى منخفض مثل بعض الساسة اللاجئين في البلدان الأخرى.

إن الأدب العراقي خاصة فنّ الرواية شديد الصلة بالمنفى حيث إن العراق، رغم كونه مهد الثقافة والحضارة، حكومته الدكتاتورية تحت حزب البعث، قد أجرت مراقبة شديدة على النتاجات الأدبية خاصة منذ الثمانين، فترة تطور الرواية العراقية الفنية. فأجبرت الأدباء لمغادرة العراق إلى البلدان المجاورة حيث توفرت لهم الحرة الكاملة للخوض في الكتابة المفتوحة.

فالرواية العراقية قد نشأت وتطورت في المنفى على وجه غير عادي منذ بداية تسعينيات القرن الماضي، وبلغت أوجها بعد الإحتلال. والسمة الرئيسية لأدب المنفى العراقي عامة والروايات خاصة أنها تعالج بشكل واضح وقاطع محن الشعب العراقي ومعاناتها في مواجهة الموت على شكل يومي خلال سنوات الديكتاتورية وطوال الحروب المختلفة. وكان من المستحيل نشر هذه الأنواع من الروايات داخل العراق قبل إجتثاث حزب البعث.

المنفى لغة واصطلاحا:

المنفى اسم ظرف أصله "ن، ف، ي"؛ النفي بمعنى الطرد والإقصاء. هكذا ورد المعنى في المعاجم العربية. والنفي خلاف الإيجاب. والمنفى مكان النفي، والجمع مناف. يقول صاحب "المعجم الوسيط": "النفي عقوبة بإبعاد شخص خارج حدود بلاده لفترة غير محدودة".[108]

"تلقي تجربة النفي بظلالها على الإنسان أينما حل أو ارتحل، فالمنفي يستند إلى وجود المرء الأصلي، (أو الأصلاني Originality)، وحبّه له، ووجود وشائج حقيقية تربطهما والأوضاع التاريخية الحديثة الناجمة عن سياسات القمع، والتهجير، والضغوط السياسية، ووأد الحريات، وكلها ظروف دفعت الكثير من المبدعين والفنانين والفلاسفة والمفكرين والموسيقيين إلى الارتحال - أو الإبعاد، أو النزوح، أو الإقصاء - عن الأوطان، والبحث عن أمكنة بديلة أو مجتمعات أخرى يصوغون فيها رؤاهم"[109].

تتمثل بواعث النفي في أسباب شتى، إلا أن هناك فروقاً بين (المنفيين) - طوعا كان أو كرها- (واللاجئين) و(المغتربين) و(المهاجرين). "وفي أكثر من موضع يرد إدوارد سعيد المنفى إلى كونه *ينبع من ممارسات قديمة قدم الدهر أهمها الإبعاد*. أما اللاجئون (Refugees)، فإنهم ينتمون إلى عصر الدولة الحديثة، وباعتبارهم مواطنين في دولة ما يتقرر أنهم قابلون للاستبعاد، فيرحلون أو يجبرون على الرحيل، وهنا يتحولون إلى أغراب في الدولة التي تؤويهم. وكلمة لاجئ (Refugee)قد أصبحت كلمة سياسية تشير إلى أسراب من الأبرياء الحائرين الذين يحتاجون إلى مساعدات دولية ملحة، بينما كلمة (منفي Exile) تحمل في طياتها مسة من العزلة الروحانية"[110]. ثم "(...المغتربون Expatriate voluntarily) هم أناس اختاروا العيش في بلد

[108] ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧، ج ١٤، ص ص ٢٤٧-٢٤٨.

[109] الشحّات، محمد. سرديات المنفى الرواية العربية بعد عام 1967، أزمنة للنشر والتوزيع، 2006، ص 21

[110] المرجع السابق، ص 21

غريب لأسباب شخصية واجتماعية. ولكنهم لم يُجبروا على ذلك، ... ولكنهم قد يشاركون (المنفي) بعض الشعور بالوحدة والاغتراب"[111].

والباقي من المصطلحات "المهاجرون (Emigrant) فهم حالة مزيج من أشياء عدة. والمنفيون مهاجرون باعتبارهم لا يعيشون في موطنهم الأصلي، ولكن المهاجر هو بالتحديد، من يهاجر إلى بلد جديد لأسباب سياسية أو غيرها . أي أن باستطاعته الخيار، وهو ما لا يُتاح للمنفي. وتتفق نانسي برج (Nancy E. Berg) مع إدوارد سعيد في عد الاختلاف بين المنفي والمهاجر يتمثل في فكرة الإقامة. فالمهاجر ينقل معه فكرة البيت، سعياً إلى الاستقرار لا العودة. كما تشير إلى أن المنفي هو دائماً مغترب في مرحلة أو أخرى من مراحل قدره"[112].

ثم هناك فرق بين النفي القسري والنفي الطوعي، يبينهما الشحات، "ففي الحالة الأولى يطرد المنفي من بلده بقرار سياسي من قبل السلطة. وفي حالة النفي الطوعي، بما يرافقه من إحساس عميق بالغربة، ينعزل الكاتب داخل بلده (نفي داخلي)، أو قد يهاجر هربا من الاضطهاد إلى بلد آخر يؤمن له الحرية والعمل والظروف التي يفتقدها في بلاده"[113].

تجربة النفي وخصائصها

وعلى الرغم من قسوة تجربة النفي، وضراوة وطأتها، فإنها تتضمن كثيرا من الخصائص بين الإيجاب والسلب حسب رؤية المنفيين للعالم والإنسان والأشياء. فمن الجوانب السلبية، أن المنفيّ"ينظر إلى العالم أجمع باعتباره أرضاً غريبة، ويكثف المنفى من شعور المنفي بأهميته الشخصية فتتضخم ذاته، ويتحول منزل الأسرة المتواضع في ذاكرته إلى قصر منيف أو تتحول الحديقة المتواضعة على مستوى الواقع إلى ضيعة مترامية الأطراف على مستوى الذاكرة والمخيلة؛ فالمنفى يعمق من رومانسية الشخص

[111] المرجع السابق، ص 21
[112] المرجع السابق، ص 22
[113] المرجع السابق، ص 22

المنفي، كما أن العناد والمغالاة، والمبالغة في الكلام (الاسترسال)، والإصرار الذي لا يلين، والعداء الجارف للغرباء، كلها - إلى جوار ملامح أخرى - من أساليب الحياة في المنفى"[114].

على الرغم من ذلك فأن المنفى يتمتع ببعض الفوائد والمسرات، منها "حرية الكتابة هي الحافز الرئيسي للنفي، والنفي يخلق نوعًا من العزلة التي هي أقرب شيء إلى الحرية التي من المرجح أن يحققها فنان القرن العشرين"[115]. تتيح كتابة الروايات للكاتب في المنفى مزيدًا من الحرية في التحرر من بعض المحظورات أو القيود الاجتماعية.

تطور الروايات العراقية في المنفى

وقد أشار الباحث في الباب الأول أن الروايات العراقية تطورت موازية لتطور دولة العراق كجمهورية، فكانت الروايات العراقية في مرحلتها التشكلية تعالج القضايا السياسية مع القضايا الاجتماعية. كانت رواية النخلة والجيران أول رواية عراقية ناضجة فنيا، والتي نشأت في المنفى، حيث كان المؤلف غائب طعمة فرمان في منفى بعد إسقاط الحكومة العراقية جنسيته لمعارضته على الحكومة من خلال كتاباته. وكانت متعددة الأصوات تناولت واقع بغداد أيام الحرب العالمية الثانية من خلال حياة مجموعة من الناس الفقراء في حي شعبي وسط بغداد.

رواية خمسة أصوات للروائي نفسه، والتي تتناول فترة الخمسينيات وآلامها الفكرية والسياسية أثناء اشتداد الصراع الذي بلغ ذروته في ولادة النظام الجمهوري على يد العسكر، من خلال خمسة أصوات في الوسط الثقافي والصحفي. ثم نشر فيرمان الذي قام بتأسيس أركان الرواية العراقية الفنية)رواية المخاض، التي تناولت العراق بعد 1958 من خلال مغترب يعود إلى بغداد بعد غيابه لمدة خمس سنوات، ويرى ذلك أنها قد تغيرت، والقصة هي قصة الكاتب نفسه. ثم قام فرمان بنشر عديد من الروايات، "ومن

[114] المرجع السابق، ص 22

[115] Gurr, A. Writers in Exile: The Identity of Home in Modern Literature. Atlantic Highlands, N.J.: Harvester Press,pg 17.

الجدير بالذكر أن معظمها كتب في المنفى خلال فترة إقامة كاتبها في موسكو، حيث توافرت له ظروف استقرار نسبي منحته القدرة على تأمل التجربة والكتابة عنها"[116].

إن صعود صدام حسين كرئيس جمهورية العراق سنة 1979، وما تبعه من التحولات السياسية والحروب المستمرة، قد لعب دورا هاما في تحويل مجرى الرويات العراقية. "في ظروف القمع والحرب تلك، كان من المستحيل الحديث عن الكتابة الروائية، ناهيك بتخيل روائي عراقي يجلس إلى طاولة الكتابة ليتأمل ويكتب؛ فقد عانى كاتب الرواية، أو من كان يحاول كتابتها، ما كان يعانيه العراقي من تهديد مباشر لكينونته، فأدى ذلك إلى هجرة كبيرة من مبدعي العراق، وكان فيهم الروائيون، علما بأن عددًا كبيرا ممن سيكون لهم شأن في كتابة النص الروائي الجديد كان قد هاجر في سبعينيات القرن الماضي لأسباب مختلفة، ومن أبرز هؤلاء فاضل العزاوي وعالية ممدوح وسلام عبود وهيفاء زنكنه وعارف علوان وبرهان الخطيب"[117].

إن حملة حزب البعث لمطاردة المعارضين ضد الحكومة أدت "إلى هجرة عدد آخر مثل زهير الجزائري وسليم مطر وعلي عبد العال ونجم والي وتبعهم من اضطر إلى الهرب من جبهات القتال، ملتحقا بالحركات المسلحة في جبال العراق، مثل جنان جاسم حلاوي وشاكر الأنباري وحميد العقابي وسلام إبراهيم. مع ضرورة الإشارة إلى أن الكتاب المذكورين كانوا في أغلبيتهم وقت هجرتهم غير مكرسين كروائيين ، فبعضهم لم يكن حينذاك قد نشر نصاً وبعضهم الآخر لم يكن قد أصدر أهم نصوصه"[118]. وقد انعكست هذه "هجرة الأدمغة" في تاريخ الأدبي العراقي واضحا خاصة في مجال الروايات، بمقارنة عدد الرويات المنشورة داخل العراق وخارجه. وقد وقعت هجرة أخرى في التسعينات في فترة الحصار الاقتصادي عقب احتلال الكويت. وكان علي بدر وسنان أنطون، وفيصل عبد الحسن وهدية حسين أبرز ممن هاجر في التسعينات.

[116] سلام، إبراهيم، الرواية العراقية: رصد الخراب العراقي في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، 2012، ص 4

[117] المرجع السابق، ص 5

[118] المرجع السابق، ص 5

أبرز الروائيين العراقيين في المنفى

1) **شاكر الأنباري**

الكلمات الساحرات (بيروت: دار الكنوز الأدبية ، ١٩٩٣)

ألواح (دمشق: دار المدى ١٩٩٦)

ليالي الكاكا (دمشق: دار المدى، (٢٠٠٢)

بلاد سعيدة (دمشق، دار التكوين، ٢٠٠٨)

نجمة البناوين (دمشق: دار المدى ٢٠١٠)

2) **جنان جاسم حلاوي**

يا كوكتي (بيروت: دار رياض الرئيس، ١٩٩١)

ليل البلاد (بيروت: دار الآداب، ٢٠٠١)

دروب وغيار (بيروت: دار الآداب ، ٢٠٠٣)

أماكن حارة (بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٦)

3) **إنعام كجه جي**

سواقي القلوب (بيروت، دار الجديد، 2005)

الحفيدة الأميركية (بيروت: دار الجديد، 2008)

طشاري (بيروت: دار الجديد، 2014)

4) **عالية ممدوح**

حيات اللفتالين (بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٠)

الغلامة (لندن: دار الساقي، ٢٠٠٠)

5) **سلام عبود**

امير الأقحوان (غوتنبرغ: مركز الحرف العربي، ١٩٩٦)

ذبابة القيامة (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٩٩)

6) **نجم وإلى**

الحرب في حي الطرب (بودابست: دارصحارى، 1993)

مكان اسمه كميت (القاهرة: دار شرقيات، ١٩٩٧)

تل اللحم (القاهرة: دار سبريت، ٢٠٠٥)

صورة يوسف (بيروت المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٥)

ملائكة الجنوب (أبو ظبي: دار كليم، ٢٠٠٩)

7) **زهير الجزائري**

حافة القيامة (دمشق: دار المدى ١٩٩٦)

الخائف والمخيف (المشق: دار المدى، 2003)

8) **سليم مطر**

امرأة القارورة (بيروت: رياض الرئيس، ١٩٩١)

التوأم (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١)

9) **فاضل العزاوي:**

أخر الملائكة (بيروت: رياض الرئيس، ١٩٩٢)

الأسلاف (كولونيا: دار الجمل، ٢٠٠١

10) حمزة الحسن

سنوات الحريق (بيروت: دار الكنوز الأدبية، ٢٠٠٠)

الأعزل (بيروت: مؤسسة الانتشار العربي، ٢٠٠٧)

عزلة أورستا (بيروت: دار الكنوز الأنبية، ٢٠٠١)

11) سنان انطوان

إعجام (بيروت: دار الآداب، 2004)

وحدها شجرة الرمان (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠١٠)

يا مريم (كولونيا: دار الجمل، 2012)

فهرس (كولونيا: دار الجمل، 2016)

12) محمود سعيد

نهايات النهار (القاهرة: دار مكتبة الحياة،١٩٩٧)

قبل الحب.. بعد الحب (دمشق: دارالمدى، ١٩٩٩)

13) برهان الخطيب

الجنائن المغلقة (استوكهولم: دار بوديوم، ٢٠٠٠)

بابل الفيحاء (استوكهولم : دار أوراسيا، 1995)

14) سلام إبراهيم

رؤيا الغائب (دمشق: دار المدى، ١٩٩٩)

الإرسي (القاهرة: دار الدار، ٢٠٠٨)

الحياة لحظة القاهرة (الدار المصرية اللبنانية، ٢٠١٠)

في باطن الجحيم (مجلة الكلمة الأدبية الإلكترونية الشهرية، العدد 48، 2011)

معظم هذه النصوص العراقية تناول من خلال السير الذاتية للكتّاب الذين مروا بتجربة عمار للاعتقال والحرب كجنود أو ثوار، أو بالعودة إلى تاريخ العراق الحديث، لمعرفة أسباب الدمار الذي وصل إليه العراق.)

سمات الروايات العراقية في المنفى

الروايات العراقية في المنفى تتميز بسمات عما كانت منشورة داخل العراق، فهي روايات "واضحة وصريحة عن عذاب العراقي وخوفه وهلعه ومقاومته ومعاناته وهو يواجه الموت يوميا؛ نصوص كان من المستحيل كتابتها في ظروف العراق حينذاك" [119].

وكذا أضافت "ثيمات جديدة إلى النص الروائي العراقي والعربي؛ فلأول مرة تتناول النصوص تجارب الجندي العراقي وعذابه في أثناء خدمته في المؤسسة العسكرية زمن السلم وزمن الحرب، بعد أن كان هذا الموضوع من محرمات الكتابة في الأوطان العربية إلا من زاوية الدفاع عن الوطن، كما هي حال النص المكتوب تحت ظروف الديكتاتورية في العراق، أو ما كتب في أعقاب هزيمة ١٩٦٧ عن معاناة الجندي العربي وعذابه بسبب خسارته الحرب مع إسرائيل، بينما كشف النص العراقي همجية المؤسسة العسكرية التي قادت العراق إلى الخراب"[120].

إضافة إلى ذلك تناولت "محنة المنفى والغربة بعد تشرد أكثر من خمسة ملايين عراقي موزعين في بقاع العالم يعيشون في محيطات ثقافية غريبة عليهم أدت بالضرورة إلى زعزعة القيم والعادات والتقاليد التي يحملونها من بيئتهم الثقافية، ومعاناة جيل ولد وكبر في المنفى وله همومه المختلفة"[121].

ويبدو مما سبق في هذا الباب، أن هجرة المبدعين في العراق قد استهلّت منذ نشأة الرواية الأولى الفنية، وإشتدّت في تسعينيات القرن الماضي، وتزامنتها نشأة الرواية وتطورها. فالروايات المنشورة قبل الاحتلال الأمريكي كانت ضئيلة بالنسبة للروايات بعده. عندما سيطرت الحكومة تحت حزب البعث على النتاجات

[119] المرجع السابق، ص 8

[120] المرجع السابق، ص 10-11

[121] المرجع السابق، ص 11

الأدبية وتابعها وراقبها بعين الجاسوس اضطرّ المبدعون إما لإلتزام الصمت أو لمغادرة المنشأ حيث يريح روحه بالإبداعات الحرّة بحيث لا يزعجه تداخل من الآخر. فالروايات العراقية في المنفى لها أهمية كبري بالنسبة للرويات العراقية حيث إنها تقدم تصويرا واضحا وصادقا عن واقع الحياة في العراق في مراحله التاريخية وخاصة زمن حزب البعث. وإن كان اجتثاث حزب البعث قد فتح باب التحرّر لترك الصمت أو للرجوع إلى المنشأ، لم يقع ما توقع حيث إن الاحتلال نشر علي بيئة العراق ظل الخوف والرعب وتصدى للكيانة الشخصية وجوّ هادئ للإبداع والتأليف. رغم ذالك، أن إزدياد عدد الرويات بعد الإحتلال، داخل العراق وخارجها، يشير إلى نوع من التحرّر الذى لم يتمتع به الأدباء والمبدعون في زمن الدكتاتورية، وأثره في إعادة حرّة التعبير.

الفصل الثاني

تحليل روايات المنفى العراقية المختارة

إنعام كجه جي

ولدت إنعام كجه جي في بغداد عام 1952 ودرست الصحافة في جامعة بغداد. عملت في الصحافة والإذاعة العراقية قبل انتقالها إلى باريس لتكمل أطروحة الدكتوراة في جامعة السوربون. تشتغل حاليا مراسلة في باريس لجريدة "الشرق الأوسط" في لندن ومجلة "كل الأسرة" في الشارقةوالإمارات العربية المتحدة. نشرت إنعام كجه جي كتابا في السيرة بعنوان "لورنا" عن المراسلة البريطانية لورنا هيلز التي كانت متزوجة من النحات والرسام العراقي الرائد جواد سليم. كما نشرت كتابا بالفرنسية عن الأدب الذي كتبته العراقيات في سنوات المحنة والحروب. في عام 2004 أعدت وأخرجت فيلماً وثائقياً عن الدكتورة نزيهة الدليمي، أول امرأة أصبحت وزيرة في بلد عربي، عام 1959. لها من الروايات "سواقي القلوب" (2005) و"الحفيدة الأميركية" (2008) التي وصلت إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية عام 2009 وصدرت بالإنجليزية والفرنسية والصينية، و"طشّاري" التي وصلت إلى القائمة القصيرة عام 2014 وصدرت بالفرنسية. و"النبيذة" التى وصلت إلى القائمة القصيرة عام 2019.

رواية "الحفيدة الأمريكية"

الحفيدة الأمريكية، وهي أحدث رواية للصحفية والكاتبة العراقية المقيمة في باريس إنعام كجه جي، تحكي قصة شابة أمريكية من أصول عراقية اسمها زينة، وهي تنضم إلى قوات الاحتلال الأمريكي في العراق كمترجمة. منجذبة من خلال حزمة رواتب سخية، بالإضافة إلى شوقها للتعرف على وطنها الأصلي الذي أجبرت على تركه في سن المراهقة. وهي تبين أن خبرة زينة في العمل في المنطقة الخضراء مليئة باكتشاف

الذات والصدمات. رحلة زينة شخصية وبريئة. بداية من أم عزباء ترغب في توفير حياة أفضل لابنها ووالديها الشيوخ، وامرأة شابة ترغب في إعادة العلاقات الأسرية مع وطنها وبلدتها بغداد.

بعد وصولها إلى العراق، سرعان ما أدركت زينة أن رحلتها أصبحت سياسية أكثر من المقصود: جدتها تخجل من عملها، وتعتبره خيانة وتضع لنفسها مشروعًا شخصيًا لإعادة تعليم حفيدتها. تشعر زينة بالأذى من سوء حكم جدتها عليها، وبسبب الخلافات المتزايدة مع أصدقاء العائلة: مربيتها طاؤوس وشقيقيها حيدر ومهيمن. تصبح العلاقة مع مهيمن حساسة بشكل خاص بعد انضمامه إلى جيش المهدي وتجربي مؤامرة ضد قوات الاحتلال الأمريكية. زينة، التي لا تزال محايدة للسياسة وترى تبريرا لعملها مع القوات الأمريكية، لا تستطيع أن تفهم سبب انقلاب عائلتها عليها بينما يموت العديد من رفاقها في كمائن في مدينة الموصل وكذا في مدينة الصدر .

توضح كجه جي متناقضات الحياة اليومية لزينة في العراق بأوضاع رائعة لا تحتاج إلى شرح، فعندما تريد زينة زيارة جدتها في منزلها في بغداد، يضطر جنود الجيش الأمريكي إلى مداهمة منزل رحمة من أجل حماية الجدة من احتمال تعرضها للهجوم المحلي والهجمات على أساس تورط حفيدتها مع قوات الاحتلال. خلال زيارتها، تحاول زينة ارتداء الزي العسكري العراقي لجدها الذي كان ضابطًا فخوراً في الجيش العراقي، بينما ينتظر الجنود الأمريكيون المرافقون لها في الجوار حتى تنتهي الغارة المزعومة.

مع اقتراب نهاية عقد الترجمة مع زينة في العراق، تشعر باليأس والخيبة. تموت جدتها، وعادت زينة إلى ديترويت في حزن وأسى عميق. ذهبت إلى العراق معتقدة أنها ستشارك في قضية تاريخية نبيلة، ومعتبرة رحلتها فرصة رائعة لإعادة اكتشاف وطنها، لكنها تعود بالشعور بالغضب واليأس والصدمة، وبالفعل في الصفحة الأخيرة من رواية، تكرر زينة قول والدها: "سأعطي يدي اليمنى إذا نسيتك يا بغداد".

"تمت كتابة الرواية بشكل جميل بلغة أدبية تمثل اللغة التي تتحدثها الأجيال الشابة اليوم. تم ترجمتها إلى الإنجليزية بعنوان (American Granddaughter)، من قبل ناريمان يوسف (Nariman Youssef)، ونشرها دار بلومزبري للنشر، قطر "[122].

رواية "طشاري"

"تُشير الكاتبة إنعام كجه جي في روايتها هذه إلى فقدان الهوية والشعور بالانتماء عند اللاجئين والنازحين، مُجسدةً ذلك من خلال قصة بطلتها التي عصفت بها الرياح بعيدًا عن وطنها، واصفةً حياتها وذكرياتها التي عاشتها في بلادها، ولتوضيح الفكرة التي تريد الكاتبة إيصالها. تم تفكيك الرواية إلى عناصرها الأساسية وتحليلها على النحو الآتي، فاختارت الكاتبة لروايتها عنوانًا موغلًا في الخصوصية الوطنية والمحلية العراقية وباللهجة العامية أيضًا، إذ إنّ لفظ "طشاري" مُحمّل بدلالات على الافتراق والضياع والتشتت، وهو ما طرحته الكاتبة بين سطور الرواية، مُشيرة إلى حال اللاجئين في بلاد المنفى"[123].

تدور الأحداث في رواية "طشاري" بصورة أساسية في العراق ومُدنها، المتمثلة بمدينة "الديوانية" التي تحتل جزءًا كبيرًا من أحداث الرواية، ومدينة "الموصل"، ومدينة "بغداد"، بالإضافة إلى مدينة "باريس" الفرنسية التي كانت حاضرة في حياة البطلة بعد الاغتراب، كما حضرت في الرواية أماكن ومدن أخرى، تمثلت بـ"كندا"، و"دبي"، و"هاييتي"، وهذا التعدد في الأماكن يُشير إلى مدى التشتت والضياع الذي عانت منه بطلة الرواية، هي وردية إسكندر، طبيبة نسائية عراقية مغتربة، انتقلت إلى باريس بعد الأحداث التي شهدها بلدها وهدد بقاء عائلتها فيها.

[122] Banipal Modern Arab Literature, https://www.banipal.co.uk/book_reviews/71/the-american-granddaughter-by-inaam-kachachi/

[123] سدر، سمر، تحليل رواية طشاري. ملخصات روايات، خير جليس، 01-09-2021
https://khaerjalees.com/h/تحليل-رواية-طشاري-

نشأت وردية في بغداد، تذهب بها قرعة التعيين بعد تخرجها من كلية الطب عام 1954 إلى مستشفى مدينة الديوانية في جنوب العراق، فتقضي خمسة وعشرين عامًا من عمرها في الديوانية قبل أن تعود إلى بغداد، وهناك في الديوانية تلتقي بالطبيب جرجس، ويتزوجها وتنجب منه أبناءها برّاق وهندة وياسمين.

وخلال رحلة وردية المهنية الطويلة التي قضتها في مجتمع غريب عنها ،من ناحية الديانة والثقافة، ستشهد تحولات جذرية في وعيها الذي شكّلته مفاهيم الطبقة الوسطى بثقافتها المدنية، وقد فضلت ورديّة البقاء وحيدة في العراق بعد مغادرة ابنها المهندس برّاق إلى إحدى مدن البحر الكاريبي بسبب عمله، وابنتها هندة إلى كندا، وابنتها الصغرى ياسمين إلى دبي.

تصل الرواية إلى عقدتها حين تترك وردية بلدها العراق رغمًا عنها بعد أن تخطت العقد الثامن من عمرها، لتحطَّ بها رحلة اللجوء في مدينة باريس. وتُقيم وردية مدة مؤقتة في شقة بنت شقيقها التي تعيش مع زوجها وابنها الشاب إسكندر، الذي يبتكر مقبرة إلكترونية في حاسوبه الشخصي، يجمع فيها عظام العراقيين، فيكبر إسكندر بأسرع مما تتوقع والدته وهو يصغي إلى أحاديث "ورديّة" عمّة والدته، بعدما يجمعُ عظام الموتى الذين فرقتهم الحروب والطائفية، فيرسم لهم أضرحة ينحت لها الشواهد، ويزرع حولها أزهارًا تختارها كل عائلة لميّتها.

"هذه الرواية هي عمل من أعمال قصصية عراقية أخيرة تتحدث عن التهجير خاصة تهجير الأقليات. وهي تتناول تهجير المسيحيين العراقيين"[124].

[124] "طشاري" رواية تصور تهجير المسيحيين العراقيين، https://www.dw.com/ar/طشاري-رواية-تصور-تهجير-المسيحيين-العراقيين/a-17068663/

سنان أنطون

سنان أنطون شاعر وروائي ومترجم عراقي ولد في بغداد عام 1967. حصل على بكالوريوس في الأدب الإنكليزي من جامعة بغداد. هاجر بعد حرب الخليج 1991 إلى الولايات المتحدة حيث أكمل دراساته وحصل على الماجستير من جامعة جورج تاون عام 1995، وعلى الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة هارفارد بامتياز عام 2006. له أربع روايات: "إعجام" (2004)، "وحدها شجرة الرمان" (2010)، "يا مريم" (2012)، و"فهرس" (2016)، وديوان شعر بعنوان "ليل واحد في كل المدن". ترجمت كتاباته إلى ثماني لغات. عاد إلى العراق في 2003 ليخرج فيلما وثائقيا بعنوان "حول بغداد" (2004) عن العراق بعد الدكتاتورية والاحتلال. ترجم أشعار محمود درويش وسركون بولص وسعدي يوسف وغيرهم إلى الإنجليزية. في العام 2014، فازت ترجمته الإنجليزية لروايته "وحدها شجرة الرمان" بجائزة سيف غباش بانيبال لترجمة الأدب العربي للعام 2014 ووصلت إلى القائمة الطويلة لجائزة جريدة الاندبندنت البريطانية للأدب المترجم لنفس العام، كما وصلت روايته "يا مريم" إلى القائمة القصيرة للجائزة العالمية للرواية العربية عام 2013 وصدرت بالأسبانية. يعمل سنان أنطون أستاذا للأدب العربي في جامعة نيويورك منذ عام 2005.

رواية "يا مريم"

تتخذ رواية "يا مريم" الانقسامات الطائفية في بلاد الرافدين موضوعا لإبداعها، وتحديدا معاناة المسيحيين التي وصلت ذروتها بتفجير كنيسة "سيدة النجاة" في بغداد والتي تتقاطع أحداث الرواية معها.

"رؤيتان متناقضتان لشخصيتين من عائلة عراقية مسيحية، تجمعهما ظروف البلد تحت سقف واحد في بغداد. يوسف، رجل وحيد في خريف العمر، يرفض الهجرة تاركا البيت الذي بناه، وعاش فيه نصف قرن، لهاجر. يظل متشبثا بخيوط الأمل وبذكريات ماض سعيد حيّ في ذاكرته. مها شابة عصف العنف الطائفي

بحياتها، فشرد عائلتها وفرقها عنهم لتعيش لاجئة في بلدها، ونزيلة في بيت يوسف. تنتظر مع زوجها موعد الهجرة عن وطن لا تشعر أنه يريدها. تدور أحداث الرواية في يوم واحد، تتقاطع فيه سرديات الذاكرة الفردية والجماعية مع الواقع، ويصطدم فيه الأمل بالقدر، عندما يغيّر حدث حياة الشخصيتين إلى الأبد. تثير الرواية أسئلة جريئة وصعبة عن وضع الأقليات في العراق، إذ تبحث إحدى شخصياتها عن عراق كان، بينما تحاول الأخرى الهرب من عراق الآن"[125].

وحين يتحاور جيلان عراقيان تبدو المحاكمة بين الذاكرة والواقع، إذ يستند "يوسف" الرجل السبعيني في الرواية إلى ذاكرته ليحشد كل المبررات عن عراق جميل لا حرب طوائف فيه، وبه حب وتآلف وأشخاص طيبون وحضارة بعمر نخيله العالي منذ بابل وإلى الآن.

أما "مها" الثلاثينية بنت المأساة، والتي ولدت في ملجأ أثناء حرب الخليج الثانية، وشردت أسرتها في حرب المليشيات وفقدت خالها لأنه مسيحي، وطفلها في غارة "جهادية"! وتعيش لاجئة في بيت يوسف، وقد نجت من الموت بأعجوبة في تفجير كنيسة عراقية، فلا ترى في المكان إلا محطة للهجرة من جحيمه القاسي.

يتشبث "يوسف كوركيس" بذاكرته ليستعين بها على المكان القاتل، فتحضر "حنة" شقيقته تملأ الرواية حبا، وسعدون المسلم صديق العائلة ومرابع الرياضة، وفلاح حسن لاعب كرة القدم الشهير، و"صاعدو النخل"، وأطياف من مرّوا: عهد ملكي وعبد الكريم قاسم وصدام، وفي العهود كلها حلو ومر، إلا أن ذاكرته تصبح هشة وضعيفة في محاججة مها أمام أئمة القتل الجدد في بلاد ما بين النهرين.

يمثل "يوسف" رمزا للعراقي المتشبث بوطنه، فلا يرى في ما يجري فيه من حرب طائفية أكثر من غمامة ستزول، وأن الأمر ليس حرب طوائف بقدر ما هو صراع ساسة. وفي ذاكرة الرجل ما يعينه على البقاء في زمن يعايشه، مستندا إلى رؤى الماضي، لكنه إذ يفعل ذلك يقضي مذبوحا ليجد راحته الأبدية "ذبيحة إلهية" قريبة من مريم.

[125] الجائزة العالمية للرواية العربية، https://www.arabicfiction.org/ar/hail-mary

"الرواية تبدأ بمحاججة بين الذاكرة والنسيان، وتنتهي على يوسف المفتون بالنخيل، والرافض لمغادرة العراق مذبوحا في الكنيسة، وما بينهما الحكاية العراقية في فصلها الدامي والحزين، حيث يقود الروائي شخوصه بعناية وبلغة هي أداته الطيعة يقتصد فيها حين يريد ويبذخ فيها متى أراد للحكاية أن تتوهج"[126].

رواية "فهرس"

"في زيارة قصيرة إلى بغداد بعد احتلالها عام 2003 يلتقي الراوي، نمير، في شارع المتنبّي، بودود، وهو بائع كتب غريب الأطوار يعمل على مشروع موسوعي بعنوان "فهرس" يؤرّخ للحرب بأسلوب مغاير، دقيقة بدقيقة. لا من منظور البشر فحسب، بل الحجر والشجر والحيوان أيضا. يُفتن الراوي بودود وبفهرسه، ويحاول التواصل معه ومعرفة المزيد عنه لكتابة رواية عنه بعد عودته إلى الولايات المتحدة. ويصاب هو الآخر بهوس الفهرس إذ يراقب وطنه يتشظّى من بعيد. فيبدأ بجمع القصاصات والصور وكل ما له علاقة بالعراق. بينما يحاول ودود، وهو على حافة الجنون، أن يجمع شظايا المكان وأصواته وأشباحه، لينقذها من النسيان، فهل ينجح"[127].

يختار سنان أنطون في هذه الروية بطلاً قريبًا من عالمه بل يكاد يتطابق مع شخصيته هو الدكتور نمير فكلاهما دكتور جامعي يدرِّس الأدب العربي في جامعات أمريكا، وخاضا تجربة تسجيل وإخراج الأفلام الوثائقية عن العراق، بل إن كليهما قد مر على جامعتي ،هارفرد، و،نيويورك، ولعل الطريف أن بطل الرواية يذكر في مذكراته أنه يفكِّر في كتابة رواية عن ،مغسّل أموات، وهو ما فعله سنان أنطون ببراعة في روايته الجميلة ،وحدها شجرة الرمان.

تحكي الرواية عن ذلك الأستاذ الجامعي ،نمير، الذي يلتقي مصادفةً، أثناء تصويره لفيلم تسجيلي عن العراق، ببائع الكتب ،ودود، الذي يود أن يكتب رواية عن العراق، ويمنحه جزءًا منها ويسميها ،فهرس،

[126] الشريقي، أحمد. "يا مريم" رواية عن الوجع العراقي، ثقافة، الجزيرة، 5-12-2012، https://www.aljazeera.net/culture/2012/12/15/يا-مريم-رواية-عن-الوجع-العراقي

[127] الجائزة العالمية للرواية العربية، https://www.arabicfiction.org/ar/index

ويحاول أن يدون فيها تاريخ (الدقيقة الأولى للحرب على العراق) متناولاً في ذلك ليس التاريخ الرسمي الذي يتحدث عن الأشخاص فحسب، بل يعمد إلى اختيار (فضاء ثلاثي الأبعاد)، على حد تعبيره، يجمع فيه بين الأشياء والأحياء محاولاً استنطاق الجمادات والتعبير عن مشاعرها ما أمكنه ذلك.

وهكذا لا تبدو الحكاية هنا حكاية الناس فحسب، بل حكاية الطير، والسجاد (الكاشان)، والمدن، والرقوق، وشريط التسجيل، والأشجار، والخيول، بل حتى الجنين الذي لم يولد بعد قد يكون له منطقه وعالمه الخاص، كل هؤلاء جنبًا إلى جنب مع حكايات ،جامع الطوابع، و،عازفة البيانو، الذين تغدو قصصهم وحكاياتهم جزءًا أصيلاً من تاريخ العراق، وشاهدًا باقيًا على ما حصل من تحوّل للبلاد والعباد بعد تلك الحرب التي لم تبق ولم تذر.

تدور الرواية بين حكاية ،نمير، الأستاذ الجامعي، وبين أطرافٍ من حكاية ،ودود، وكتابته ومخطوطه ذاك، ولا يبدو اهتمام الكاتب كبيرًا بالحكاية قدر اهتمامه بالتفاصيل الإنسانية التي تجمع بين الاثنين على بعد المسافة بينهما وتباين العالم الذي يعبران عنه، بين التفاصيل اليومية ،الأمريكية، التي يعيشها الدكتور، وتفاصيل رصد الخراب والدمار الذي أحاطت ب،ودود، داخل بلاده، وهكذا يظلان مسكونان بالغربة داخل البلاد وخارجها!

يكشف ،نمير، عن أطرافٍ من سيرته الذاتية، تاريخه وطفولته، عن علاقته القديمة بالكتابة والرغبة في التدوين، ورغبته في أن يقرأ الجميع ما يكتبه، تلك الرغبة التي اختفت وضمرت بمجرد التحاقه بالمدرسة الثانوية حتى توارت مع التحاقه بالكلية ثم عمله الأكاديمي، في المقابل نجد ،ودود، يحاول قدر جهد أن يسجل كل ما مر به ويعتمد على ذاكرته التي يعتبرها معطوبة في تدوين كل ما مر به ويجتهد في تذكر سيرته وآلامه، حد أن كتابته تصل إلى حد الهلوسة التي قد لا يفهم منها شيئًا لكنه يواصل الكتابة .. حتى النهاية!

وهكذا يؤسس ،سنان أنطون، لقراءة جديدة للمأساة تقوم على استعادة العلاقة بين الماضي والحاضر من جهة، وعلى رصد العلاقة الملتبسة بين الكاتب وكتابته من جهة أخرى و سعيه الدؤوب لرصد اللحظة الحرجة وتأريخها لإبقائها حيّة، حتى لو فارقته الحياة!

إذ ربما تبدو الحكاية تقليدية والكلام عن مآسي الحروب وما تتركه في نفوس البشر والآثار السلبية عليهم التي طالما استفاض الكتّاب والروائيون في حكايتها ووصفها، إلا أن ،سنان، قد لجأ في هذه الرواية إلى تجريب طرائق مختلفة في السرد جعل للرواية جاذبيتها ومذاقها الخاص، بدءًا بتقنية ،المخطوط، الذي تركه ،ودود، بين يدي الدكتور ،نمير،، والمقاطع التي تأتي منه في الرواية، والتي نلحظ أثناء عرضها أن لغة الدكتور قد تأثرت بها بل وتبدو قد تماشت معها، إلى حد أنه نفسه يتساءل في أحد مقاطع الرواية هل يكون هو نفسه ،ودود، في ظروفٍ أخرى؟!

من جهة أخرى جاءت لغة الرواية متماسكة تنحو إلى الشاعرية في كثيرٍ من مقاطعها لا سيما تلك التي تحدثت عن الأشياء، والتي جاء أكثرها على لسان ودود، كما يُحسب لـ،سنان، أن تقسيم الرواية إلى مقاطع صغيرة يحمل كل مقطع حكاية مرة أو أطرافًا من سيرة الراوي في أحيانٍ أخرى جانبًا من جوانب تميزها وجعلها متماسكة وشيقة في آنٍ معًا، كما كان انتقاله بين الزمان والمكان وبين شخصيات الرواية موفقًا إلى حدٍ كبير.

ويجب ألا ينسى حضور اللغة العامية في الحوارات بين أبطال الرواية، ولعلها أصبحت مما يميّز روايات سنان أنطون بشكل عام هو استخدامه للغة العامية العراقية (التي يسمونها المحكية) في الحوارات بين أبطاله، تلك اللغة والحوارات التي تجعلك تعيش بين أبطال النص، وتنقل جزءًا كبيرًا من عالمهم، وتفاجئ في كل مرة أنك تفهمها رغم غرابة بعض المفردات.

كذلك يأتي حضور الاقتباسات الأدبية في كثير من مقاطع الرواية سواء من الشعر العربي القديم أو من كلمات ،أبو حيان التوحيدي، أحد أهم السمات الجمالية في الرواية، لاسيما تلك المقاطع التي تتماهى مع حكايات الأبطال وكلماتهم، مثل رسالة ،الغريب، للتوحيدي التي تبدو مناسبة تمامًا لحالة الدكتور الجامعي العراقي الذي يعيش مغتربًا في أمريكا وتجمعه في الوقت نفسه بحالة ودود ذلك الغريب الذي لم يترك موطنه!

"لعل أطرف ما فعله سنان أنطون في هذه الرواية هو تلك الـ،نهايات،. لم تنتهِ الرواية نهاية واحدة كما هو معتاد، بل اختار أن يضع أمام القارئ، وعلى لسان بطل الرواية ،نمير، الذي يحكي قصّة ،ودود، عددًا من النهايات، جاءت الأولى فيهم الأكثر رومانسيةً وحلمًا، ولكنها بدت للكاتب غير واقعية، فاستبدلها على الفور بنهاياتٍ أخرى، وكأن الكاتب يوضِّح بعد تلك الجولة بين الزمان والمكان، وبعد أن تعرفنا على الشخصيات وما يجوس في دواخلهم من أزمات وما تحيط بحياتهم من مشكلات، أن النهاية لن تكون هي في الواقع ،نهاية، كما ينبغي أن تكون، فالعرض لازال مستمرًا، بل وبإمكان القارئ .في هذه الحالة .أن يضع النهاية التي يتخيلها، أو النهاية التي ترضيه، ولكن ليبقى في يقينه أن المأساة مستمرة، وأن ودود حتى وإن كان قد مات في إحدى تلك النهايات إلا أن قصته ومأساته ومأساة آلاف بل ملايين العراقيين، بل والعرب، لم تنتهِ ويبدو أنها لن تنتهي أبدًا"[128].

[128] عادل، إبراهيم، فهرس «سنان أنطون»: قراءة جديدة للمأساة، فن وأدب، 03-09-2016
/https://www.ida2at.com/index-sinan-anton-a-new-reading-of-the-tragedy

سعد محمد رحيم

سعد محمد رحيم كاتب عراقي ولد في ديالى، العراق، عام 1957. عمل في حقلي التدريس والصحافة ونشر أعماله الصحافية في بعض الصحف والدوريات العراقية والعربية. أصدر ست مجموعات قصصية وعددا من الدراسات السياسية والأدبية وثلاث روايات: "غسق الكراكي" (2000) التي فازت بجائزة الإبداع الروائي العراقي لسنة 2000، "ترنيمة امرأة، شفق البحر" (2012) و"مقتل بائع الكتب" (2016). كما فاز بجائزة أفضل تحقيق صحافي في العراق للعام 2005 وجائزة الإبداع في مجال القصة القصيرة/العراق 2010 عن مجموعة "زهر اللوز" (2009)[129].

مقتل بائع الكتب

"بتكليف من شخص ثري متنفذ، لن يعرّف عن هويته، يصل صحافي متمرس "ماجد بغدادي"، يدفعه الفضول، إلى مدينة بعقوبة (60 كم شمال بغداد)، في مهمة استقصائية، لمدة شهرين. كان الاتفاق يقتضي من الصحافي تأليف كتاب يكشف فيه أسرار حياة بائع كتب ورسّام، في السبعين من عمره، وملابسات مقتله، اسمه "محمود المرزوق". يعقد الصحافي علاقات مع معارف الراحل وأصدقائه، وسيعثر على دفتر دوّن فيه المرزوق بعض يومياته تؤرخ لحياة المدينة منذ اليوم الأول لاحتلال العراق، وعلى رسائل بينه وبين امرأة فرنسية تشتغل موديلا للرسامين اسمها جانيت كانت تربطه بها علاقة حميمة في أثناء لجوئه إلى باريس. من هذه المصادر وغيرها تتوضح شخصية المرزوق وتبين فصول من حياته المثيرة والمتعرجة، وعلاقاته وصداقاته مع النساء والرجال، وتجربته السياسية القلقة في العراق، ومن ثم في تشيكوسلوفاكيا، وهربه منها إلى فرنسا. وما سيبقى مبهما هو سبب مقتله"[130].

[129] الجائزة العالمية للرواية العربية، https://www.arabicfiction.org/ar/Saad-Mohammed-Rahim

[130] الجائزة العالمية للرواية العربية، https://www.arabicfiction.org/ar/The-Booksellers-Murder

بائع الكتب واحدة من الروايات التي تشعر بالإنتماء لها، كيف لا وهي تحاكي واقع العراق ومآسيه وتاريخه الحديث المسطر بالدم والسواد حيث الإحتلال الأمريكي وما أعقبه من دمار وخراب وإنتشار الميليشيات المسلحة والإقتتال الداخلي.

"بَعقوبة" التي شُبهت بقندهار بعد الإحتلال الأمريكي إختارها الكاتب مسرحاً لروايته. تبدأ الرواية بمقتل محمود المرزوق وهو بائع كتب يساري قُتل على يد مجهول أثناء خروجه من مكتبه في بعقوبة، يُسأل الكاتب والصحفي ماجد بغدادي عن طريق مكالمة من مجهول الكتابة عن محمود المرزوق بعد أن تم إغتياله في ظروف غامضة، وهناك في بعقوبة التي يسافر إليها من بغداد تبدأ رحلة جمعه معلومات عن هذا الرجل المجهول فيلتقي بالكثير ممن عرفوا محمود المرزوق سابقاً ويعثر على يوميات ورسائل تكون مادة خام لكتابه.

خاض محمود المرزوق حياة مثيرة وحافلة أحب الرسم والكتب وحاول الكتابة، تَميز بشخصية متمردة بالرغم من أنه لم يشارك ولو في مظاهرة واحدة، شخصية متحررة وبذيئة أحياناً، أمضى حياته بين باريس التي تَعرَّف فيها على جانيت وهي إحدى عشيقاته، وبين براغ التي تعرَّف فيها على ناتاشا وبعقوبة التي تعرَّف فيها على رباب وغادة وكثيرات غيرهن فقد لعبت النساء دوراً كبيراً في حياته وساهمت كل منهن في حياكة جانب من قصته.

وما قد يجعل الرواية قريبة من قلب القارئ وروحه هو ما تصفه من صراع نفسي وحرب داخلية إذ تلخص مشاعر الإنسان كالحب والشهوة والندم والشعور بالظلم والحزن والبكاء، مجسَّدَة بشخص المرزوق فترى نفسك تقول له "أشعر بك" وإن إختلفت قصصنا.

"ناهيك عن عناوين الكتب التي تملئ صفحات الرواية فضلاً عن اللوحات الفنية والموسيقى العربية مما يضفي عليها لمسة ساحرة. لغة الرواية سهلة وسلسلة، وأسلوب الكاتب ممتع ومشوق ويثير فضولك

لقراءة المزيد والمزيد. يكفي أن نقول أنها رواية من رحم معاناة شعب جرب كل مآسي الحروب والقتل والدمار والصراعات الطائفية، هي رواية وإن كانت قليلة بصفحاتها إختصرت الألم العراقي وإن لم يكن بشكل مباشر"[131].

يظهر بعد مراجعة هذة الروايات المشهورة لا في عالم العربي فحسب بل عالم الأدب بأسرها، أن معظها تعالج التيمات الحروب التي دمرت العراق منذ ثمانين، وما أبقت من الذكريات. والفرق في وجهة نظر بين الجيل الجديد التى نشأت وترعرعت في وسط الحروب وهولها، وبين الجيل القديم الذي رأى جوانب العراق الإيجابية قبل الحروب.

[131] صلاح، سماح، مراجعة رواية "مقتل بائع الكتب"، النقطة الزرقاء، 14-03-2020
مراجعة-رواية-مقتل-بائع-الكتب/https://bluenoqta.com/2020/03/14

الباب الرابع

علي بدر: حياته وأعماله

الفصل الأول: حياة علي بدر الأدبية

الفصل الثاني: تحليل روايات علي بدر المختارة

الفصل الأول

علي بدروحياته الأدبية

علي بدر روائي عراقي مشهور في عالم العرب وخارجه بأعماله الأدبية. يعيش في بلجيكا بعد مغادرة العراق في تسعينات قرن الماضي. وهو يعمل كمراسل وصحفي وأنه محرّر في عدة مجلات أدبية. بعد الاحتلال الأمريكي، عاد إلى العراق لإعداد التقريرات لصحيفات الأجنبية في فترة الحروب الطائفية وسيطرة المسلحين. قدّم عديدا من الروايات، ونال بها عديدا من الجوائز. ترسم أكثر رواياته صورة واضحة للعائلات العراقية في خمسينات قرن الماضي، كما أنها تسخر من التيارات الفكرية السائدة في تلك المرحلة من الزمن. أكثر رواياته تدور في بغداد في زمن قبل الاحتلال الأمريكي وتصور مختلف جوانب الحياة الاجتماعية في بغداد من حيث الثقافة والسياسة والدين.

ولد علي بدر في بغداد سنة 1964، ودرس في مدارس القديس يوسف في الكرادة الشرقية، وحصل على بكالوريس فى الأدب الفرنسى من جامعة بغداد في عام 1985. أدى الخدمة العسكرية بين عامى 1985 و1991 حيث أمضى نصفها فى الحرب العراقية الإيرانية. ودخل فى دورات متخصصة فى تحقيق المخطوطات وتصليحها بدار المخطوطات الوطنية فى بغداد عام 1992. وقد حاول إكمال دراسته الجامعية ببغداد عام 1996 وذلك عبر كتابة أطروحة عن رولان بارت، غير أنه أخرج لأسباب سياسية من الجامعة قبل المناقشة. ثم درس الفلسفة في جامعة بروكسل في بلجيكا. وهو يعمل كرئيس تحرير لدار ألكا للنشر[132] (DARALCA)، ومجلة الإلكترونية Eurolitkrant[133]. وهو روائي، وشاعر، مترجم شعر، وكاتب سيناريو كما أنه ناقد. وهو يدشّن تيار ما بعد الحداثة في الرواية العربية، وأعماله وثيقة الصلة بحياته

[132] تأسست دار ألكا(ALCA : Association libre de la culture et des arts) في العام 1967 كمنظمة للدفاع عن الثقافة والفن، المنظمة العالمية لحرية الثقافة والفن من قبل مجموعة من الطلبة العرب المقيمين في مارسيليا جنوب فرنسا، ثم أصبحت مقهى أدبيا في المدينة ذاتها قبل أن تنتقل إلى باريس في العام 1984 كدار نشر باللغة الفرنسية. وبعد توقف أكثر من عشرين عاما عادت للظهور كدار للنشر باللغة العربية، ولا سيما بعد أن رأس تحريرها الروائي العراقي علي بدر، فأخذت تهتم بتقديم أه م الإصدارات في العالم للقارئ العربي، بثمن رخيص وبجودة عالية.

[133] Eurolitkrant هي مجلة أدبية أوروبية متعددة التخصصات على الإنترنت، تجمع بين الأصوات المميزة في الشعر والرواية وغير الرواية، بالإضافة إلى أعمال الترجمة.

من جهة، ومن جهة أخرى هي مرآة عاكسة للحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية في العراق. تدور جميع رواياته في بغداد وتتخذ من الطبقة الوسطى موضوعا لها، فهو يحاول رسم صور مهمة عن التاريخ الثقافي والاجتماعي والسياسي للعراق عن طريق الرواية. صدرت روايته الأولى "بابا سارتر" في بيروت في عام 2001، وقد عالجت الوعي الثقافي الزائف وأثر التيار الوجودي على المثقفين العراقيين في الستينيات، وقد حازت هذه الرواية على عدة جوائز، وقد ترجمت إلى لغات عديدة[134]. وهو يعتبر أهم كاتب ظهر في عالم العربي في العقد الماضي.

أعماله الأدبية:

قام علي بدر بإصدار عديد من الأعمال الأدبية بما فيها الرواية والدراسات والمسرحيات؛ وحاز عديدا من الجوائز وترجمت أعماله إلى خمس عشرة لغة أجنبية بينها الإنكليزية والفرنسية والهولندية والايطالية والاسبانية والروسية والكورية والصينية والفارسية والكردية وغيرها[135]. أصدر إلى هذا اليوم أربع عشرة رواية، ومجموعة قصصية واحدة، وست دراسات فلسفية، وثلاث مسرحيات، وديواني شعر. وكتب العديد من الدراسات في الصحف العربية والعالمية، مثل الحياة، الأخبار، السفير، اللموند، الليبراسيون، الواشنطن بوست، الصنداي تايمز، والاندبندنت. عمل كمحرر أدبي في العديد من دور النشر العربية والأجنبية، مثل دار أربر دو بارول، وباربوس، ورياض الريس، المؤسسة العربية، دار المدى، وأسهم في تأسيس دار ألكا ودار الهدف. كما أنه اشترك في إصدار العديد من الأنطلوجيات بمختلف اللغات. سافر وعاش في بيروت، وعمان، وأديس أبابا، وليبج، ونيويورك، وبرلين، وأمستردام، يقيم حاليا في مدينة بروكسل حيث عمل فيها ككاتب في المسرح القومي البلجيكي، وعضوا في برلمان الكتاب العالمي[136].

[134] *كتارا*، https://www.kataranovels.com/novelist/على-بدر/

[135] https://ar.wikipedia.org/wiki/علي-بدر

[136] المرجع السابق

نتاجه الروائي:

1) بابا سارتر، 2001
2) شتاء العائلة، 2002
3) الطريق إلى تل المطران، 2005
4) الوليمة العارية، 2005
5) صخب ونساء وكاتب مغمور، 2006
6) الركض وراء الذئاب، 2007
7) حارس التبغ، 2008
8) ملوك الرمال، 2009
9) مصابيح أورشليم، 2009
10) الجريمة، الفن، قاموس بغداد، 2010
11) أساتذة الوهم، 2011
12) الكافرة، 2015
13) عازف الغيوم، 2016
14) الكذابون يحصلون على كل شيء، 2017

نشرت روايته الأولى" بابا سارتر" في بيروت عن دار رياض الريس في عام2001، وهي تعالج الوعي الثقافي الزائف وأثر التيار الوجودي على المثقفين العراقيين في الستينيات، وقد حازت هذه الرواية على جائزة الدولة للآداب في بغداد في العام 2001، وجائزة أبو القاسم الشابي في العام ذاته. وقد طبعت هذه الرواية أكثر من إثني عشرة طبعة كما أنها ترجمت إلى لغات عديدة.

روايته الثانية "شتاء العائلة" نشرت في بيروت عام 2002، والتي تصدت لتهدم الطبقة الإرستقراطية البغدادية في الخمسينيات ونهايتها. حازت هذه رواية على جائزة الإبداع الروائي في الإمارات العربية المتحدة عام 2002. كانت روايته الثالثة "الطريق إلى تل المطران" والتي أيضا نشرت في بيروت عام 2003. وروايته الرابعة كانت "الوليمة العارية" والتي نشرت عام 2004، وهي تعالج موضوعة انشقاق المثقفين بين العلمانية والدولة الدينية في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. حصلت هذه الرواية على منحة من مؤسسة الكوندور الثقافية. في عام 2005 نشرت روايته الخامسة "صخب ونساء وكاتب مغمور" وهي رواية ساخرة عن حياة آخر جيل من المثقفين العراقيين في التسعينيات. وروايته السادسة كانت "مصابيح أورشليم" تم نشرها عام 2006، وهي رواية عن المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد وتعالج موضوع انشقاق المثقفين العراقيين حوله إثر دخول قوات التحالف إلى بغداد وسقوط النظام العراقي. في العام 2007 نشرت روايته السابعة "الركض وراء الذئاب" وهي تحكي عن قصة تقرير صحفي يقوم به بطل الرواية عن الشيوعيين العراقيين الذي وصلوا أديس أبابا نهاية السبعينيات هربا من جحيم صدام حسين.

روايته الثامنة كانت "حارس التبغ"، نشرت في العام 2008، وهي رواية ذت أهمية كبيرة حيث استقبلها القراء بحرارة كبيرة، وترجمت إلى لغات عديدة منها الإنكليزية والفرنسية والبولونية والصينية والكردية. وهي تصدت لموضوع الهويات والصراع الطائفي في العراق كما أنها تحكي تاريخ العراق لمدة ثمانين سنة. وقد ادرجت في القائمة الطويلة لجائزة العالمية للرواية عام 2009.

روايته التاسعة "ملوك الرمال" نشرت عام 2009، وهي عن مواجهة بين فصيل من الجيش العراقي ومجموعة من البدو أثناء حرب الخليج الثانية. كانت روايته العاشرة "الجريمة والفن وقاموس بغداد" وهي نشرت عام 2010، تحكي قصة المدارس الفلسفية والأسرارية في بغداد في العصر العباسي، تبدأ أحداث

الرواية في القرن السادس الهجري. وفي العام 2011 نشرت روايته الحادية عشرة "أساتذة الوهم"، وهي رواية عن الشعر والحب والموت في العراق، تدور أحداثها في بغداد في العام 1987.

استمر علي بدر على نشر الروايات على معدل واحدة كل سنة منذ ان بدأ في 2001 إلى 2011، ثم استنكف لمدة أربع سنوات عن نشر الروايات. حتى استأنف كتابتها بأسلوب جديد من تصوير الحياة الاجتماعية في العراق بروايته "الكافرة" سنة 2015. وتبعتها رواية "عازف الغيوم" والتي نشرت عام 2016، بطريقة مماثلة لما قبلها في الثيمة.

رواية "الكذابون يحصول على كل شيء سنة 2017، تدور أحداث هذه الرواية في لويز، أو حارة السياسيين المنكوبين، وهي منطقة راقية في بروكسل عاصمة الاتحاد الأوربي. أصبحت منذ الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي مأوى للسياسيين المنكوبين. وهم السياسيون الذين تطيح بهم الانقلابات العسكرية، أو الثورات الشعبية، أو الانتفاضات المسلحة التي تحدث غالباً في العالم الثالث، فيأتون للسكن في لويز، حيث تقوم شركات متخصصة بنقل ما يسرقونه من أموال من بلدانهم وجلبها لهم، ليعيشوا عيشة باذخة.

وهناك بعض من الأعمال الأدبية غير روائية من الدراسات والمسرحيات وفيلم وثائقي، وهي كما تلي[137]:

الدراسات

1) أمير نائم وحملة تنتظر، 2005.
2) ماسنيون في بغداد، 2006.
3) خرائط منتصف الليل (رحلات وريبورتاجات صحفية عن إسطنبول وطهران وأثينا والجزائر وقبرص وباريس وأفريقيا)، 2006.

[137] هذه المعلومات مأخوذة من موقع الإلكتروني ويكيبيديا (https://ar.wikipedia.org/wiki/علي-بدر)

4) شهادات (شهادات عن عراق ما بعد صدام حسين)، 2007.

5) بين الوطن والمنفى ريبورتاج صحفي مع الصحفية الأميركية شرل مندز، 2008.

6) بطاقة دخول إلى حفلة المشاهير، 2010.

المسرحيات

1) القاتل الخيالي، 2012.

2) فاطمة التي اسمها صوفي، 2013.

فيلم

1. فيلم وثائقي (تحت الرماد) مع المخرج زياد تركي، 2007.

مجموعة قصصية

1) حفلة القتلة، 2018

أسلوبه الفني:

(وهو يمزج الخيال الفني بالواقع، ليستخرج من ذلك المزيج وقائعه الشخصية، التي هي وقائع متخيلة على رغم أن هناك أكثر من خيط يمتد بينها وبين الواقع. فعلي بدر الذي يكتب بطريقة متوترة وسريعة، يصنع لقرائه مصيراً منحازاً، أو هو ما يخطط له ضمناً.)

"في بابا سارتر كانت سخريته المريرة من ثقافة ستينات القرن الماضي هدفاً، وفي الركض وراء الذئاب استبدل هدفاً آخر بهدف سخريته ذاك النموذج العراقي من الشيوعية. نوع مختلف من الكتابة الروائية، ذلك الذي يتبعه علي بدر"[138]. لذلك وقع القراء في حيرة من أمره: إما أنهم سيقبلونه ، وبعد ذلك سيضطرون إلى قبول أفكار الروائي ، أو يرفضونه ، وبالتالي يحرمون أنفسهم من متعة التجسس على حياة نادرة.

[138] علي- بدر/https://ar.wikipedia.org/wiki

"فبدر في رواياته لا يستثني جزءاً من الظاهرة التي يناقشها من أسئلته الغاصة بالشكوك. في "الركض وراء الذئاب" هناك صفحات بأكملها خصصها الروائي لأسئلته المباشرة التي تضع مفهوم الثورة في قفص الاتهام. أما في بابا سارتر فإنه يضع العقد الستيني بكل لغزيته وغموضه وحراكه المتمرد في سلة واحدة ليلقي بها في الفراغ"[139].

كانت حيادية الكاتب تعبيرا عن مهارته الحرفية ، "هذا ما يقوله أبطالي وليست أنا" لكنه يفقد السيطرة في بعض الأحيان ، وتنحرفت الرواية عن مسارها ، فتمتلأ صفحاتها بالكلام المباشر الذي يحمل ثقل الواقع. وهنا يتحول الإبداع الفني من منجم للرؤى إلى فضاء للأفكار. كتب الروائي الكثير من الصفحات بحيث يمكن للمرء أن يتجنب قراءتها. بقدر ما كانت قريبة بشكل مباشر من السياسة ، كانت تطعن الفن كخلاص. تلك الصفحات أفرغت روايته من الجمال. إلا أن خطأ من هذا النوع لا يطيح بالعمارة الباروكية، بل قد يختلط بزخارفها لتكون جزءًا بارزًا منها، وهو ما يراه المرء كأنه ترميم لحاجة ضرورية.

علي بدر ماهر في إنشاء هذا النوع من العمارة، وهو النوع الذي تتغلغل فيه الموسيقى من جميع الجهات. يلجأ أحيانًا إلى حلول سينمائية سريعة، كما فعل في بابا سارتر. غير أن المصائر التي تنتظر هي غير النسيج الذي يحاك بيدين قلقتين[140]. يحبس القارئ أنفاسه في صفحات كثيرة ، متوقعًا أن يرى نهاية غير متوقعة تجر كل هذا الدمار الذي تخيله إلى مكان آخر. مكان يكون فيه هذا الخراب مجرد ذكرى. ومع ذلك ، فإن الروائي متشائم حتى النهاية كما في رواية الكافرة ورواية عازف الغيوم، يرجع فيهما البطل خائبا.

شخصياته الروائية:

"يستمد علي بدر أفكاره من مزيج نظري بين اتجاهات ما بعد الحداثة وما بعد الاستعمار. أسس كتاباته على نصوص مهمة من كتابات مثل هومي بابا ، غاياتري سبيفاك وغيرها. لذلك تعتبر رواياته نوعًا من

[139] المرجع السابق

[140] علي- بدر/https://ar.wikipedia.org/wiki

الكتابة الباروكية التي تقوم على إحياء الأصوات المظلومة والمهمشة في الحياة الاجتماعية والثقافية"[141]. وهو يصور بدقة حياة العائلات البغدادية بدون أي فرق بين الأغنياء أو الفقراء مثلما يصور الحياة الثقافية والسياسية في بغداد بدقة، وهو يصور المقاهي والمتنزهات والحانات والطوابق السفلية والفنادق والمسارح والشوارع بكل دقة ووضوح. لطالما كان هذا المزيج العرقي لبغداد ، عائلات مسيحية ومسلمة ويهودية تعيش على خلفية أفكار وجودية وشيوعية وقومية ، تتشاجر على خلفية صراعات طبقية وعرقية وسياسية وتعاني من تقلبات وثورات سياسية شديدة.

اشتهرت روايته بابا سارتر التي نشرتها دار رياض الريس في بيروت بشخصياتها الغريبة، ورغم أنها ترسم صورة واضحة للحياة الاجتماعية في بغداد إلا أنها قدمت شخصيات مميزة للأدب العربي منها:

حنا يوسف بوجه غريب وصديقته اللاأخلاقية نونو بحر، عبد الرحمن الفيلسوف العراقي، عاشق الفلسفة الوجودية وتلميذ جان بول سارتر، دلال مصبني، الراقصة التي انقلبت حياتها بسبب تقلب السياسة والأفكار في بغداد، إسماعيل حدوب، اللئيم والانتهازي الذي انتقل من الشيوعية إلى الوجودية، وشاؤول اليهودي الشيوعي الذي يريد أن يؤسس على الأرض مملكة السعادة، إدموند عاشق تروتسكي الذي أراد أن يصنع الثورة ويدمر كل شيء، الجميلة نادية خدوري، التي أصبح ضحية المتعصبين للأفكار والكليشيهات الثقافية.

الجوائز والمنحة

هناك بعض الجوائز والمنح التي حصل عليها علي بدر وهي كما تلي[142]:

1. جائزة ماريو لاتيس، القائمة القصيرة لرواية عازف الغيوم، الطبعة الإيطالية، التي نشرتها Argo. (روما، 2019)

[141] المرجع السابق

[142] هذه المعلومات مأخوذة من موقع الإلكتروني ويكيبيديا (https://en.wikipedia.org/wiki/Ali_Bader)

2. جائزة الشيخ حمد للترجمة والتفاهم الدولي عن الترجمة الفرنسية لرواية بابا سارتر، الصادرة عن Edition du Seuil. (الدوحة، 2016)
3. منحة سانت إيدن بانيبال بجامعة دورهام ببريطانيا. (المملكة المتحدة، 2014)
4. منحة من دار الكتاب الصينيين في شنغهاي. (شنغهاي، 2013)
5. منحة هاينريش بول في ألمانيا. (كولونيا، 2010)
6. القائمة الطويلة لجائزة البوكر العربية، رواية ملوك الرمال. (2009)
7. القائمة الطويلة، جائزة البوكر العربية لرواية حارس التبغ(2008)
8. وسام الشرف من دار الكتب الوطنية الجزائرية للكتابة عن الأدب والنفي (2007)
9. جائزة ابن بطوطة لكتب السفر (أبوظبي 2005)
10. جائزة الإبداع الأدبي (إمارات العربية المتحدة 2004)
11. جائزة أبو القاسم الشابي لرواية بابا سارتر (تونس 2003)
12. جائزة الدولة للآداب لرواية بابا سارتر (بغداد 2002)

ومن أعماله الروائية، يختار الباحث روايتين فقط للتحليل. وهما رواية الكافرة ورواية عازف الغيوم، حيث إنهما تصوير للحياة الاجتماعية في العراق بعد الاحتلال الأمريكي. تبينان البنية الاجتماعية والتغير الاجتماعي على شكل واضح؛ بينما الأخري من رواياته وان كانت تصويرات للحياة الاجتماعية في العراق، لكنها تصويرات للحياة الاجتماعية قبل احتلال الأمريكي، لذا ارتكز الباحث على هاتين الروايتين، تاركا الأخرى للبحثين الآخرين.

الفصل الثاني

تحليل رواياته المختارة

رواية "الكافرة"

هي قصة فاطمة في العراق تحولت إلى صوفيا في البلجيكا؛ كانت تعيش في عائلة فقيرة مع والديها في بيت على حافة الصحراء في قرية، سيطر عليها مسلحون والتحق بهم والدها. فنقلت العائلة إلى المدينة الصغيرة لتعيش في منزل صغير ملتصق بمنزل كبير للمسلّحين. كان أبوها يقوم بمهمات خارج المدينة، يكلّفه بها المسلّحون، بينما كانت أمها تقوم بتنظيف منزل المسلحين كله في الصباح الباكر حتى منتصف النهار، أما هي كانت على مساعدة أمها في التنظيف وفي الأعمال الخدمية الأخرى. اختفى والدها من حياتها إلى الأبد وتزوجت أمها من رجل آخر إنه أيضا مات. وفي سبعة عشر من عمرها وقعت في حب رجل من المسلّحين الذي جاء إلى بيتها معزيا لأمها بعد وفاة زوجها الثاني، وتزوّجت منه. منحها الزواج منه بعضا من الراحة والحرية رغم كون المحيط في حالة من الحزن والقلق. وهذه العلاقة لم تدم إلا لمدّة قصيرة حيث إن الزوجها رياض لم يعثر على عمل بعد وفاة والدته التى كانت تقيم العائلة لأن المسلحين قد سدّوا كل العمل إلا القتل، فالتحق بهم ورزق مال كثير لتنفيذ عملية انتحارية بتوجيه منهم أن سبعين حورية ينتظرنه في الجنّة. ثمّ، إثر وفاة أمها استلمت رسالة من المسلّحين تطلب فيها ان تحضر في مقر رئيس المسلّحين. فاتّصلت بمهرب ليوصلها إلى أوربا. أوصلها إلى كامب اللاجئين في بلجيكا لكن اغتصبها في الطريق.

وفي بلجيكا حصلت على ورقة اللجوء فاستأجرت شقة للسكن وتعلّمت اللغة الفرنسية والفلامانية. كانت وحيدة وسئمت من العزلة فتعلمت حيلة لتمضية الوقت، وكانت التقات الأثاث التى يرميها البلجيكيون، فتجمعها وتقوم باصلاح ما كسر منها وتبيعها في السوق الأحد. واجهت اهانة من المهاجرين فقرّرت على تغيير اسمها من الفاطمة إلى صوفيا استنكارا لأصليتها العربية كما قرّرت لتغيير شقّتها من المنطقة التى لا يقنطها إلا اللاجئون.

حصلت على عمل ثابت وبراتب شهري في شركة تركية للتنظيف، فاشترت براتبها الأول ملابس جمليلة وانتقلت إلى شقة واسعة بالقرب من السالبون. قضت أفراغها في المقاهى والبارات، ووجدت المتعة في دردشة مع الرجال خاصة الوسيمين وقضاء السهرة معهم انتقاما لزوجها الذي رحل لملاقاة سبعين حورية.

ذهبت إلى أوستنده شمال بلجيكا لتقضي عطلتها هناك فالتقى في الفندق إدريان الذي جاء لاحتفال عيد ميلاده وحيدا. وكان من ستوكهولم ويعمل في مطار زفتان، في بروسكل. كلّها اطلعت عليها من محادثته مع موظفة الاستقبال وطرحت في نفسها سؤالا "لم يحتفل عيد ميلاده وحيدا"، فالتفت إليه ومن نظرة الأولى سحرها بروفايله. ثمّ التقيا في الفندق بعد ان كانا يلماحان بعضهما البعض على الساحل. هذه الملاقاة وان تحوّلت إلى الحبّ توّا وصمّمت ان تكرّس نفسها جسدا وروحا له ، لم يتحدّث إدريان عن تاريخه وبالتإلى أنه حاول ان يخفي كل شيئ عنها قرد إمكانه. لكن بدئت ان تكشف أسرار حياته واحدا تلو واحد؛ فكان أول ما اكتشفت أنه نصف اسكاندنافي ونصف لبناني، ثمّ اكتشفت عن انتحار والده يوم ميلاده.

بعد حادث سيارة يوم عيد ميلاده أدخل في المستشفى، فقضت صوفيا ليلا في شقته فقرّرت ان تطلع على جميع أسراره حتى اكتشفت ان عائلة والده ماتت بمذبحة في بيروت، ثمّ اكتشفت أن والده اشترك في مليشيا أهلية ردا على مقتل شقيقته، ثمّ اكتشفت أنه متزوجة ولديه ابنة وأن زوجته هي نفس الطفلة التى اراد أبوه قتلها لكن لم يستطع. أخيرا تميّزت أنها أيضا كانت تخفى هويتها وتاريخها إلا ما بعد مجيئها إلى البروسكل؛ وهما فريستا تشدّد المسلّحين، إلا أن الفرق بينهما أنها فريسة المسلّحين المسلمين بينما هو فريسة المسلّحين المسيحيين، يحاولان الهروب منهم حتى التقا في بروسكل بالمحض الصدفة وكانا يجدان الراحة في صداقتهما. لكن بعد حضور زوجته في المستشفى واكتشاف صوفي على أسراره برمتها تودعه وترتحل عنه مستسلمة لمصيرها إلى الحياة السابقة.

شخصية صوفيا

صوفيا امرأة في الثلاثين من عمرها تقطن في بروسكل في بلجيكا. تستعيد ذكرياتها الماضية في المستشفى الذي ادخل فيه حبيبها إدريان بعد حادث سيارة عند رجوعهما بعد حفلة عيد ميلاده. كانت ملاقاتها له في بروسكل كانت تحقيقا لرغبتها للحبّ والعناية منذ الطفولة فهذا الحادث قد حطم أملها مرة أخرى فتسترجع الماضي من حياتها في العراق والهروب منها إلى البلجيكا كلاجئة وتغيير اسمها فيها ومظهرها الشخصية.

كانت صوفيا فاطمة في العراق، البلد الذي تراها أرضا ملعونة. ولدت في عائلة هيمن عليها الفقر والعدم وكان أثره واضحا في علاقة بين أعضائها. فلم تعط للحبّ قدرا كما لم تعتن باكتراث شخصية. أمها لم ترها ضاحكة حتى مرة واحدة طوال حياتها معها، وكانت تكره المزاح وتسمّي المزاح والضحك سفاهة؛ فكانت حزينة وباكية دائما وشاكية من كل شيئ. وبالتإلى كانت أمها تبعدها عندما تلتحق بها للعناية منها كأم، كما كانت تبتعد بنفسها عن أبيها بمظهره القبيحة وبمعاملته الشخصية المخيفة رغم كونه وسيما. كل ما كان يعتنى به والداها التحذير من الوقوع في الحبّ بالأجانب.

هناك بعض من الحوادث تتذكّرها بوضوح، تتذكر صورها، أحداثها، الكلمات كلها بصورة واضحة لا تنساها، وهي وتطاردها حتى الآن بذاكرتها القوية. ومن بعض الذكريات التى عصرت قلبها ولم تنس أبدا صورة الرجل الذي يمر بدارها كمجنون بسبب تزويج المرأة التى عشقها إلى غيره؛ فكان كل من يراها حتى الصبيان يسخر منه بينما تحسّ منه الحزن الشديد. كذالك صديقتها الحميمة 'جمليلة' التى كان بينهما حبّ عنيف غامض حتى كانتا تبادلان الرسائل، قتلها والدها بلا رحمة ولا شفقة بضرب صخرة على رأسها بسبب اغتصاب ابن جارها لها دون ان تفهم ما حدث لها بكل برائتها الطفلية. هذه الحادثة، والتى تركتها بلا صديق حتى ان تلتقى بإدريان، جرحت قلبها وصادت خيالها حتى كانت تستيقظ في الليل خائفة راجفة مرتاعة. ومنها صوت أمها المتهدّج وصورتها والدم ينفجر من فمها بلطم زرجها الثانى راضي على وجهها.

إضافة إلى ذلك، تعرضت للإذلال والإهانات والتحرّش من الأكبر منها سنا في غيبة أمها، وواجهتها بصمت وألم وبكاء، ولم تشاطرها مع أحد خوفا من التكذيب. حتى كانت طفوفتها مملوءة بالأسى واليأس والخوف والهلع. والراحة الوحيدة وجدتها في حضور أمها، وغيابها اوجد فيها القلق؛ فالأب كان وجوده قوّة لهم رغم معالمته المخيفة معهم بسبب الفقر.

بعد سيطرة المسلّحين على مدينتها والتحاق أبيها بهم تحوّل الحال إلى الأسوء منه وأصبحت الحياة قاسية ليس فيها أدنى تسامح ولا أية فسحة للجمال ولا أية فرجة للفرح. شهدت لوحشية المتشدّدين من قتل الأطفال واغتصاب النساء وإفساد الأبرياء، وبالتإلى اعمالها في مقر المسلّحين كمساعدة لأمها أتعبها برمتها. وانتهت إلى كلمات مثل الكافرة والزانية والرجم من هنا وهي جاهلة عن معناها. وشهودها لرجم فتاة أثّر فيها أثرا بالغا حتى تمنّت ان تلتحق بها للتخفيف عنها، كما أثار شبهة في ذهنها عن وجود الله وعدله.

وتزامنها كونها مراهقة، فشعرت بالخوف والكراهة بسبب الأنظار المصوّبات نحوها. حينما أمرها أبوها ان تلبس النقاب حتى أمامه وحذّرها من البكارة، أوجدت هذه التحذيرات فيها شعورا وذلك أن جسدها خارج سيطرتها، وللرجل سطوة عليها، وأن بكراتها جوهرة، عليها ان لا تفقدها قبل مجيئ صاحبها؛ وهي بمثابة شرف العائلة، تدنيسها أو تفقيدها يكلّف بثمن باهض. حتى تميزت أن الحيوانات تقتل غيرها من أجل بقاءها بينما الإنسان يمكن قتله غيره من أجل إيمانه بفكرة أو بإله. وعملها في مقرّ المسلّحين واطلاعها على تفاصيل المسجونات المنقبات ومصيرهن جفّف روحها الطازجة ورغبتها في متعة الحياة.

إنّ مجيئ ابن راضي، الشاب الوسيم الحليق اللحية والشارب الطالب في الجامعة مرتديا ملابس حديثة لزيارة أبيه وقضاء عطلته الصيفية في بيتها قد أحدث فيها فرحا شديدا حيث إنها لم تتعوّد إلاّ على سحنة مخيفة من العبوس واللحية المطلقة والعمامة السوداء؛ إضافة إلى ذلك، مراقبته لها قادتها إلى نوع من النشوة. فبدأت تراقبه من جهتها خفية تفاصيل جسمه حتى راودت فيها رغبة لحضنه واحساس دفء جسده. إنها طلبت من أمها لتكوّي لها ثوبها وتجلس في زاوية البيت مطلقة روحها وجسدها معه. وفي عزلة

البيت أخذت صورته وأخذت تحسّسها من عينيه وشفتيه حتى وضعت شفتيها على شفتيه وفي النهاية خلعت قميصها واستلقت في حقيبته عارية؛ إلا أن هذه المتعة انتهت بمغادرته في نهاية الصيف تاركة إياها تلتهف للحبّ.

إن القوانين القاسية التى يمضيها المسلّحون والنقاب الذي ترتدى لم تكن كافية لكبح رغبتها الجسمية وشهوتها النفسية حتى عشقت رجلا من المسلّحين كانت تعرفها قبل ظهور المشدّدين في مدينتها مرتديا ملابس حسنة ومبتسما يحي كل من يراه. إنه، وان التحق بالمسلّحين وترك ملابسه المعتادة وتابع طرازهم من اللباس، رأت فيه نوعا من البراءة والحنوة من الناحية الشخصية. تعرفها به السابق وتلهفها للحبّ أدّا إلى اختراع حيلة للملاقاة به، فخرجت من البيت على أنها لتسوق رغم تحذيرات امها، وذهبت إلى بيته مباشرة ورفعت نقابها لان يعرفها. هذه الملاقاة تبعها تبادل الرسائل حتى انتهت في الزواج حسب موافقة أمها وموافقة قائد مجموعته من المسلّحين. إن الزواج أحدث فيها شعورا بالراحة والحرية والسعادة رغم الحزن والقهر التى تستمرّ حولها في المدينة. لكن بعد وفاة أم زوجها وفشله للعثور على عمل ملائم، التحق بالمسلّحين تماما وقام بعملية انتحارية وفقا لأمر من المسلحين كنهاية للسعادة التى كانت تعيشها منذ أشهر. إن تبريره لقيامه بتنفيذ العملية من أن سبعين حورية بانتظاه في الجنّة بدّل اشفاقها عليه واختفت منها كل عاطفة نحوه؛ وتمجيد المسلّحين عمليته بأنه قتل الكفار، وهي واثقة أن معظم المقتولين الباعة المتجولين، ضاعف اشمأزازها منهم وملّلها من رئية الرعب في عيون الناس. وهي عادت إلى حياتها السابقة مع أمها بعد ان كانت في قمّة الفرح والسرور لمدّة قصيرة.

كانت وفاة أمها تحذيرا على حياتها، خاصة بعد ان استلمت الطلب من رئيس المسلّحين للمقابلة معه في مقرّه. فقرّرت المغادرة من العراق حيث إنه لم يبق هناك ما يربطها بذلك المكان، رغم كونها حرّة مطلقة. وكانت محاولتها التالية العثور على مهرّبين، ونجحت فيها حين وافقها واحد منهم لان يوصلها إلى بلجيكا. إنه

قام بما وعد إلا أنها تعرّضت لاغتصابه أثناء الطريق على الرغم من قسمه أنه رجل أمين يخاف الله ولا يحبّ ان يأخذ المال بيده مباشرة ويقوم بهذه المهمّة الشاقة كعمل خيري ليرى الآخرين سعداءفقط.

منذ اليوم الأول بعد ان وصلت إلى مخيّم للاجئين في بلجيكا شعرت بالأمان والامتلاء الشيئين الأساسيين في حياة الإنسان، كانت تفقدهما في العراق؛ إضافة إلى استمتاعها بالحرّية التامة التى تعيش ليومها ولا تقلق عن الغد. تمكّنت لأول مرة من رمي ما بقي عندها من الخبز للطيور، والتسكع في الشوارع صباحا ومساء بلا هدف ولا ازعاج. وفي اليوم التالي رمت نقابها في المزبلة وحاولت ان تكون حرّة كاملة لا تنتابها فكرة من الطعام والمأوى. وأدهشتها المناظر الطبيعية كما لفت أنظارها ازدحام العرب والأفارقة في ذلك المدينة مبقيا سؤالا في ذهنها لم لا يوجد الأجانب في مدن العراق؟

استأجرت حجرة في بروسكل بعد حصولها على اللجوء لتقطن مستقلّة. وسجّلت في مدرسة لتعلّم اللغتين الفرنسية والفلامانية متجاوزة الصعوبات ومصرّة للخوض في المجتمع بايلاء انتباه خاص للكنتها لاخفاء أصلها العربي. استمرّت على حالها لكن بعد شهر عندما شعرت بالملل بعزلتها، قامت بالتقاط الأثاث التى يرميها البلجيكيون وبيعها في سوق الأحد بعد اصلاح ما فسد منها. وهذا العمل الجديد، وان جرى في الأصبوع الأول بكل نجاح وتولّد فيها انتعاش وحيوية، لم يطل حيث تواجهت اهانة من المهاجرين واعراضا من الشرطة باعتبارها معركة تافهة بين المهاجرين. فكان هذا الإذلال صدمة أولى على شعورها بأنها ستعيش حياتها في هذا العالم كما تشاء ولا يتدخّل أحد فيها؛ وشعرت ليس في العالم مكان هادئ ومنعزل لامرأة لتلجأ إليه، وليس هناك ألم أكبر من ألم الإهانة والكرامة المهدورة وأن كرامة المرأة هي الشيئ الوحيد الذي تدفعها للبقاء على قيد الحياة وانتهاكها وموتها سواء حتى حاولت الخلاص من ألمها الداخلى الكبير بمساعدة الموت....

بحثت عن سبب مأساتها حتى أدركت أنه بعيشها في هذا العالم لاجئة غريبة وحيدة وأن المهاجرين جاءوا للعمل، لهم ميزة وهوية بأعمالهم وعائلاتهم وعلاقاتهم؛ بينما اللاجئ الذي يأتي بسبب الحروب والكوراث

وحيد بلا عمل ولا علاقات ويعيش على المساعدات ولا يعرف اللغة. فالمهاجرون العاملون ينظرون إلى اللاجئين باحتقار دائم، والمرأة خاصة، يرونها عاهرة أو عاهرة كامنة بينما ينظرون إلى الساكن الأصلي بكل احترام وإعجاب شديد ويشعرون بدونيتهم أمامه، وأنها في الدرجة السفلى في هذه السلسلة.

تنبّهت إلى أهمية التحرّر التام من بصمات اللجوء فقامت أولا بتغيير اسمها العربية الفاطمة وتعريفها باسم يخفي أصلها العربي ويوهم أنها بلجيكية فقبلت اسم صوفيا؛ وبالتالي بمغادرة المنطقة التى تقنط إلى منطقة أكثر قدرا واحتراما. حصولها على عمل ثابت وبراتب شهري كان تحقيقا لرغبتها وتحويلا لشخصيتها برمّتها في الملابس والشقّة والمآكل حتى في المعاملة مع الآخرين، والتي نالت بها انتباه رئيس عملها شاب مهذب في غاية التهذيب واحترامه لها.

ذهبت إلى أوستنده شمال بلجيكا لتقضي عطلتها هناك فالتقت في الفندق إدريان الذي جاء لاحتفال عيد ميلاده وحيدا. وكان من ستوكهولم ويعمل في مطار زفتان، في بروسكل. كلّ هذه المعلومات اطلعت عليها من محادثته مع موظفة الاستقبال وطرحت في نفسها سؤالا "لم يحتفل عيد ميلاده وحيدا"، فالتفت إليه ومن نظرة الأولى سحرها بروفايله. ثمّ التقيا في الفندق بعد ان كانا يلماحان بعضهما البعض على الساحل. هذه الملاقاة وان تحوّلت إلى الحبّ توّا وصمّمت ان تكرّس نفسها له جسدا وروحا، لم يتحدّث إدريان عن تاريخه ولا عن ملابساته أبدا، بل حاول ان يخفي كل شيئ عنها قرد إمكانه. لكن بدئت ان تكشف أسرار حياته واحدا تلو واحد؛ فكان أول ما اكتشفت أنه نصف اسكاندنافي ونصف لبناني، ثمّ اكتشفت عن انتحار والده يوم ميلاده.

بعد حادث سيارة يوم عيد ميلاده أدخل في المستشفى، فقضت صوفيا ليلا في شقته فقرّرت ان تطلع على جميع أسراره حتى اكتشفت أن عائلة والده ماتت بمذبحة في بيروت، ثمّ اكتشفت أن والده اشترك في مليشيا أهلية ردا على مقتل شقيقته، ثمّ اكتشفت أنه متزوجة ولديه ابنة وأن زوجته هي نفس الطفلة التى أراد أبوه قتلها لكن لم يستطع. أخيرا تميّزت أنها أيضا كانت تخفى هويتها وتاريخها إلا ما بعد مجيئها إلى

البروسكل؛ وأنهما فريستا تشدّد المسلّحين، يحاولان الهروب منهم حتى التقيا في بروسكل بالمحض الصدفة وكانا يجدان الراحة في صداقتهما. لكن بعد حضور زوجة إدريان في المستشفى واكتشاف صوفيا على أسراره برمتها تودعه وترتحل عنه مستسلمة لمصيرها إلى الحياة السابقة.

شخصية إدريان

إدريان شخص في ثلاثين من عمره، وهو من ستوكهولم ويعمل في مطار زفتان في بروسكل، له زوجة وابنة. وهو رجل خجول لا يتكلّم كثيرا بل يحاول ان يخفي كثيرا من أخباره خاصة ماضيه. وهو لا يظهر في الرواية إلا كشخص ثان لا يتكلّم مباشرا، بل تظهر بيانات عنه من خلال ذكريات الشخص الأول الذي أدركها من الألبومات وأشرطة الفيديوت المخفية في شقّة إدريان، وتدخلات المؤلف.

ولد إدريان في ستوكهولم وكان والده ينحدر من عائلة جبّور المسيحية في لبنان اسمه غابرييل جبّور ووالدته بيرنا يارغارد النورويجية؛ لذا كان نصف اسكاندنافي ونصف لبناني. كان والده هاجر أثناء الحرب الأهلية إلى أوسلو في النرويج كي يعمل في شركة عمّه منير جبّور، وكانت شركة تخليص للبضائع والنقل البحري، وتزوّج سكرتيرة عمّه. ثمّ انتقلا إلى ستوكهولم للعمل حين فتح غابرييل مكتبا للتجارة بين بيروت وستوكهولم خاصا به وبزوجته.

وكان والده قد التحق بمليشيا مسيحية للانتقام من إحدى ميليشيا التى قتل جميع عائلته. ولكنه لم يستطع التخلص من الصور الحرب وبشاعة الأحداث بعد ارتكابه مجزرة بعائلات الميليشيات الأخري، فمرض بالشيزورينا حتى انتحر بعد فترة قصيرة، يوم ميلاد إدريان.

كان إدريان قد رأى والده، وهو يطلق الرصاص على صدره، وهذه الصورة المؤلمة لم تفارق خياله بعد. وبعد دفن والده، تولت والدة إدريان إدارة مكتب التصدير، فكانت تسافر كثيرا إلى البيروت، ولم تعبأ به وأرسلته إلى مدرسة مسيحية داخلية حسب وصية والده. وكان إدريان يواجه صعوبة شديدة للتأقلم مع

المحيط الجديد رغم محاولته ان يكون تلميذا جيّدا. وكان يحبّ الانضباط ويخضع للقوانين ويحبّ المصلّى بتماثيله القدسية ورائحة شموعه وياسمينه ويمضي الساعات الطوال في الممرات الخالية والأفنية الظليلة. لكنه كان يهرب من رقابة الراهبات، ويختبأ في غرفة المهملات للتخلّص من صخب أترابه ورائحة القاعات الدرس الحرّيفة.

فرواية "الكافرة" تقدم قصة معقدة ومشوقة تستكشف حياة الشخصيتين الرئيسيتين، وكيف تتقاطع مساراتهما وتتطور عبر الأحداث. القصة تشمل العديد من الجوانب الهامة الفنية التي يمكن تحليلها كما يلي:

الهويات المتعددة:

الرواية تتناول موضوع الهويات المتعددة وتغيير الهوية على مر الزمن. فاطمة تبدأ كفتاة عراقية فقيرة تعيش في ظروف صعبة، وبعد هروبها إلى بلجيكا، تغير اسمها إلى صوفيا وتحاول تكييف هويتها مع الوسط الجديد.

العنف والتشدد:

تظهر الرواية العنف والتشدد من خلال تجربة فاطمة في العراق وانضمام والدها إلى مسلحين. هذا يلقي الضوء على التأثيرات النفسية للعنف والتطرف على الأفراد والأسر.

البحث عن الهوية:

إدريان وصوفيا يبحثان عن هويتهما الحقيقية وتاريخهما المفقود. هذا يمثل رغبة الأفراد في فهم أصولهم وماضيهم والبحث عن معنى لحياتهم.

الصدفة والقدر:

اللقاء الصدفي بين إدريان وصوفيا في فندق أوستنده يلعب دورًا مهمًا في تطور القصة. هذا يظهر كيف يمكن للصدف والقدر أن يؤثران بشكل كبير على حياة الأفراد.

تأثير الأسرار والكشف عنها:

الرواية تسلط الضوء على كيفية تأثير الأسرار على العلاقات الإنسانية. إدريان وصوفيا يكتشفان العديد من الأسرار عن بعضهما البعض، وهذا يؤثر على علاقتهما.

الهروب والتحدي:

الشخصيتين تحاولان الهروب من ماضيهما المأساوي والتحديات التي واجهوها. هذا يظهر كيف يمكن للأفراد التغلب على الصعاب والسعي لحياة أفضل.

الحب والفقدان:

قصة حب إدريان وصوفيا تظهر كيف يمكن للعلاقات العاطفية أن تكون مصدرًا للسعادة والفقدان في نفس الوقت.

في المجمل، تقدم "الكافرة" رحلة درامية ومعقدة للشخصيتين الرئيسيتين، تلمس مواضيع مثل الهوية، والعنف، والصدفة، والحب. تواجه الشخصيتان تحديات وتغييرات في حياتهما، وتبحثان عن معنى ومكان في عالم معقد.

رواية "حارس التبغ"

رواية حارس التبغ، وهي رواية تغطي ثمانين عاما من تاريخ الشرق الأوسط، وتضم مجموعة واسعة من الأماكن والشخصيات، وتسلط الضوء على الحياة السياسية والثقافية في العراق بعد أحداث 2003 المضطربة. وتبين الرواية حياة عازف الكمان العراقي الروائي كمال مدحت، وهو موسيقي تم اختطافه ثم اغتياله في بغداد عام 2006 عن عمر يناهز الثمانين عاما، وعثر على جثته بالقرب من جسر جسر الجمهورية في المدينة المحتلة. واستجوب الصحفي والكاتب العراقي (البلاك رايتر) الذي يتعين عليه تقديم مقال عن مدحت لصحيفة أمريكية تحقق في وفاته. خلال التحقيق الذي يفتح ويختتم الرواية، يكتشف الصحفي الراوي السر الاستثنائي لكمال مدحت، بمساعدة كتاب شعر موجود في شقة مدحت، وبمجموعة من رسائل الموسيقي التي أرسلها إلى زوجته. الكتاب عبارة عن مجموعة The Tobacco Shop، ربما أشهر قصيدة كتبها البرتغالي فرناندو بيسوا، الأنا المتغيرة ألفارو دي كامبوس. يكتشف الصحفي أن الشخصية الغامضة لعازف الكمان البارز كمال مدحت الحائز على العديد من الجوائز الدولية، لا تمثل سوى وجه من وجوه ثلاثية الشخصية. كمال مدحت السني هو، في الواقع، الهوية الأخيرة التي يفترضها يوسف سامي صالح اليهودي، ثم حيدر سلمان الشيعي.

هذه الشخصيات الرئيسية الثلاثة لها حياة مختلفة (كل منهم متزوج من زوجة مختلفة وله ولد)، وتختلف في المزاج والفلسفة والمظهر والأسلوب الموسيقي؛ ويتمحور جوهر السرد حول هذه الهويات الثلاث المتداخلة. أبطال الرواية الثلاثة هم عازفو الكمان الذين يبحثون، من خلال الموسيقى، عن طرقهم الشخصية للتعبير عن العراق والتفكك المتزايد لبنيته الاجتماعية التي دمرتها حرب عام 2003 إلى الأبد.

تدور أحداث الرواية في بغداد وطهران ودمشق. في هذه الرواية، يمكن قراءة كل جزء على حدة، لكنه يمثل جزءًا من لوحة جدارية فريدة إذا افترض القارئ النص ككل. تواجه كل شخصية رئيسية صراعًا عميقًا مع السياق الذي يعيش فيه، وتساعد العلاقة المتنافرة بينه وبين بيئته في تحديد خصوصيته والتعرف

عليها. تستند فرديّة الأبطال الثلاثة الرئيسيين في حارس التبغ إلى إدراك الانفصال بينهم وبين سياقهم الاجتماعي والسياسي.

تدمج هذه الأجزاء الثلاثة من الرواية في إطار قصة تدور أحداثها في المنطقة الخضراء في بغداد عام 2006، وحول بطلها الصحفي الذي يحقق في مقتل كمال مدحت. بعد أن اكتشف هويات مدحت المتعددة ، يخطط الصحفي لتقسيم سيرة عازف الكمان إلى ثلاثة أقسام. الجزء الأول يركز على يوسف سامي صالح الذي لا يؤمن بشيء. الجزء الثاني مخصص لحيدر سلمان المرتبط بأشكال رمزية مثل ريكاردو ريس. الجزء الثالث والأخير مخصص لكمال مدحت المرتبط بالطبيعة الحسية للحياة.

شخصية يوسف سامي صالح:

بدأت القصة في عام 1926، في العام الذي ولد فيه اليهودي يوسف سامي صالح، وتزامنه توقيع المعاهدة الأنجلو-عراقية. على الرغم من فقر عائلته، درس يوسف الموسيقى وتلقى دروسًا من عازف كمان أرمني شهير. واصل تعلمه الموسيقي في المعهد الموسيقي العراقي للمخرج جوليان هيرتز، ثم قدم مساهمته في إنشاء جمعية بغداد الفيلهارمونية مع بطرس حنا وجميل سعيد وساندو ألبو وأندريه ثوير . نقطة تحول مهمة في حياته كانت منحة دراسية حصل عليها عندما كان في الخامسة عشرة من عمره من البغدادي الثري، للسفر إلى موسكو حيث تعلم التأليف.

قدم يوسف أول عرض منفرد له على الكمان أمام عازف الكمان الروسي مايكل بوريسينكو في عام 1941، وفي نفس العام، اندلعت الحرب الأنجلو-عراقية، مصحوبة بانتفاضة مستوحاة من النازية. في يونيو 1941 وقع ما يسمى بحادثة فرهود، والتي كما صورت في الرواية، أعقبت صعود المنظمات النازية في العراق، وبالتالي قتل مئات الضحايا اليهود في بغداد. شاهد يوسف من نافذته ركوض الحشود في الضوء الباهت، وسمع صراخ أجش لليهود يختنقون ويموتون، لكنه لم يفهم هذه الحوادث على شكل واضح. بعد

الحادثة، اقتدى يوسف بمثال شعراء الأربعينيات، وحاول تجربة الأشكال الموسيقية للتعبير، خاصة بعد أن شهد الصراعات المريرة التي نشأت من ضغوط سياسية أو قوى اجتماعية أخرى. لذلك، في خضم الصراع بين الحداثيين والتقليديين، حاول يوسف عبثا إيجاد نوع جديد من التفكير، أو توجها جديدا لم يكن صهيونيًا ولا قوميًا. بينما أصبحت المناقشات أكثر سخونة وتضاربت الأفكار، تساءل عما إذا كانت الموسيقى قادرة على الجمع بين الناس. كان يعتقد أن الموسيقى يمكن أن تصبح قوة موحدة لجميع الطوائف والأديان والأعراق. في محاولة للجمع بين الموسيقى الغربية والتقاليد الموسيقية العراقية، طور أسلوبه وأفكاره، مؤمنًا أن "الموسيقى قادرة على جعل عقول البشر أكثر جرأة ورفعة، وأن موسيقاه كان لها تأثير سحري على الناس، وتوحيد لهم كبشر في تقدير الجمال.

في بغداد تزوج يوسف من فريدة روبن وأنجب منها مائير. وهاجروا إلى إسرائيل في عام 1950 بعد قرار الحكومة بإسقاط الجنسية عن اليهود العراقيين ومصادرة ممتلكاتهم. السفر إلى "أرض الميعاد" لم يكن أبدًا هدف يوسف ووجد الحياة في تل أبيب خانقة وغير مريحة. خلال السنوات التي قضاها هناك شعر أنه يعيش في الخارج، وأن هويته صارت ثقيلة عليه جدًا. وفي عام 1953 هرب إلى إيران عبر موسكو، مستخدمًا جواز سفر مزورًا باسم حيدر سلمان، ثم عاد إلى بغداد حيث توفي بعد ذلك بعامين.

شخصية حيدرسلمان:

أعطى جواز السفر الجديد لحيدر سلمان (1924-1981) تاريخاً جديداً وماضياً جديداً: فهو الآن ابن تاجر شيعي في الكاظمية ذهب إلى موسكو للدراسة لكنه اختار الموسيقى بدلاً من الطب. أثار هذا الأمر غضب عائلته، ولذلك لم يستطع العودة إلى بغداد بعد أن أنهى دراسته. وبدلاً من ذلك قرر السفر إلى إيران لزيارة تاجر ثري يُدعى إسماعيل الطباطبائي. في طهران، أصبح حيدر، الذي كان برجوازيًا بسيطًا، محميًا للطباطبائي وتعرف أيضًا على طاهرة، ابنة التاجر المريضة، والتي تزوجها أخيرًا. بعد عام واحد من زواجه، قدم حيدر سلمان أول عرض منفرد له في مسرح "تالار روداكي"، ونال استحسان العائلات

الأرستقراطية التي حضرت الحفل. عاد إلى بغداد مع أسرته بعد تموز 1958، عندما تولى عبد الكريم قاسم السلطة في العراق. وابتهج بالثورة العراقية، وعاد إلى الموسيقى بشغف. أصبح مشهورًا جدًا بين النخبة المثقفة، وكان جمهوره الجديد يتألف أساسًا من عائلات شيوعية من الطبقة الوسطى، وهي مجموعة التي تدعم الثورة، برزت في تلك الحقبة. أقام حيدر سلمان حفلات موسيقية في بغداد وفي العديد من عواصم العالم، وبدأ يشارك في الأوساط الثورية الأدبية والفنية، وقد جعله نشوة حياته الجديدة ينسى العنف والفظائع التي صاحبت الثورة.

فيما يتعلق بالمثالية الفنية لحيدر سلمان، فقد تصور الموسيقى على أنها فن راق. لكن في الفترة التي أعقبت ثورة 1958، كان على من مثله أن يواجه زيادة استخدام الفن الهابط كأداة للدعاية السياسية. بدأ حيدر سلمان يشعر بالكراهية المتزايد تجاه الجماهير الذين كانوا، بالتأكيد، غير قادر على فهم موسيقاه. سرعان ما تحولت هذه الكراهية إلى عداوة عندما طلب منه الضباط العسكريون أن يصبح موسيقي الثورة وملحنها، وكان رفضه قاطعًا لأنه أراد أن تنبثق موسيقاه من ذاته الداخلية وليس من الأفكار الخارجية.

على عكس يوسف سامي صالح، الذي يحب أن يشعر الأشياء كما هي، يعتقد حيدر سلمان أنه يجب الشعور بالأشياء أيضًا بطريقة دمجها مع القواعد المثالية والكلاسيكية. في الواقع، كان حيدر سلمان يكره كل نزعة شعبوية في الموسيقى ويكره بغداد ما بعد الثورة: لقد شعر بالاشمئزاز من مسيرة القبح والعداء للجمال الذي يصاحب الثورات دائمًا. في تلك الفترة جاء على فكرة الفن الهابط وظهورها في كل من الفن والسياسة، وكان غاضبًا من التدهور الذي لا يمكن إنكاره في الذوق الجمالي. كان حيدر سلمان يؤمن بالموسيقى وفضائلها الأخلاقية، وأن للفن أن يقضي على القبح ويدخل الجمال إلى العالم.

شعر حيدر سالمان بأنه ينتمي إلى عالم مختلف عن العالم الحقيقي وأن أفكاره حول الموسيقى تتعارض مع الأحداث التي هزت المنطقة، بدءًا من انقلاب عام 1963 الذي مثل نقطة تحول كبيرة في تاريخ العراق.

عند رؤية القوميين والبعثيين في الشوارع، أدرك حيدر أن التيار الشعبوي في بغداد قد وصل إلى أقصى درجاته.

وكان اسمه على قائمة الشيوعيين المطلوب تصفيتهم، فهرب من العراق ليعود مرة أخرى إلى طهران، حيث مكث هناك لمدة عام. في إيران، أمضى كل الوقت في تأليف السيمفونية التي كان يحلم بها بالبحث عن شكل غير تقليدي: أراد أن تتسرب الموسيقى العربية إلى الموسيقى الكلاسيكية الغربية بشكل خفي وهادئ مثل الرمل.

وبالعودة إلى بغداد، كان شاهداً على انقلاب عسكري آخر عام 1968، وبعد عشر سنوات على الثورة الإيرانية التي غيرت مجرى حياته. في إيران، أدى الاضطراب المتصاعد للجماهير إلى تحول مئات الأشخاص الذين كانوا مختلفين جوهريًا عن بعضهم البعض فجأة إلى نسخ من بعضهم البعض، استنساخًا. بعد عام واحد من استيلاء الخميني على السلطة في طهران، وبعد شهر واحد من تولي صدام حسين السلطة في العراق، أصبح كلا البلدين عالم الدعاية الهائلة: خلقت أغاني بغداد والآيات حماسة غير عقلانية، بينما في طهران الصور على الملصقات واللافتات والإعلانات، أصبحت أدوات بلاغية، فبعد اندلاع الحرب العراقية الإيرانية أجبر حيدر سلمان وزوجته طاهرة على المغادرة، بينما سجن ابنهما حسين لأكثر من ثلاث سنوات ثم رحل إلى طهران، وتوفيت طاهرة في الطريق، في المنطقة الحدودية بين العراق وإيران، فشعر حيدر سلمان أنه فقد وجوده بالكامل. في طهران بدأ على الفور بالتخطيط لهروبه مرة أخرى إلى بغداد عبر سوريا، وحصل على جواز سفر جديد باسم رجل مات في حادث سيارة كمال مدحت حسن.

شخصية كمال مدحت:

تسلل حيدر سلمان إلى العراق باسم السني كمال مدحت حسن، المولود عام 1933 في عائلة مميزة من التجار من الموصل. وتناقضت شخصية كمال مدحت مع الشخصيتين السابقتين، فقد كان رجلاً ينغمس في المتعة والسرور، وعندما وصل دمشق في نوفمبر 1981 اشتبهت السلطات في أنه أحضر معه كمية من الأفيون من إيران. فقبضت عليه السلطات لمدة أربعة أيام، ولم يجد الصحفي الذي يحقق في وفاته أية معلومة تؤكد أو تنفي ما إذا كان قد دخل دمشق وهو يحمل أفيونًا أم يدخنه. ومع ذلك، قام لاحقًا بتأليف كونشيرتو يُدعى "الأفيون" الذي تغلغل بالثقافة الإيرانية ومثل فكرته عن الموسيقى التي يجب أن تثير "نوعًا من الغيبوبة مثل تأثير الأفيون".

وتزامن وصوله إلى سوريا مع أعنف المواجهات بين النظام والإخوان المسلمين. بعد أن أمضى فترة في دمشق حيث كان يلعب في ملهى ليلي، تزوج كمال مدحت من "نادية العمري"، وهي أرملة تاجر سوري من *حماة* قُتل في الصراع بين الجنود والإسلاميين. كان التاجر قد اشترى لها في وقت سابق منزلاً في أحد أحياء بغداد الغنية، فقررت العودة إلى العراق وساعدها كمال مدحت.

وبمجرد وصوله إلى بغداد، شعر كمال أنه في المكان الذي يريد أن يكون فيه دائمًا. عاد على الفور إلى الموسيقى، وبينما كان يعزف خفق قلبه بفرح خالص كأنه تحت تأثير الأفيون. بدأ كمال مدحت بالعزف مع عازفة بيانو روسية يرافقها على آلة الكمان في صالة فندق الشيراتون. هناك جاء على أمجد مصطفى وزوجته وداد، موسيقيان في الأوركسترا السيمفونية، أخرجا كمال مدحت من عزلته وعرّفاه على مجتمع بغداد. أحضره أمجد مصطفى إلى الأوركسترا السيمفونية الوطنية، وسرعان ما أصبح أول عازف منفرد وأفضل موسيقي معروف في البلاد.

بالإضافة إلى العزف على الكمان، بدأ كمال مدحت في تأليف مقطوعات تمثل محاولاته الأولى لكسر الحواجز. فبالنسبة له، أكدت الموسيقى على إرادة الحياة، بينما أكدت الحروب إرادة أفراد مرتكبيها. المعتقدات التي عبر عنها زملاؤه في الأمسيات التي قضاها في حديثه مع المثقفين والفنانين الذين التقوا في

منزل أمجد ووداد: كان أمجد يعتقد أن للأمة العربية رسالة خالدة، وهي التطور الروحي للعالم. كانت فكرته الأساسية هي ضرورة العودة إلى التاريخ. هذه الفكرة التي مثلت الخطاب المهيمن الذي أراد نظام صدام حسين فرضه على الفن، أغضبت كمال مدحت فشعر أن الأيديولوجيين القوميين كانوا تدريجياً يحولون بغداد إلى مجتمع متقشف، حيث يكون المواطن بالأساس جنديًا، والاستشهاد ضرورة.

تعرّف كمال على السياسيين المؤثرين أيضا وعلى صدام حسين نفسه، حتى لعب أمامه بعد عدة أشهر. بدأ، مثل بلاده، يعيش نوعًا من الفصام، واستمر في تحويل الموسيقى إلى بديل للأفيون. عزف كمال مدحت أمام صدام حسين للمرة الثانية في ذكرى الانتصار على إيران عام 1988 وبهذه المناسبة شعر ببعض الألم في أصابعه وهو يضغط على الأوتار: ذهبت روح الموسيقى من الآلة الموسيقية. وبدا أنه ينتج أنينًا لا يشعر به؛ لكنه اضطر إلى الاستمرار في إنتاج النغمات. في سنوات ما بعد الحرب، كان الناس متحدين بسبب الخوف والفقر والقمع، وكان العراق، الذي طغت عليه الدعاية الشعبوية والمبتذلة، يتميز بوجود الأعداء من حوله.

في عام 1990، بعد غزو الجيش العراقي للكويت، قصفت قوات الحلفاء البلاد. في تلك الفترة شعر كمال مدحت أن البلاد كانت في قبضة هستيريا جماعية. أراد أن يعبر عن تحرره من قبضتها من خلال الموسيقى، فهي وحدها القادرة على اختفاء الجدران والحواجز والظلام. في السنوات التي تلت حرب الكويت، تم نسيان كمال مدحت، وعاد إلى كمانته بعد انتهاء غزو عام 2003، وكان أهم حدثًا في ذلك الوقت بالنسبة له عودة أبنائه، فقد أحب المشي في الشوارع يتأمل مستقبل العراق نحو حلم توكوفيلي(Tocqueville) بالديمقراطية وحقوق الإنسان. خلال إحدى جولاته تم اختطافه وأثناء محاولته الهرب قتل. ذهب القتل دون حل، لكن الصحفي اكتشف ملفًا من المخابرات العراقية: كانت الدولة على علم بتجسيداته السابقة.

فرواية "حارس التبغ" هي رواية معقدة وغنية تغطي تاريخا طويلا للشرق الأوسط وتقدم مجموعة واسعة من الشخصيات والمواقع. تقدم الرواية رؤية معمقة للحياة السياسية والثقافية في العراق 2003. فيما يلي تحليل للعناصر الهامة في الرواية:

البنية الزمنية والمكانية:

تتعامل الرواية مع ثمانين عاما من تاريخ الشرق الأوسط، مما يتيح للقارئ فهم تأثير الأحداث التاريخية على الشخصيات والمواقع. وتأخذ الأحداث مكانا في بغداد وطهران ودمشق، مما يضيف أبعادا جغرافية متنوعة للرواية.

الرموز والموضوعات:

الرواية تتناول موضوع التعبير الفني والثقافي في وجه التغييرات والاضطرابات السياسية والاجتماعية.

تظهر الرموز الموسيقية والدينية بشكل بارز، مما يعزز الفهم العميق للشخصيات وتأثير بيئتهم عليهم.

تتعامل الرواية مع مفهوم الهوية والانفصال بين الشخص والمجتمع، وكيف يبحث الأبطال عن وسائل للتعبير عن ذواتهم في وسط التغييرات الكبيرة.

البنية السردية:

تكتب الرواية بأسلوب جداري فريد، حيث يمكن قراءة كل جزء على حدة ولكن تكون جزءا من سرد أوسع عندما يتم تجميعها. الجزء النهائي يدور حول التحقيق في وفاة كمال مدحت، مما يوفر للقارئ إطارا لفهم الهويات المتعددة للشخصيات.

"حارس التبغ" تعد عملًا أدبيًا معقدًا يعالج موضوعات مهمة في تاريخ الشرق الأوسط والهوية الفردية. تجمع الرواية بين العناصر السردية والثقافية والتاريخية لتقديم قصة مؤثرة ومثيرة للاهتمام.

رواية "عازف الغيوم"

رواية "عازف الغيوم" تقدم صورة معقدة وملتوية لحالة البحث عن الهوية والانتماء في عالم يتغير بسرعة ويشهد تحولات سياسية واجتماعية جذرية. تتناول الرواية مسألة الهجرة والاغتراب من منظور غير تقليدي، حيث يبدأ البطل نبيل رحلته في سبيل البحث عن "المدينة الفاضلة" كمكمن للسعادة والعدل.

نبيل يمثل شخصية معقدة تجمع بين رغبته في الهروب من واقعه العراقي المضطرب والبحث عن الجمال والعدالة والهارموني في حياته. ومع مضيه في رحلته، يواجه تحديات تجعله يفقد الاتجاه ويجد نفسه مشتتا بين مختلف التجارب والتناقضات.

الرواية تقدم صورا مختلفة للشخصيات والأحداث، وتستخدم السخرية كوسيلة للتعبير عن التناقضات والمشكلات الاجتماعية والثقافية التي يواجهها نبيل في رحلته. تتناول الرواية أيضا مسألة الانتماء والتغيير الثقافي، وكيف يؤثر ذلك على الهوية الشخصية.

في النهاية، تعكس "عازف الغيوم" توجهات الكاتب نحو استكشاف موضوعات معقدة بأسلوب ساخر وفكاهي، مما يجعل القارئ يندمج في عالم البطل نبيل ويواجه التحديات واللحظات الكوميدية في رحلته. تكون الرواية تجربة فريدة ومثيرة تجبر على التفكير بعمق في مسائل الهوية والهجرة والتغيير الثقافي.

شخصية نبيل

نبيل عازف التشيللو الذي كان يعتقد أنه يمكنه ان يغير الحياة من خلال الموسيقى. إنه درس هذه الآلة من مدرسة الموسيقى والبالية في المنصور. وكان يعمل في الفرقة السمفونية الوطنية كعازف للموسيقى الكلاسيكية. وكان حالما ان يجعل لحياة الناس التافهة معنى، وان يحول الحياة من عدم إلى مسرح كبير ونزل ثري. وكان متشرّبا بإيحاء أنه لا يمكنه العيش من دون بلده، وكان يفكر على شاكلة الناس غير المجرّبين، وأن سماء وهواء وجمال مدينته أمور، لا جدال فيها.

وكان يشبه الناس بآلة الموسيقية التى تخرج الأصوات المبهمة في يد من لم يعرف العزف عليها، لكن بعد الجهد والتدرب عليها ستظهر منها معان عظيمة. فكان يعتقد أن بالإرداة التي لديه يمكنه السيطرة على هذه الآلة الموسيقية كي يحوّل الأصوات المبهمة إلى معان، وإلى إيحاءات حتى يكنه ان يغيّر العالم؛ ومن امكانه الوصول إلى الجوهر الأسسي للحياة. فيمكنه من خلال الأصوات ان يتواصل مع الناس من كل

الطبقات، ويزيح عن أرواحهم السقط الفحمي، وان يجلي التراكمات عن المعاني المخبوءة، وان يؤثر في الناس.

وكان أول من نبّهه عن خطأه في النظرية عن الحياة والموسيقى، أمه حينما قالت مباشرة الناس ليسوا آلة لتغييرهم وتلاعب بهم، عندما شاطرها عن طموحه بالموسيقى. ثمّ تميّز الحقيقة ووجد نفسه غير قادر لحلّ الموسيقى محلّ اللغة القديمة المبتذلة والمستخدمة بعد الحرب الذي جاء بتغييرات جذرية في طبيعة الناس عامة ومعاملاتهم خاصة كما وقعت تحوّلات في البلد. فالعلاقة الانسانية خاصة بوالديه صارت علاقة شكلية بلا جوهر وبلا حياة وبلا محتوى وبلا عاطفة، لم تكن سوى طقوس، والكلمات اللازمة التى يردّدها كلما رآهم هي نفسها التى يردّدها أيّ ملهوس، كما لو أخذ كمية كافية من المخدرات، تجعله يهلوس بصورة انسيابية عن الحب العائلي والعاطفة الصادقة. فعلاقته مع الجميع كانت تصنعات ولم يعد له أصدقاء. فالموسيقى لا مكان لها وسط الأصوات العالية وجلبة اللكنات الشعبية المستخدمة في الشارع.

واجه نبيل معاناة كثيرة من الطبقة الرثة التى كانت مليشيات لصدام في الماضي تحوّلوا إلى مليشيات دينية.

أول ما واجهه نبيل في حيّه اعتراض الجيران؛ ففاجأه يوما عدد من أهل الحي الذين تجمّعوا أمام العمارة، طالبين منه ان يكفّ عن إزعاجهم بهذه الموسيقى، فهم لا يستطيعون النوم من هذا الصوت الغبيّ؛ وواصلوا أنها مهنة قذرة وأنها حرام. هذه الواقعة أشارت إلى تغيير طبيعة الناس بعد الحرب، وتنبّه إليها نبيل وكشف عن رأيه مرة لأستاذه في الموسيقى حين قال له ان تكون عازفا لموسيقى كلاسيكي في الشرق الأوسط مهنة ليست سهلة أبدا، إنه ليس صعبا وحسب بل هو تراجيدي وكوميدي وفظيع ميثلما أن تأتي بالضبط بحيوان يعيش طوال حياته في القطب، وتنقيله إلى منطقة، تصل حرارتها في الصيف إلى الأربيعن.

بعد ذلك قبضت عليه مجموعة إسلامية حينما كان عائدا إلى بيته حاملا في يده آلة التشيللو الموضوعة داخل حقيبة سوداء كبيرة. فأوقفوه عند عمود الكهرباء وهو متعرق ومتعب يود الوصول إلى البيت بأقصى سرعة، وسأله ما هذه التى في يده؟ حينما قال إنها آلة موسيقية قالوا: ألا تعرف أن التشبه بالكفار كفر، وأن الموسيقى في الإسلام حرام؟ ثم انهالوا على آلته وقطعوا أوتارها وضربوها على الأرض، وركلوها باقدامهم حتى حطموها تماما، وهم يضحكون. وكان ينظر إلى المشهد صامتا، بينما سكان الحي الذين تجمعوا أخذوا يشاركون المسلحين في الضحك والسخرية. فتقدم قائد المجموعة واقترب منه ومسكه من ربطة عنقه وضربه بالكفّ. صفعه، فطارت النظارة وسقطت على الرصيف مع عاصفة من الضحك. صفعه مرة أخرى على وجهه من الجهة الأخري فسقط على الأرض، وما ان نهض حتى أخذه قائد المجموعة من قميصه الأبيض الذي يحبه جدا، وأخذ يمزّقه بحقد وغضب بينما كان الحيّ بأجمعه تقريبا غارقا في الضحك. فشعر نبيل الإذلال والإهانة بشكل فظيع. صعد إلى شقته، وذهب لينظر من الشباك لمصير آلته، فوجدها قطعا متناثرة بيد الأطفال، يقلّدون العزف عليها، وهم يضحكون.

وقبضته الفكرة كيف يمشي في الشارع بعد الإهانة التى واجهها؟ وان كان فيما مضى مكروها في الحي، ولكنه كان محترما؛ إذ ينظره السكان باحترام، ويعرفون أهميته. وكان في نظرتهم شخص صامت يرتدي نظارة طبية، التي كانت دليلا على ذكائه، وملابس كلاسيكية أنيقة من بلوفر، وما كان يرتدي الملابس الموجودة في السوق ذات النوعية الرديئة والألوان الفاقعة، له وجه غامض، لا يشبه عامة الناس، وآلة موسيقية غريبة، ويمشي باستقامة وثبات. وكان برنامجه اليومي واضحا، فهو يخرج كل يوم صباحا ويعود مساء.

أضعفته هذه الإهانة والإذلال وعجزه لمواجهتهم، فلازم السرير وفكر أن من حقه أن يرد عليهم وهو راقد في سريره. فأعاد المشهد في ذهنه، وتخيله على نحو مختلف تماما، بدلا من ضربهم وسخرتهم إياه، قام هو بضربهم سخريتهم، بينما أهل الحي يضحكون ويسخرون منهم. وكان هذا الانتقام الخيالي كاف له للراحة

والنسيان، ومنحه قوّة للخروج من البيت في الصباح. عند عودته بعد الخروج من البيت، واجهه المجموعة الإسلامية المسلحة ذاتها في الطريق، كانوا خمسة أشخاص، أعمارهم في العشرين. يرتدون ملابس غريبة، أشبه بملابس المسلسلات التلفزيونية الدينية ، التي تصور المسلمين قبل 1400 عاما، وكانت لحاهم طويلة، بينما كل واحد منهم يقبض على بندقية كلاشنكوف، ويضع دوبل مخازن رصاص مربوطة بالسكوتش، وبالقرب منهم سيارة تويوتا دفع رباعي حديثة. فاضطربت قدماه، وحين اقترب منهم، ابتسم له قائد المجموعة، وطلب منه التوقف بأدب. وقال له ما فعلناه بك أمس كان لصالحك، لقد خلّصناك من غضب الربّ. نحن سامحناك بانتهاكك لقواعد الإسلام؛ عليك ان تعرف أن الموسيقى حرام، وقد سامحناك على الفترة الماضية، كنت جاهلا، وأدبناك، وعلمناك. ولكن الآن نريد منك كفّارة كي يسامحك الله على فعلتك هذه. وهي ان تدفع مبلغا من المال لبناء جامع في هذا الحي. أنت كما تعرف ... أن كل سكان هذا الحي كانوا فيما مضى أثرياء، مع ذلك لم يبنوا جامعا واحدا في المنطقة، الحمد لله الآن تخلّصنا منهم، السكان الجدد يريدون بناء جامع، ونحن نجمع التبرعات، وعليك ان تشارك بهذا.

فسؤاله للمهلة للتفكير في الأمر، والذي أغضب القائد فهدّد على حياته، أغراه على احتيال من الموافقة على كل ما يقول؛ حتى تخلّص من قبضتهم وتهديدهم. فهذه الحادثة نبّهته على حلول الوقت للهروب إلى الأوربا، كان يفكره عنه منذ زمان.

بعد ان وصل إلى شقته اتصل مساء بوالده ليخبره عن قراره للهورب من البلد مع أحد المهربين في ذلك اليوم ليلا. وهو لم يقبل محاولة والده للإقناع بالعدول عن هذه الفكرة الخطرة، ونصيحته أنه سوف لن يجد السعادة في المنفى. وشاطر معه تجربة أحد أقاربه الذي عاش زمنا طويلا في أمريكا ثم رجع إلى البلد. لكن كان قاطعا وبرّر موقفه بأنه لن يجد الحياة التى كان يحلم بها منذ زمن. ثم قام بترتيب أغراضه المهمة التى سيحملها معه، ولا سيما بعض الكراسات الخاصة بالموسيقى، وكتابين مهمّين، واحد عن الهارموني،

وآخر كتاب شعبي عن علاقة فريق البيتلز البريطاني بفلسفة ما بعد الحداثة؛ تشير اهتمامه بهذه الكتب التصاقه بالموسيقى.

أوصله سائق، والذي كان يقطن في حيّه جارا له، إلى مكان ناء صحراوي على مقربة من الحدود التركية؛ ثم قال له إنه سيأتي المهرّب لأخذه إلى التركيا وحاول الرجوع تاركا إياه في الظلام؛ إلا أن نبيل أمسكه من يده ولم يتركه يذهب، حيث كان يعرف واقع المهرّبين من الخداع والتزوير، والسرقة، والخطف، والقتل والإغتصاب. وأخذ يتذكر، كي لا يتراجع عن قراره، كل ما يدفعه لترك هذه البلاد، والذهاب إلى بلاد أخرى. وكان قادرا لترك كل شيء حتى ملابسه إلا الموسيقى والتى من دونها لا تستوي الأمور في نظره، وتصوّر سؤال صديقه هل تتخيّل أن أحدا سيتركك تعزف التشيللو؟ وكان واقفا أن ثقافتين ستتصارعان في بلاده على نحوشرس، ثقاف الفن التى أخذت تتدهور وتتقهقر منذ الحروب التى كان يشنّها صدام، وثقافة جماهيرية، تقوم على إحياء العنف وغريزة الدم، ستصعد؛ لتحل محل الدولة العنيفة التى تهاوت، وتهشّمت. بين هذه الألعاب بالدم لم تكن مكانة للموسيقى؛ هذه الفكرة دفعته إلى التمسك بقراره.

وقد تحقّق قلقه حينما أصرّ المهرّب على ان يحصل منه على مئتي دولار إضافية، لا سيما بعد ان رأى ملابسه الأنيقة، إلا أنه أوصله إلى الحدود من جهة أوربا. حينما عبر الحدود أصعده المهرّبون في شاحنة كبيرة مغلقة لتصدير الإطارات بأجرة سبعة ألاف دولار، فأدخلوه في صندوق خشبي كبير، فيه فتحات للتنفّس، فيها قناني للماء، ومعلّبات طعام، وكونسيرة، وأكياس نايلون وهي تستعمل للبول والغائط، في سفر أمده عشرة أيام. تسير الشاحنة في الليل، وتتوقف في النهار؛ كي ينام السائق.

عندما وصلت الشاحنة عند ساحة مظلمة قذرة، توقفت وسأله المهرّب ان يهبط بسرعة وان يتابعه لئلاّ يراهما الشرطة؛ لكن هذه الساحة التي لا تتميّز عن أي ساحة في العالم الثالث، أوقعه في الشكّ هل هذا البروسكل الذي يحلمها منذ زمان؟ وعندما رأى الشقة الصغيرة التي يسكنها لمدّة حتى يحصل على اعتراف كلاجئ خلجت في ذهنه فكرة أن هذه الخربة التى لا تعدو أن تكون شقة في بغداد، بل شقته في بغداد

أفضل منها؛ حيث إنه كان يعتز بحياة مثالية في أوربا، هي السكن في أبّهة، حياة لوكس، رفاهية من نوع خمس نجوم، لمعان أرضية، عطور تنبعث من كل مكان؛ لكن كلها هدمت في مشاهدته الأولى.

إنه استلقى على الأريكة وهو يصغي إلى موسيقى حينها قفزت في ذهنه صورة فارابى الذي يرى في الموسيقى عنصرا مهما في المدينة الفاضلة، ذلك أن فكرة العدل تأتي من فكرة التناغم في الموسيقى، وأن فيها علاج الأمراض النفسية والعصبية، وهي أداة سحرية قريبة من التنويم المغناطيسي؛ فشعرت بنوع من الراحة السعادة والإطمأنان.

حينما سمع صوت صلاة شخص مسلم، تذكّر جدّه الذي يصلّي بصوت عال في الصباح ويمنعه من النوم، وحلّ في ذهنه الخوف وأصبح قلقا وحزينا لئلا يكون في بلديكا بل في بلد آخر مجاور لبلده من تركيا أو إيران. إنه غيّر ملابسه وسار في الشارع فرأى لافتات المطاعم مكتوبة بالعربية، كلها تقدّم الحمص والفلافل والكباب، التى تشابه بما في بغداد. ولما واصل سيره وصل مجزرة مكتوب على بوّابتها الكبيرة الملطّخة ببقع الدم "ذبح على الطريقة الإسلامية".

لما قرّر العودة رأى محل السناك مكتوب عليه شي محمد المغربي، دخله وقدّم طلبا، بينما هو خارج بعد استلامه طلبه صادف رجلا في الخمسين من عمره بلحية سوداء مصبوغة وشارب شبه حليق يرتدي ملابس أشبه بالملابس الأفغانية، شعر أنّه يتعقّبه دون ان يلتفت إليه. ولما وصل إلى باب منزله قبض عليه من يده وسأله ألست مسلما؟ حين اجابه بانه مسلم سأله كيف تأكل في رمضان؟ وكان نبيل يظن لا يكون في بلجيكا رمضان وهو خارج عن إسلامه هنا. وحينما سأله الكفارة لخطأه من تقديم التبرّعات لتوسيع المسجد لاستيعاب جميع المقيمين هناك، قام فاغرا فمه وهو يواجه التجربة ذاتها التى أخرجته من بلده إلى بلجيكا.

أدرك نبيل أن الحياة في بلجيكا في حيّ المهاجر لا تختلف عما كان عليه في بغداد، ولم يتحقّق حلمه للمدينة الفاضلة التى كل شيئ فيها على التناسق مع إختلافه كالتناغم الأصوات في الموسيقى. فالصوت الواحد لا ينتج موسيقى، بل تتشكّل من خلال الاختلاف بين الاصوات؛ وهذا النوع من الفكرة تمسك بها عن المجتمع.

رواية "عازف الغيوم" تعتبر عملا أدبيا معقدا يستكشف موضوعات متعددة بأسلوب ساخر وفكاهي. من بين العناصر المهمة في هذه الرواية:

البحث عن الهوية:

الرواية تسلط الضوء على حالة البحث عن الهوية والانتماء لدى البطل نبيل. يبدأ نبيل رحلته بحثا عن "المدينة الفاضلة" التي يأمل في أن تكون مأوى للسعادة والعدالة. هذا البحث يمثل تمثيلا رمزيا للبحث البشري عن الهوية الشخصية والمكان الذي يشعر فيه بالانتماء.

الاغتراب والهجرة:

تعكس الرواية تجربة الاغتراب والهجرة من منظور غير تقليدي. نبيل يهاجر من بلاده بحثا عن حياة أفضل، ولكنه يجد نفسه مواجها لتحديات جديدة وتجارب مختلفة في بلدان أخرى. هذا يسلط الضوء على التعقيدات والصراعات التي يمكن أن تنشأ من الهجرة وتغير البيئة.

السخرية:

الرواية تستخدم السخرية كأدوات للتعبير عن التناقضات والمشكلات الاجتماعية والثقافية التي يواجهها نبيل في رحلته. هذا الأسلوب يخلق جوا من الفكاهة والسخرية ويساعد في تسليط الضوء على قضايا معقدة بطريقة ممتعة ومثيرة.

التغيير الثقافي:

الرواية تلقي الضوء على كيفية تأثير التغيير الثقافي على الهوية الشخصية. نبيل يجد نفسه متقلبا بين مختلف الثقافات والقيم، مما يؤدي إلى تغيير في تصوره للعالم ونفسه.

بشكل عام، تقدم "عازف الغيوم" تحليلا معقدا للبحث عن الهوية والانتماء في عالم متغير، مستخدمة أسلوبا ساخرا يجمع بين الفلسفة والكوميديا لاستكشاف هذه الموضوعات بشكل مثير وممتع.

هذه الروايات الثلاثة تدور أحداثها في العراق والمنفى بعد الاحتلال الأمريكي وخاصة بعد سيطرة المسلحين على العراق. من بينها الرواية الكافرة وعازف الغيوم تصور الحياة الاجتماعية في العراق حسب مفهوم علم الاجتماع، بينما حارس التبغ هي تتركز على تاريخ العراق منذ نشأته كجمهورية إلى سيطرة المسلحين.

الباب الخامس

تصوير الحياة الاجتماعية في رو ايات علي بدر

الفصل الأول: مفهوم الحياة الاجتماعية

الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية في روايات علي بدر المختارة

الفصل الأول

مفهوم الحياة الاجتماعية

الحياة الاجتماعية هي عبارة عن علاقة بين الفردين مهما يكونا من داخل العائلة أو خارجها، فالحياة الاجتماعية لا تتحقق إلا بالفردين على الأقلّ. هذه العلاقة لها جوانب مختلفة حسب تجربتهما من المعاملة بالنسبة إلي صحتهما العقلية والجسدية ودفء العلاقة بينهما. فالحياة الاجتماعية هي ماهية علم الاجتماع الذي تطوّر في العصر الحديث بالمقارنة للعلم الطبيعي، كما يخالفه في المبادئ حيث الأخير تم تأسيسه على المبادئ المستقرّة بينما الأول يتعرّض للتغيّرات. فالعلم الاجتماع معني بدراسة الحياة الاجتماعية والجماعات والمجتمعات الإنسانية. وهذا علم شديد التعقيد لأن موضوعه الأساسي هو سلوك الإنسان ككائنات اجتماعية. هناك علاقة وثيقة بين الأدب والمجتمع، لأن الأدب مرآة المجتمع تنعكس فيها حقائق الحياة الاجتماية كما يتم فيه تصوير الوقائع والحوادث التى توجد في المجتمع. فالمعرفة الأساسية عن الحياة الاجتماعية والنظريات التى قدّمها علماء علم الاجتماع كعلوم حديث، تسهّل تحليل أعمال الأدب والثقب إلى جذورها وتفكيك عقدتها.

عناصر حياة الاجتماعية

ينظر علماء الاجتماع إلى المجتمع كجزئي (Micro) وكلي (Macro) ، ويعتبر الحياة الاجتماعية من وجهتين، هما البنية الاجتماعية (Social structure) والتغيّر الاجتماعي (Social change). ويتم تنظيم الحياة الاجتماعية في أي مجتمع على أبعاد الزمان والمكان كما تتم أنشطة اجتماعية محددة في أوقات محددة، وينقسم الوقت إلى فترات مرتبطة بإيقاعات الحياة الاجتماعية - مسارات اليوم والشهر والسنة[143]. كما يتم تنظيم أنشطة اجتماعية محددة في أماكن محددة؛ على سبيل المثال أماكن معينة، لأنشطة مخصصة مثل العمل والعبادة والأكل والنوم. تحدد الحدود الإقليمية هذه الأماكن ويتم تحديدها من

[143] Wilterdink, Nico and Form, William. "social structure". Encyclopedia Britannica, 13 Nov. 2022, https://www.britannica.com/topic/social-structure.

خلال قواعد الملكية التي تحدد استخدام البضائع النادرة وحيازتها. بالإضافة إلى ذلك ، يوجد في أي مجتمع إلى حد ما تقسيم منتظم للعمل. ومع ذلك، فإن السمة الهيكلية العالمية الأخرى للمجتمعات البشرية هي تنظيم العنف. كل أعمال العنف هي قوة معطلة. في الوقت نفسه، هو وسيلة للإكراه وتنسيق الأنشطة. لقد تشكلت الكائنات البشرية وحدات سياسية، مثل الدول، التي يتم فيها تنظيم استخدام العنف بشكل صارم والتي، في نفس الوقت، منظمة لاستخدام العنف ضد الجماعات الخارجية. علاوة على ذلك، توجد في أي مجتمع داخل الهيكل ترتيبات التناسل الجنسي ورعاية الصغار وتعليمهم. تتخذ هذه الترتيبات شكلا جزئيا من علاقات القرابة والزواج. أخيرا، تشكل أنظمة الاتصال الرمزي، وخاصة اللغة، التفاعلات بين أعضاء أي مجتمع[144].

توجد عدة أفكار ضمنية في مفهوم البنية الاجتماعية. أولا، يُكوِّن البشر علاقات اجتماعية ليست غامضة ومصادفة ولكنه يظهر بعض الانتظام والاستمرارية. ثانيًا، الحياة الاجتماعية ليست فوضوية وعديمة الشكل، ولكنها في الواقع مفرّقة إلى مجموعات ومواقف ومؤسسات معينة مترابطة أو متشابكة وظيفيا. ثالثًا، يتم تشكيل الخيارات الفردية وتحديدها من خلال البيئة الاجتماعية، لأن المجموعات الاجتماعية، على الرغم من أنها تتكون من الأنشطة الاجتماعية للأفراد، ليست نتيجة مباشرة لرغبات ونوايا الأفراد[145]. يعني مفهوم البنية الاجتماعية، بعبارة أخرى، أن البشر ليسوا أحرارا تماما ومستقلين في خياراتهم وأفعالهم ولكنهم مقيدون بدلا من ذلك بالعالم الاجتماعي الذي يعيشون فيه والعلاقات الاجتماعية التي يشكلونها مع بعضهم البعض.

ثم البنية الاجتماعية حسب تنظيمها تنقسم إلى الأفقي (Horizontal) والعمودي (Vertical)، والأول يشير إلى العلاقات الاجتماعية والخصائص الاجتماعية والمادية للمجتمعات التي ينتمي إليها الأفراد، بينما يشير

[144] المرجع السابق

[145] المرجع السابق

الثاني الذي يُطلق عليه بشكل أكثر شيوعا اللامساواة الاجتماعية، إلى الطرق التي يصنف بها المجتمع أو المجموعة الناس[146].

الرتبة

للرتبة معان كثيرة في القاموس وأيضا في علم الاجتماع، لكنها في الوقت الحالي هي المكانة التي يمتلكها شخص ما في المجتمع. غالبا ما يكون هذا المنصب لقبا وظيفيا، ولكن توجد أنواع أخرى كثيرة من الوظائف: طالب، ووالد، وشقيق، وقريب، وصديق، وما إلى ذلك. يجب أن يكون واضحا أن الحالة كما تُستخدم بهذه الطريقة لا تنقل شيئا عن هيبة المنصب، لاستخدام مرادف مشترك للوضع. وظيفة الطبيب هي حالة تتمتع بمكانة كبيرة، ولكن وظيفة مصل الأحذية هي حالة لا تتمتع بأية مكانة.

غالبًا ما يمتلك أي فرد عدة أوضاع مختلفة في نفس الوقت، ويمكن لشخص ما أن يكون في نفس الوقت مصرفيا وأما وعضوا في مجلس إدارة المدرسة ومتطوعا في ملجأ للمشردين وزوجا. هذا الشخص سيكون مشغولا جدا! نحن نطلق على جميع المناصب التي يشغلها الفرد مجموعة حالة ذلك الشخص.

يتحدث علماء الاجتماع عادة عن ثلاثة أنواع من الحالات. النوع الأول هو الحالة المنسوبة (Ascribed status)، وهي الحالة التي يولد بها الشخص ولا يتحكم فيها. هناك عدد قليل نسبيا من الحالات المنسوبة؛ الأكثر شيوعا هو جنسنا البيولوجي، والعرق، والطبقة الاجتماعية للوالدين والانتماء الديني، والعلاقات البيولوجية (الطفل ، والحفيد ، والأخ ، وما إلى ذلك)[147].

النوع الثاني من الحالة يسمى الحالة المحققة (Achieved status)، والتي، كما يوحي الاسم، هي حالة تحققها، في مرحلة ما بعد الولادة، أحيانا من خلال جهودك الخاصة وأحيانا من الحظ الجيد أو السيئ

[146] Tönnies, F. (1963). Community and society. New York, NY: Harper and Row

[147] https://open.lib.umn.edu/sociology/chapter/5-1-social-structure-the-building-blocks-of-social-life/

يصيبك. حالة الطالب هي حالة محققة، كما هي حالة خادم المطعم أو الشريك الرومانسي، لتمثيل بحالتين فقط من الحالات العديدة الموجودة التي تم تحقيقها[148].

يجب وضع شيئين حول الحالات التي تم تحقيقها في الاعتبار. أولا، تؤثر غالبا حالاتنا المنسوبة، ولا سيما جنسنا وعرقنا وطبقتنا الاجتماعية، على قدرتنا على اكتساب العديد من الرتب التي تم تحقيقها والحفاظ عليها (مثل خريج الكلية). ثانيًا، يمكن النظر إلى الرتب التي تم تحقيقها بشكل إيجابي أو سلبي. عادة ما ينظر مجتمعنا إلى الرتب التي تم تحقيقها مثل الطبيب أو الأستاذ أو الطالب الجامعي بشكل إيجابي، لكنه يرى بالتأكيد الرتب التي تم تحقيقها مثل السارق والعاهرة والقواد بشكل سلبي.

النوع الثالث من الرتبة يسمى الرتبة الرئيسية. هذه رتبة مهمة جدا لدرجة أنها تتجاوز الرتب الأخرى التي قد تحملها. فيما يتعلق بردود أفعال الأشخاص، يمكن أن تكون الرتب الرئيسية إيجابية أو سلبية بالنسبة للفرد اعتمادا على الحالة الرئيسية المعينة التي يتمتعون بها. يتمتع رئيس الولايات المتحدة بالمركز الرئيسي الإيجابي لرئيس الولايات المتحدة: إن وضعه كرئيس يتجاوز جميع الأوضاع الأخرى التي يشغلها (الزوج والأب وما إلى ذلك)، ويحترمه الملايين من الأمريكيين، سواء صوتوا له أم لا. أو تفضل الآن سياساته، بسبب هذا الوضع. توجد العديد من الرتب الرئيسية الإيجابية الأخرى في العالمين السياسي والترفيه وفي مجالات أخرى من الحياة.

بعض الرتب الرئيسية لها عواقب سلبية، مثل الإعاقة الجسدية التي تصبح غالبا رتبة رئيسية. إذا كنت ملتزما بالكرسي المتحرك، على سبيل المثال، تصبح هذه الحقيقة أكثر أهمية من الحالات الأخرى التي لديك وقد تدفع الناس إلى إدراكك والتفاعل معك بشكل سلبي. على وجه الخصوص، فهم ينظرون إليك من منظور وضعك الرئيسي (شخص مرتبط بالكرسي المتحرك) أكثر من كونك "الشخص الموجود تحت" الحالة الرئيسية. لأسباب مماثلة، يمكن أيضا اعتبار الجنس والعرق والتوجه الجنسي رتبا رئيسية، حيث

[148] نفس المرجع

أن هذه الحالات غالبا ما تعرض النساء والأشخاص الملونين والمثليين والمثليات، على التوالي، للتمييز ومشاكل أخرى، بغض النظر عن الرتب الأخرى التي قد تكون لديهم[149].

الأدوار

إن كل رتبة مصحوبة بدور؛ وهو السلوك المتوقع من شخص برتبة معينة. مثل الأشخاص الذين يتعلمون في صف واحد، وهم ينتمون إلى خلفيات مختلفة. على الرغم من جميع الاختلافات بينهم، لديهم على الأقل حالة أو رتبة مشتركة هي الطالب. على هذا النحو، هناك دور متوقع من كل واحد كطالب (على الأقل من قبل أساتذتهم)؛ يتضمن هذا الدور الحضور إلى الفصل بانتظام، والقيام بكل ما تم تعيينه من قراءة من كتاب معين، ودراسة أفضل ما يمكنهم للامتحانات.

كانت الأدوار للرتب المعينة موجودة قبل وقت طويل من ولادتنا، وستستمر لفترة طويلة بعد، وإن لم نعد على قيد الحياة. يتمثل أحد الأبعاد الرئيسية للتنشئة الاجتماعية في تعلم الأدوار التي يقوم بها مجتمعنا ومن ثم التصرف بالطريقة التي يتطلبها دور معين.

نظرا لأن الأدوار هي السلوك المتوقع من الأشخاص في حالات مختلفة، فإنها تساعدنا على التفاعل لأننا على دراية بالأدوار في المقام الأول. مثلا الذي يتسوق في متجر متعدد الأقسام. حالته هي متسوق، والدور المتوقع منه كمتسوق - ومن جميع المتسوقين - يتضمن النظر بهدوء إلى عناصر مختلفة في المتجر، ونقل العناصر التي ترغب في شرائها إلى خط الخروج، والدفع مقابلها. الشخص الذي يأخذ أو يقبل المبلغ يمتلك مكانة أخرى في المتجر، وهو غالبا يسمى أمين الصندوق. الدور المتوقع من أمين الصندوق - وجميع الصرافين ليس فقط في هذا المتجر ولكن في كل متجر آخر - هو قبول المدفوعات بطريقة تجارية ووضع

[149] المرجع السابق

أغراض المتسوقين في حقيبة. نظرا لأن المتسوقين والصرافين لديهم جميعا هذه التوقعات المشتركة، فإن تفاعلهم الاجتماعي ممكن[150].

الشبكات الاجتماعية

يبدو أن الحياة الحديثة تتميز بشكل متزايد بالشبكات الاجتماعية. الشبكة الاجتماعية هي مجموع العلاقات التي تربط شخصا بأشخاص ومجموعات أخرى ومن خلالهم لا يزالون أشخاصًا ومجموعات أخرى. كما يظهر موقع Facebook ووسائل التواصل الاجتماعي الأخرى بوضوح، يمكن أن تكون الشبكات الاجتماعية واسعة النطاق بشكل لا يصدق. يمكن أن تكون الشبكات الاجتماعية كبيرة جدًا، بالطبع، لدرجة أن فردًا ما في الشبكة قد لا يعرف شيئًا أو يعرف القليل عن فرد آخر في الشبكة (على سبيل المثال، صديق صديق صديق لصديق). لكن "أصدقاء الأصدقاء" هؤلاء يمكن أن يكونوا أحيانًا مصدرًا مهمًا للنصائح العملية وأنواع أخرى من المساعدة. يمكنهم "فتح الأبواب" في سوق العمل، ويمكنهم تعريفك بشريك رومانسي محتمل، ويمكنهم تمرير بعض التذاكر لمباراة كرة السلة الكبيرة التالية[151].

المجموعات والمنظمات

المجموعات والمنظمات هي المكون التالي للبنية الاجتماعية. تتكون المجموعة الاجتماعية من شخصين أو أكثر يتفاعلون بانتظام على أساس التوقعات المتبادلة والذين يتشاركون في هوية مشتركة. جميع الأشخاص تقريبًا أعضاء في مجموعات عديدة، بما في ذلك العائلات ومجموعات الأصدقاء ومجموعات زملاء العمل في مكان العمل. يُطلق على علم الاجتماع أحيانًا اسم دراسة الحياة الجماعية، ومن الصعب تخيل مجتمع حديث بدون أنواع عديدة من المجموعات ومجتمع تقليدي صغير بدون بعض المجموعات على الأقل.

[150] المرجع السابق

[151] المرجع السابق

من حيث الحجم والترابط العاطفي والخصائص الأخرى، توجد أنواع عديدة من المجموعات. لكن من أهم الأنواع هو التنظيم الرسمي، وهو عبارة عن مجموعة كبيرة تتبع قواعد وإجراءات واضحة لتحقيق أهداف ومهام محددة. في السراء والضراء، المنظمات هي سمة أساسية للمجتمعات الحديثة. البنوك والمستشفيات والمدارس والعديد من الأمثلة الأخرى كلها مؤسسات، حتى لو كانت تختلف عن بعضها البعض في كثير من النواحي. من حيث أهدافها وخصائصها الأخرى، توجد عدة أنواع من المنظمات[152].

مؤسسات إجتماعية

عنصر آخر من مكونات البنية الاجتماعية هو المؤسسة الاجتماعية، أو أنماط المعتقدات والسلوك التي تساعد المجتمع على تلبية احتياجاته الأساسية. المجتمع الحديث مليء بالعديد من المؤسسات الاجتماعية التي تساعد جميعها المجتمع على تلبية احتياجاته وتحقيق أهداف أخرى، وبالتالي يكون لها تأثير عميق ليس فقط على المجتمع ككل ولكن أيضًا على كل فرد تقريبًا في المجتمع. تشمل أمثلة المؤسسات الاجتماعية الأسرة والاقتصاد والنظام السياسي (الحكومة) والتعليم والدين والطب[153].

العائلة

العائلة هي مجموعة من الأفراد المرتبطين مباشرة بصلات القرابة ويتولى أعضاؤها البالغون مسؤوليات تربية الأطفال. أما علاقات القرابة فهي الصلات التي تقوم بين الأفراد إما على أساس الزواج أو من خلال رابطة الدم والنسل (مثل الأمهات والآباء والأشقاء والبنين وغيرهم). ويمكن تعريف الزواج بأنه اتحاد جنسي جرى التعارف والاتفاق عليه وإقراره اجتماعياً بين رجل وامرأة بالغين ومن هنا تنشأ صلة القرابة

[152] المرجع السابق
[153] المرجع السابق

بين الزوجين. غير أن رابطة الزواج تمتد وتتسع لتغطي مساحة أوسع من هذه العلاقة الثنائية لتشمل الوالدين والإخوة والأخوات ثم البنين ومن يَمُتْ من بين هؤلاء جميعاً بقرابة الدم في المجتمع[154].

- **الدين**

الدين هو مجموعة المعتقدات والممارسات المتعلقة بالأشياء المقدسة التي تساعد المجتمع على فهم معنى وهدف الحياة. لاحظ إميل دوركهايم (1947/1915) منذ زمن بعيد أن كل مجتمع لديه معتقدات. تنطوي المعتقدات والممارسات الدينية على المقدسات: فهي تنطوي على أشياء لا تستطيع حواسنا مراقبتها بسهولة ، وهي تنطوي على أشياء تلهمنا بالرهبة والوقار وحتى الخوف. يخدم الدين بشكل مثالي عدة وظائف. إنه يعطي معنى وهدفًا للحياة ، ويعزز الوحدة الاجتماعية والاستقرار ، ويعمل كعامل للرقابة الاجتماعية ، ويعزز الرفاهية النفسية والجسدية ، وقد يحفز الناس على العمل من أجل التغيير الاجتماعي الإيجابي[155].

من ناحية أخرى، قد يساعد الدين في إبقاء الفقراء سعداء بنصيبهم في الحياة، وتعزيز وجهات النظر التقليدية حول أدوار الجنسين، وتوليد عدم التسامح تجاه الأشخاص الذين يختلف دينهم عن دينهم.

يؤكد المنظور التفاعلي الرمزي على كيفية تأثير الدين على الحياة اليومية للأفراد وكيف يفسرون تجاربهم الدينية.

- **التربية والتعليم**

يخدم التعليم في تلبية احتياجات المجتمع المختلفة. ربما تكون أهم وظيفة للتعليم هي التنشئة الاجتماعية. إذا احتاج الأطفال إلى تعلم القواعد والقيم والمهارات التي يحتاجون إليها للعمل في المجتمع، فإن التعليم هو وسيلة أساسية لمثل هذا التعلم.

---

[154] غدنز، أنتوني. علم الاجتماع (ترجمها الدكتور فايز الصياغ)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 254

[155] المرجع السابق، ص 569

الوظيفة الثانية للتعليم هي الاندماج الاجتماعي. لكي يعمل المجتمع، يقول العاملون، يجب على الناس الاشتراك في مجموعة مشتركة من المعتقدات والقيم. الوظيفة الثالثة للتعليم هي التنسيب الاجتماعي. الابتكار الاجتماعي والثقافي هو الوظيفة الرابعة للتعليم[156].

مجتمعات

إن أكبر عنصر في البنية الاجتماعية هو بالطبع المجتمع نفسه. يتم تعريفه على أنه مجموعة من الأشخاص الذين يعيشون في منطقة محددة والذين يتشاركون ثقافة. تختلف المجتمعات بالتأكيد في نواح كثيرة. بعضها أكبر في عدد السكان وبعضها أصغر، وبعضها حديث وبعضها أقل حداثة. منذ نشأة علم الاجتماع خلال القرن التاسع عشر، حاول علماء الاجتماع فهم كيفية تطور المجتمع الصناعي الحديث وأسبابه. يتضمن جزء من هذا الفهم تحديد الاختلافات بين المجتمعات الصناعية والمجتمعات التقليدية.

أحد الاختلافات الرئيسية بين المجتمعات التقليدية والصناعية هو التركيز على المجتمع مقابل التركيز على الفرد. في المجتمعات التقليدية، عادة ما يكون الشعور المجتمعي والالتزام الجماعي حجر الزاوية في الحياة الاجتماعية. في المقابل، فإن المجتمع الصناعي أكثر فردية وغير شخصي. في حين أن الناس في المجتمعات التقليدية لديهم روابط يومية وثيقة، فإن أولئك الموجودين في المجتمعات الصناعية لديهم العديد من العلاقات التي بالكاد يعرف فيها شخص ما الشخص الآخر. يصبح الالتزام بالجماعة والمجتمع أقل أهمية في المجتمعات الصناعية، وتصبح الفردية أكثر أهمية.

[156] المرجع السابق، ص 537

التغير الاجتماعي

يشير التغيير الاجتماعي إلى تحول الثقافة والسلوك والمؤسسات الاجتماعية والبنية الاجتماعية بمرور الوقت، يعبر عنها "تحديث" بكلمة واحدة. أولاً، مع تطور المجتمعات، يصبح أكبر بكثير وأكثر تنوعًا. هذا يعني أن الناس يختلفون عن بعضهم البعض أكثر مما كانت عليه عندما كانت المجتمعات أصغر بكثير، وهذا يعني أيضًا أنهم في العادة لا يستطيعون معرفة بعضهم البعض تقريبًا. وبالتالي، فإن المجتمعات الأكبر والأكثر حداثة عادة ما يكون لديها روابط اجتماعية أضعف وإحساس أضعف بالمجتمع من المجتمعات الصغيرة وتركز أكثر على احتياجات الفرد[157].

الجانب الثاني للتحديث هو فقدان طرق التفكير التقليدية. هذا يسمح للمجتمع أن يكون أكثر إبداعًا وأن يتخلى عن الطرق القديمة التي قد لا تكون مناسبة. ومع ذلك، فإنه يعني أيضًا إضعاف أو حتى إنهاء التقاليد التي ساعدت في تحديد المجتمع ومنحته إحساسًا بالهوية[158].

الجانب الثالث للتحديث هو نمو الحرية الفردية والاستقلالية. مع نمو المجتمعات، وتصبح غير شخصية، وتفقد تقاليدها وإحساسها بالمجتمع، تصبح أعرافها أضعف، وبالتالي يصبح الأفراد أكثر حرية في التفكير بأنفسهم والتصرف بطرق جديدة. على الرغم من أن معظمنا يثني على هذا النمو في الحرية الفردية، إلا أنه يعني أيضًا، كما اعترف إميل دوركهايم (1962/1895) منذ فترة طويلة، أن الناس يشعرون بحرية أكبر في الانحراف عن أعراف المجتمع وبالتالي ارتكاب الانحراف. قال دوركهايم: إذا أردنا مجتمعًا يقدر الحرية الفردية، يجب أن يكون لدينا تلقائيًا مجتمعًا منحرفًا[159].

[157] https://open.lib.umn.edu/sociology/?s=social+change

[158] المرجع السابق

[159] المرجع السابق

مصادر التغير الاجتماعي

- **النمو السكاني والتكوين**

تحدث الكثير من النقاش حتى الآن عن النمو السكاني كمصدر رئيسي للتغير الاجتماعي مع تطور المجتمعات من الأقدم إلى العصر الحديث. ومع ذلك، حتى في المجتمعات الحديثة، يمكن أن يكون للتغييرات في حجم وتركيب السكان آثار مهمة على جوانب أخرى من المجتمع[160].

- **الثقافة والتكنولوجيا**

الثقافة والتكنولوجيا هي مصادر أخرى للتغير الاجتماعي. التغيرات في الثقافة يمكن أن تغير التكنولوجيا ؛ يمكن للتغييرات في التكنولوجيا أن تغير الثقافة؛ والتغييرات في كليهما يمكن أن تغير جوانب أخرى من المجتمع[161].

- **تأخر الثقافي**

أحد الجوانب المهمة للتغير الاجتماعي هو التأخر الثقافي، وهو مصطلح شاع من قبل عالم الاجتماع ويليام إف أوغبورن (1966/1922). عندما يكون هناك تغير في أحد جوانب المجتمع أو الثقافة، فإن هذا التغير غالبًا ما يؤدي إلى تغير في جانب آخر من جوانب المجتمع أو الثقافة ويفرضه عليه. ومع ذلك، غالبًا ما ينقضي بعض الوقت قبل حدوث التغير الأخير. يشير التأخر الثقافي إلى هذا التأخير بين التغير الاجتماعي الأولي والتغير الاجتماعي الناتج[162].

- **البيئة الطبيعية**

يمكن أن تؤدي التغيرات في البيئة الطبيعية أيضًا إلى تغيرات في المجتمع نفسه. يرى أوضح دليل على ذلك عندما يضرب إعصار كبير أو زلزال أو كارثة طبيعية أخرى.

---

[160] https://open.lib.umn.edu/sociology/chapter/20-2-sources-of-social-change/

[161] المرجع السابق

[162] المرجع السابق

- **الصراع الاجتماعي: الحرب والاحتجاج**

ينجم التغير أيضًا عن الصراع الاجتماعي، بما في ذلك الحروب، والصراعات العرقية، والجهود التي تبذلها الحركات الاجتماعية لتغيير المجتمع، والجهود التي يبذلها خصومهم للحفاظ على الوضع الراهن. إن التأثير المباشر للحروب على المجتمعات واضح، حيث إن موت أعداد لا حصر لها من الجنود والمدنيين على مر العصور لم يؤثر فقط على حياة أحبائهم ولكن أيضًا على مسار أمم بأكملها[163].

في الختام، يمكن استنتاج أن الحياة الاجتماعية هي جزء أساسي من حياة الإنسان، حيث تتشابك العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها، وتؤثر بشكل كبير على صحة الفرد العقلية والجسدية. علم الاجتماع يلعب دورًا مهمًا في فهم هذه العلاقات وتحليلها، وهو علم ديناميكي يتغير مع تطور المجتمع والزمان. بالإضافة إلى ذلك، يظهر العلاقة الوثيقة بين الأدب والمجتمع حيث يعكس الأدب ويوثق لواقع الحياة الاجتماعية ويساهم في فهم أعمق للظواهر الاجتماعية. لذا، أن فهم مفهوم الحياة الاجتماعية وعناصرها وتطوراتها أمرًا حاسمًا لفهم العلاقة بين الأدب والمجتمع وتفسير الأحداث والشخصيات في الأعمال الأدبية.

[163] المرجع السابق

الفصل الثاني

تصوير الحياة الاجتماعية في روايات علي بدر المختارة

علي بدر الروائي العراقي الذي يعيش خارج العراق في بلجيكا، يصور من خلال روايتيه "الكافرة" و"عازف الغيوم" الحياة الاجتماعية في العراق. كتبهما المؤلف بعد أن قضى فترة في العراق كمراسل وصحفي لصحيفة أجنبية، والتى سنحت له الفرصة لأن يطلع على واقع الاجتماعي بعد مغادرته العراق في تسعينات قرن الماضي. فهاتان الروياتان تدور أحداثهما في العراق وبلجيكا مكانا وبعد الاحتلال وظهور المسلحين زمانا. فالرواية "الكافرة" عنوانها مصطلح إسلامي استخدمه المسلّحون كثيرا بعد سيطرتهم على العراق للاعتداء على النساء اغتصابا وقتلا. وهذا يلمح أيضا إلى تشويه وجه الإسلام، الدين الرسمي في العراق، بأيدي الإسلاميين المتشدّدين. بينما الرواية "عازف الغيوم" يلمح عنوانها إلى تفتت أحلام فناني عراقي يرى تناغم الحياة الاجتماعية في التنوع كالموسيقى التي تتحقق بتنوع الأصوات، يقوم المسلحون بتفتيتها.

تصوير العائلة

تمثّل العائلة أصغر شكل للحياة الاجتماعية، وهي تعتبر ذات أهمية كبيرة حيث إن كل فرد في هذا العالم يكون منحدرا من عائلة ما، أو منتسبا إليها. الزواج والولادة هما العاملان الرئيسيان اللذان يؤديان إلى توسع الأسرة، والبنية الأساسية للعائلة هي الرجل والمرأة، يجتمعان و ينجبان الأولاد، ويلعبان دورهما لقوام العائلة عامة ولتربية الأولاد خاصة. كل واحد منهما لهما رتبتهما ودورهما في العائلة؛ فالرتبة يتمتع بها الوالدان في العائلة المثقفة على حد سواء بدون تفوق ولا نقص، بينما يختلفان بالنسبة إلى دورهما. فالمرأة مسئوليتها الأساسية في العائلة تربية الأولاد في معظم المجتمعات في أنحاء العالم حينما يقوم

الرجل بترتيب الوسائل المعنوية من الكسب. لكن ربّما تتعرّض المرأة للاعتداء عليها، على الرغم من قيامها بدورها وأداء مهمتها، بمنع حقوقها و إذلالها وتراجعها عن رتبتها بمرّ الدهور، بسبب وعيها الاجتماعي إضافة إلى اختلافها البيولجي.

يصور علي بدر المجتمع العراقي من خلال عائلة فاطمة، تنعكس فيها الجوانب المختلفة للحياة الاجتماعية في العراق من بنيةالاجتماعية قبل الاحتلال وتغيرها بعده .

رتبة الزوج ودوره في العائلة

يصور المقطع التالي رتبة الزوج أو الوالد في العائلة قبل الظهور المسلحين ومعاملته مع أفراد عائلته.

"لقد تغير أبي. ومع أني كنت أراه عملاقاً في قوته، وعنفه، وسلطته، وغضبه القاهر، حتى قبل ظهور المسلّحين في حياتنا. ولكن ذلك، بسبب غضبه، ولا شيء آخر. لم يعترض على أمي، وهي ترعى كل من تراه بحنانها الذي يشبه السياط اللاهبة. ولكن والدي - على برودته معنا قبل ظهور المسلّحين - كان يعطيني شيئاً من قوته"[164]

فالرجل كزوج ووالد يحسن المعاملة مع أفراد عائلته ويرون فيه قوة للعائلة قبل ظهور المسلحين، ولكنه تغيّر كثيرا بعد ظهور المسلحين في سجيته ومعاملته كما تشير السطور التالية.

" أما بعد ذلك؛ فشعرت بتغيره تغيراً كاملاً. لم أعد أشعر بهذه القوة لي أصبحت أشعر أن قوته أصبحت علي. أصبحت أخشى من قوته التي شملت، بذعرها، كل المحيطين به"[165]

رتبة الزوجة ودورها في العائلة

[164] بدر، علي. الكافرة، منشورات المتوسط، ميلانو(إيطاليا)، 2015، ص 61

[165] المرجع السابق، ص 61-62

المرأة تختلف رتبتها في العائلة وبالتالي في المجتمع حسب مستوى التربية والثقافة، فربما تستوي رتبة الرجل والمرأة أو يكون بينهما تغير بسيط. على كل حال يتفق المجتمع العالمي على أن دورهما مختلف في عائلة من الطبقة الوسطى، فعادة الرجل كزوج أو والد يشتغل الوظائف المختلفة لقوام العائلة، بينما المرأة ترتكز في مهمة البيت وتربية الأولاد.

"قبل ظهرو المسلحين المتشددين لم تكن أمي تغادر المنزل كثيرا. في المساء، تجلس في الفناء، أو في ركن من أركان المنزل، صامتة. في الصباح تنقل بين موقد المطبغ والحجرة؛ لتعد الطعم لنا. نادرا ما كان ينتبه أحد لوجودها، وإذا فعل والدي ذلك، فلكي يأمرها بأن ترشّ مبيد الحشرات، في التواليت، أو لتملأ خزان الحمّام"[166].

يشير علي بدر إلى رتبة المرأة في العراق من خلال هذه السطور، فالمرأة هنا دون الرجل، وتقوم، فوق أعمالها في المنزل، مساعدة له لكن في بيئة مريحة كما يشير.

"تستيقظ أمي في السابعة صباحا، لتعدّ الفطور، ومع استيقاظها، تداهمني ضجة الراديو الأليفة، اختلاط الصوت المذيع مع وشيش السماور. صوت محركات السيارات مع فوضى الصباح الحماسية ..."[167]

لكن تغيرت رتبتها ودورها بعد الاحتلال وسيطرة المسلحين كما اضمحلّت البيئة المريحة في المنزل.

"أما في عائلتي؛ فكانت أمي أسفل هذه الطبقات. حين تتكلم مع أبي، فإنها تدمدم، بهمهمة غير مفهومة. صوتها يأتيك خفيضا، كما لو كان قادما من مكان ناء. إن يطلب منها شيئا فإنها لن تقول له سوى:

تحت أمرك!

[166] المرجع السابق، ص 87

[167] المرجع السبق، ص86- 87

رأيتها مرة، وهي تقف أمامه حاملة الفانوس؛ لينير بشرته القاتمة وعينيه اللامعتين كعيني حيوان. كانت تقف أمام أكثر الرجال وحشية في العالم.

رجلا يطاع، لا يقال له (لا) أبدا.

لقد أمضت أمي حياتها باحثة في قاموسها عن أكثر الكلمات ملاءمة لمخاطبته"[168].

يتضح مما سبق أن الجوّ العائلي قد تغير تماما بعد الاحتلال، والمرأة تحولت كفريسة أمام الصيّاد تخاف دائما على كيانها وشخصيتها.

الأولاد ودورهم

طبيعة رتبة الأولاد في عائلة عادية مماثلة، ويستمتعون بها على حد سواء، وهم تحت رعاية الوالدين وعنايتهما. وهم يرتكزون في الدراسة، بها وبالمعاملة مع أترابهم تتشكّل شخصيتهم على طريق مقبول. فالبطل في الرواية، فاطمة أيضا كانت تحت رعاية والدتها وشفقة والدها.

تحكي فاطمة عن عناية أمها بأمورها "كانت تجلسني كل صباح على متكئ عال، لتلبسني ملابس المدرسة بدانتيلا بيضاء، وتشدّ شعري بمشد لامع. أشبه بالصورة الوحيدة التي أخذتها أمام المصور حينما كانت شابة... مبالغتها في العناية بشعري واهتمامها بنوعية حذائي الذي أرتديه جعلني غريبة عن كل ما يحيط بي"[169]

وهي تكي عن شخصيتها فتواصل " كنتُ صامتة خجولة، مشغولة دائما في ركن من أركان البيت بألعاب سرية. ولم أكن أخرج إلا إلى المدرسة"[170]. إن خروجها إلى المدرسة ومعاملتها مع أترابها غيرت شخصيتها تماما من عقدة دونية إلى شعور الاجتماعية كما تحكي " في البداية، جعلني هذا الأمر منطوية، على نفسي

[168] المرجع السابق، ص 61-62

[169] المرجع السابق، ص 84

[170] المرجع السابق، ص 86

مبتعدة قدر ما يمكن عنهم بعدها، قرّرتُ التآلف . فانخرطت في حياتهم. صرتُ، أتشبه بهم في الصياح العالي في الركض في الشوارع المترية، في العراك بالأيدي على أتفه الأشياء، والانغمار، في جنون الألعاب الصاخبة"[171].

ويظهر من بيانها عن شخصيتها وتحولها بعد معاملتها مع أترابها في المدرسة، عن أهمية المدرسة ودورها في تشكيل شخصية الطلّاب. لكن أغلقها المسلّحون كما أغلقوا كثيرا من مرافق الحياة الفردية والاجتماعية. تحكي فاطمة "بعد ظهور المسلّحين، واحتلالهم لمدينتنا والقرى المحيطة بها، توقفت المدارس تماما. توقفت طقوس الصباح، صمتت المدينة"[172]. فهذه المداخلة من قبل المسلحين مانعين دراسة الأطفال من ذيول الاحتلال.

الفقر كسمة المجتمع العراقي

ينظر علماء الاجتماع إلى الفقر من خلال مفهومين وهما "الفقر المطلق" و"الفقر النسبي". "ويرتبط مفهوم الفقر النسبي أساساً بفكرة العيش الكفاف. أي الشروط الأساسية التي ينبغي توافرها ليظل المرء على قيد الحياة في وضع صحي معقول، وتتضمن هذه الشروط الغذاء الكافي والمأوى والكساء، فإذا توافرت هي فحسب، يوصف المرء بأنه يعيش في حالة من الفقر"[173]. عادة ينظر لمفهوم الفقر المطلق باعتباره مفهوما إنسانيا يشمل جميع البشر في كل زمان ومكان. "إن مقاييس العيش الكفاف واحتياجاته متماثلة لكل البشر من ذوي الفئة العمرية والحالة الجسمانية المتشابهة، وتختلف الآراء حول اعتبار هذه الشروط مقياساً شاملاً لجميع البشر"[174].

---

[171] المرجع السابق، ص 85

[172] المرجع السابق، ص 87

[173] غدنز، أنتوني. علم الاجتماع (ترجمها الدكتور فايز الصياغ)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 373

[174] المرجع السابق، ص 373

ومن الباحثين من يعتقدون أن الأنسب تطبيق مفهوم (الفقر النسبي)، والذي يراد به معدل مستوى المعيشة في مجتمع ما . ففي رأيهم "أن الفقر هو ما يجري تعريفه ثقافيا وفي سياقات اجتماعية محددة مما يجعل من المتعذر قياسه وفقا لمعايير نموذجية شاملة للحرمان. ومن الخطأ الافتراض أن الحاجات البشرية متطابقة في كل مكان؛ لأنها في واقع الأمر تتباين في المجتمع الواحد وبين المجتمعات المختلفة. إن الأمور التي تعتبر جوهرية وأساسية في مجتمع ما قد يُنظر إليها باعتبارها من الكماليات المرفهة في مجتمع آخر"[175].

في عام 1980 كان العراق ثاني أكبر دولة في العالم العربي اقتصاديا بعد المملكة العربية السعودية كما أنها ثالث أكبر دولة في الشرق الأوسط في مجال الاقتصاد[176]. لكن تعرض العراق لانخفاض الناتج المحلي الإجمالي خلال الحرب الإيرانية. "وتعرّض العراق بين المدة من (آب 1990 إلى أيار 2003) إلى حصار اقتصادي شديد الوطأة قادته الولايات المتحدة الأمريكية التي عملت على معاقبة الشعب العراقي بحجة مكافحة صدام حسين، ويعدّ العراق أول بدل يتعرّض لهذا التطبيق القاسي لقرارات مجلس الأمن الدولي، والهدف الحقيقي هو تدمير البلد كقوة عربية، وتفتيته إلى كيانات عنصرية ودينية متصارعة فيما بينها، والسيطرة على ثرواته تحت ذريعة نزع أسلحة الدمار الشامل، وهو هدف أمريكي - صهيوني مشترك.... نتج عن الحصار الاقتصادي تفشي الفقر والجوع التدهور المعيشي..."[177].

يكشف علي بدر عن الجوانب السلبية الموجودة في مجتمع العراق بالنسبة للعلاقات العائلية وضعف روابطها قبل الاحتلال وظهور المسلّحين. فيرى الفقر السبب المهم لضعف العلاقات العائلية وبالتالي يقود إلى انحطاط قيم الإنسانية. فمن هذه الجوانب السلبية عدم اهتمام بأفراد العائلة، والاعتداء على

[175] المرجع السابق، ص 373

[176] Woods, John E. , Khadduri, Majid , Chambers, Richard L. , Blake, Gerald Henry and Kennedy, Hugh. "Iraq". Encyclopedia Britannica, 9 Mar. 2023, https://www.britannica.com/place/Iraq.

[177] سهيل، محمّد طقّوش. تاريخ العراق الحديث والمعاصر. دار النفائس، بيروت، 2015، ص 392

الزوجة ، وقتل الشرف، ومنع الحقوق من المال. يصوّر علي بدرأثر الفقر في تكسير روابط العائلة من خلال والد فاطمة:

"هاجر والدي إلى المدينة كي يعمل ويرسل لأمه وأشقائه وشقيقاته بعضاً من المال، إلا أنه لم يجد لنفسه سوى عمل حقير في المصبغة ذاتها التي كان يملكها والده أخذ يعمل بجد. سنوات. من دون توقف حتى تزوج من امرأة، كان والدها يعمل معه أ أيضا في المصبغة. هكذا عاش والدي مع زوجته التي أنجب منها سبعة أولاد، في المدينة البعيدة، ويرسل - لأشقائه وشقيقاته - المال. ولكنه شعر أن أعباءه تفاقمت أشقاؤه من فقر، إلى فقر. حياة أولاده وزوجته لا تتقدم أبدا"[178].

كان أبوها يعيش مع خيال أن يكون ثريا في يوما ما، ويكون منزله كبيرا، وترتدي وزجته أجمل الثياب فلم يتحقق ما تخيّل، يواصل علي بدر "شعر أنه- بأولاده السبعة- لا يمكن أن يحقق حلمه، بل سيكون هذا هو القيد الذي يكبّله إلى الأبد. فهرب من زوجته وأولاده سرا"[179].

يكشف هذا التصوير أن الفقر قد أثّر فيه عميقا، حتى أجبر لقطع علاقته مع عائلته، وترك زوجته وأولاده،رغم من الحقوق عليه حسن المعاملة مع أسرته وعشيرته.

سوء المعاملة وقتل الشرف

الأولاد نتيجة الحياة العائلية، وعلى الوالدين تجويد تربيتهم وتحسين المعاملة معهم وتدريبهم على القيم الإنسانية وإرشادهم على وجه أحسن. لكن يعتدي الوالدان على البنت ويقتلها بدون انتباه إلى برائتها.

"...لا أنسى (جميلة) البنت التي كانت معي في المدرسة، وكنت أعرفها منذ الطفولة؛ لأن بيتهم كان قريباً من بيتنا...

[178] المرجع السابق، ص 66

[179] المرجع السابق، ص 67

قتلها أبوها، بلا،رحمة، ولا شفقة. هكذا ضربها، بصخرة على رأسها، فماتت قتلها؛ لأن ابن جارهم اغتصبها فعل فعلته معها، وهرب. عادت إلى منزلها مرتاعة دون أن تفهم ما حدث لها، وبكل براءتها الطفلية راحت تسأل أمها عن الدم الذي سال بين ساقيها، فلطمت أمها خدها، وأخبرت والدها. فأراد الأب أن يقضي على عارها، بموتها"[180].

استيلاء على الميراث

يتبيّن من حكاية علي بدر أن الكبار أو الشقيق يمنعون شقيقتهم من الإرث ويستولون على الميراث كله، ربما يقتلون شقيقتهم لأجل استيلاء على الميراث بإتهامهنّ بجريمة ما، كما يمنعون حقوقهم من الزواج وغيره. يظهر ذلك من خلال حكاية فاطمة عن جدّها:

" فجدي، الذي لم أره أبداً، حاز على ثروة كبيرة، كميراث من والده الذي كان أحد كبار الملاك في المنطقة. وبما أنه أكبر شقيقاته الثلاث، فقد استولى على ثرواتهن أيضاً. أمر شائع في هذه المناطق من العالم أن يحوز الرجل على ثروات شقيقاته أيضاً. ولكي تكتمل ملكيته تماماً، رفض تزويجهن لئلا يطالبنه، بالإرث، فيما بعد. وبقين في داره مثل العبيد يعملن ويسهرن، على راحته"[181].

اعتداء على الزوجة

"ومن الأشياء التي لا أنساها أيضا، لا أنسى صوت أمي المتهدّج في الليل. كنت أتلفف في الفراش، وأتظاهر بأني نائمة. قالت لراضي الرجل الذي تزوّجته بعد مقتل أبي:

لا تضرب على وجهي.

[180] المرجع السابق، ص 11

[181] المرجع السابق، ص 64

حاولت أن تدير وجهها على الجهة الأخرى، فجرها بيد خشنة قوية مشققة، وأنزل قبضته الأخرى على وجهها بقوة، فسال الدم من أنفها. - "عاهرة، أنت عاهرة قولي إنك عاهرة، لن أتركك حتى تقولي أنا عاهرة.

قالت له:

- البنت نائمة، لا أريدها أن تسمع.

رائحة الكحول الممزوجة بالثوم كانت تملأ الغرفة، ثمله لا يخفّف من قوة ضرباته التي يسدّدها إلى بطنها، وهو يقول بصوت ثابت، لا يلين

- قولي إنك عاهرة.

- راضي، البنت نائمة، الله يرضى عليك، وأخشى أن تصحو.

- بنتك ستصبح عاهرة مثلك. أنتنّ عاهرات. أنزلي يديك، عن وجهك. وإلا سأدوس بقدمي في بطن الصبية.

- اترك الصبية، الله يرضى عليك.

- أنزلي يديك، عن وجهك.

أنزلت يدها - ببطء - عن وجهها، ففاجأها، بضربة، لا تلين، على الأسنان.

صرخت آه بألم حاد قادم من الأعماق وبصرخة مكتومة، بينما انفجر الدم من فمها وسار على حنكها على الوسادة. لقد خشيت أن تطلق صرختها، لقد كتمتها أعادتها لتتكسر، في روحها، وفي ذاتها. كانت تظن أني نائمة، فخشيت أن توقظني."[182]

هذا التصوير يسلّط الضوء على تجربة المرأة في بيتها وما تعانيها من الإعتداء، حيث هي ربّة البيت تدفع أقصى قدر من الاهتمام لئلّا توقظ بنتها، ويظهر معاناتها ومشاكلها.

[182] الكافرة، 11-12

الثقافة العراقية

"الثقافة تعني أساليب الحياة التي يعيشها أفراد مجتمع ما أو جماعات محددة في هذا المجتمع، فهي تشمل الآداب والفنون غير أنها تتجاوز هذين المجالين لتشمل عدة مفردات ثقافية أخرى مثل اللباس والعادات والتقاليد وأنماط العمل والمعتقدات والشعائر الدينية"[183]. البيئة الثقافية الأساسية للعراق هي بيئة إسلامية وعربية، وهي تشترك في عديد من العادات والتقاليد العالم العربي بأسرها؛ رغم ذلك أن العراق غني بالتنوع الثقافي.

إن القيم هي الأفكار المجردة التي تحدد ما يعتبر مهماً ومحبذاً ومرغوباً في ثقافة ما، أما المعايير فهي قواعد السلوك التي تعبر عن هذه القيم الثقافية. وتعمل القيم والمعايير سوياً على تشكيل أنماط السلوك التي يتعين على الأفراد انتهاجها إزاء ما يحيط بهم على العموم ومع أن القيم والمعايير تترسخ في أعماق شخصيات الأفراد والجماعات فإنها لا بد أن تتعرض للتغيير والتغير مع مرور الوقت.

تتسم المعتقدات والممارسات الثقافية بدرجة عالية من التنوع. ويدل مفهوم بمقارنتها مع التمركز الإثني على نزوع الفرد أو الجماعة إلى الحكم على الثقافات الأخرى ثقافته الخاصة. ويميل علماء الاجتماع إلى انتهاج النسبية الثقافية بدراسة كل ثقافة على أساس شروطها الخاصة وما تنطوي عليه بحد ذاتها من معان وقيم .

يتعلم البشر خصائص الثقافة ومدلولاتها عبر عملية التنشئة الاجتماعية. والعوامل الفاعلة في مجال التنشئة الاجتماعية تتمثل في المجموعات والسياقات الاجتماعية التي تجري فيها عمليات التنشئة المهمة. وتنشئة الطفل هي التي يصبح فيها الطفل العاجز - تدريجياً - ومن خلال اتصاله بالآخرين كائناً بشرياً مدركاً لذاته وعارفاً وملماً بالأساليب وأنماط السلوك المتبعة في ثقافة ما.

[183] غدنز، أنتوني. علم الاجتماع (ترجمها الدكتور فايز الصياغ)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 111

تشير الهوية إلى منظومة التفاهمات في ما بين مجموعة من البشر حول ماهيتهم والمعاني الكبرى ذات الدلالة بالنسبة إليهم وتعني الهوية الاجتماعية مجموعة الخصائص التي يعزوها الآخرون إلى فرد ما وكثيراً ما تقوم هذه الصفات على أساس الفئة الاجتماعية التي ينتسب إليها الفرد في نظر الجماعة مثل كونه ذكراً أو آسيوياً أو مسلماً أو كاثوليكياً، كما أنها تحدد المعالم التي يتشابه فيها هذا الفرد مع الآخرين. والهوية الذاتية أو الشخصية هي التي تميزنا باعتبارنا أفراداً عن الآخرين، وتشير إلى إحساسنا بالتفرد نتيجة للتنمية الذاتية والحصيلة التفاعل المستمر بيننا وبين العالم الخارجي.

والمجتمع منظومة من شبكات العلاقات المتداخلة التي تربط الأفراد بعضهم ببعض. ويمكن التمييز بين عدة أنواع من المجتمعات ما قبل الحديثة، ففي مجتمعات الصيد وجمع المحاصيل تقوم معيشة الناس على النقاط النبات وصيد الحيوانات، بينما تمثل تربية الحيوانات المدجنة المصدر الأساسي المعيشة الناس في المجتمعات الرعوية أما في المجتمعات الزراعية، فإن الناس يقومون بالفلاحة في مساحات محددة وثابتة من الأرض، وفي الحضارات والمدنيات التقليدية فإنها تتكون من المجتمعات الحضرية الأوسع والأكثر تطوراً.

وفي المجتمعات الصناعية يصبح الإنتاج الصناعي هو القاعدة الأساسية للاقتصاد. إذ تعيش أغلبية السكان في المناطق الحضرية، وتترك المؤسسات الضخمة آثارها على حياة جميع الناس تقريباً. وفي المجتمعات الصناعية نشأت أوائل الدول القومية أي منظومة التجمعات السياسية التي يفصل أحدها عن الآخر حدود واضحة المعالم.

(على الرغم من الصعوبات السياسية في العراق، ازدهرت المساعي الأدبية والفنية، لا سيما في بغداد، حيث تقترن التقاليد الفنية الغربية مع أشكال أكثر تقليدية من التعبير الفني في الشرق الأوسط. وازدهر الشعر في العراق. اشتهر شعراء العراق في القرن العشرين، مثل محمد مهدي الجواهري، ونازك الملائكة (أحد أشهر شعراء العالم العربي)، وبدر شاكر السياب، وعبد الوهاب البياتي، في جميع أنحاء العالم

العربي. يعتبر الرسامون والنحاتون العراقيون من بين أفضل الرسامين في الشرق الأوسط، ومنهم إسماعيل فتاح ترك وخالد الرحل ومحمد غني ذائع الصيت عالميًا. سعت وزارة الثقافة والإعلام إلى الحفاظ على الفنون والحرف التقليدية مثل المصنوعات الجلدية والنحاس وصناعة السجاد.)

الآداب والفنون

فدولة عراق هي مهد الثقافة والحضارة، يصور علي بدر إهتمامها الفنون من خلال نبيل، عازف تشيللو حين يقول، "فنبيل عازف تشيللو درس هذه الآلة في مدرسة الموسيقى والبالية في المنصور، وعمل في الفرقة السمفونية الوطنية كعازف للموسيقى الكلاسيكية"[184].

لكن تغيّر الحال بعد الحرب وسيطرة المسلحين بحيث يثبت كان أحد أهداف الأمريكا من الاحتلال وهو هدم العراق ثقافيا أيضا. فنبيل،الذي كان سكان حيّه يرآه محترما، يتعرض لاعتداءهم عليه لنفس الموسيقى. يصف المؤلف السياق الذي اعتدى فيه المسلّحون على نبيل، فيقول "حين قبضت عليه مجموعة إسلامية، وهو عائد إلى منزله، يحمل في يده آلة التشيللو الموضوعة داخل حقيبة سوداء كبيرة. أوقفوه عند عمود الكهرباء، وهو عائد بعد ظهيرة يوم قائظ كان متعرقاً ومتعباً، ويود الوصول بأقصى سرعة للبيت وتناول قنينة ماء بارد من الثلاجة، وشربها.

كان قائد المجموعة هو الأصغر سناً، له وجه أمرد، أشبه بمؤخرة معزة"[185].

ثم يواصل كيفية إذلالهم له بالمكالمة التالية.

"سأله ما هذه التي في يده

- تشيللو!

[184] بدر، علي. عازف الغيوم، منشورات المتوسط، ميلانو(إيطاليا)، 2016، ص 17

[185] المرجع السابق، ص 24

- آه ... ماذا يعني؟

- آلة موسيقية! - آه آلة موسيقية وغربية أيضاً؟

- موسيقى عالمية

- أنت تريد أن تعطيني درساً؟ - لا.. ولكن ...

- ألا تعرف أن التشبه بالكفّار كفر، وأن الموسيقى في الإسلام حرام؟ "[186].

يبيّن المؤلف عمق التغير في خلق الناس في حيّه بعد سيطرة المسلحين فيواصل.

"قبل أن ينطق نبيل بأية كلمة انهال الأوباش المسلحون على آلته. قطعوا أوتارها، ضربوها على الأرض، ركلوها بأقدامهم حتى حطموها تماماً، وهم يضحكون. كان نبيل ينظر صامتاً إلى المشهد الذي أمامه، بينما سكان الحي الذين تجمعوا أخذوا يشاركون المسلحين الضحك والسخرية، فتقدم قائد المجموعة من نبيل ومسكه من ربطة عنقه، وضربه بالكفّ. صفعه، فطارت النظارة ذات الإطار الذهبي في الهواء، وسقطت على الرصيف عاصفة من الضحك. صفعه مرّة أخرى على وجهه من الجهة الأخرى، مع. أربكت نبيل، وسقط على الأرض، وما إن نهض حتى أخذ قائد المجموعة نبيل من قميصه الأبيض من ماركة رالف رولون، والذي يحبه نبيل جداً. وأخذ يمزقه بحقد وغضب كما لو كانت له عداوة مع هذه النوعية من القمصان، أو مع اللون الأبيض. وكان الحي بأجمعه تقريباً غارقاً بالضحك"[187].

اللباس

إن طراز اللباس في العراق مختلفة بالنسبة إلى الرجل والمرأة، فالرجل يرتدي البنطلون والقميص يثبته علي بدر " لقد كان - فيما مضى - مكروها في الحي، ولكنه محترم؛ إذ ينظره السكان باحترام ويعرفون

[186] المرجع السابق، ص24-25

[187] المرجع السابق، ص 25

أهميته شخص صامت يرتدي نظارة طبية - دليل على ذكائه، ملابس كلاسيكية أنيقة له وجه غامض لا يشبه عامة الناس في الحي، وآلة موسيقية غريبة يمشي باستقامة وثبات وبرنامجه اليومي واضح، فهو يخرج كل يوم صباحاً، ويعود مساء"[188]. يشير هذا المقطع إلى أهمية اللباس وأثره في تقييم شخصيته، كما إلى أهمية الموسيقى في المجتمع العراقي.

لكن المرأة في العراق ترتدي في سنّ المراهقة النقاب ولا تهتم بأشياء الجمال الاصطناعية. يقول علي بدر من خلال فاطمة " كنت - أحياناً - أنظر في فاتيرنات المحلات، أنظر، وأنا أسير في الشارع. أرى أشياء كثيرة، تستحق الفرجة، وهي أشياء غير مسموح لي أن اتفرج عليها تحت أي ظرف من الظروف.

تسمح لي أمي أن أتفرّج عليها ... أشعر بالعطف من طرف عينيها، لهذا هي؛ تصطحبني، هناك أحذية أنيقة، حقائب، قبعات، حلي.

تشتت أمي انتباهي تقودني إلى طرق بعيدة، عن المحلات، ثم تقول لي بعد أن تيأس:

- ماذا تفعلين بهذا ... ستتنقبين ... النقاب سيأتيك، على كل حال بعد أشهر من الآن." ثم تردف، وتقول:

- الجمال الطبيعي لا يحتاج إلى زينة اصطناعية.

- عن أي جمال تتحدثين، يا أمي؟"[189].

العادات

"إنّ العادات هي الأمور التّي اعتاد النّاس على القيام بها في المجتمع، أو ضمن عائلات ومجموعات محدّدة، فهي كالقواعد التّي تمَ نصها وكتابتها من قبل أشخاص معينين حتّى يقوم الآخرون بتطبيقها والالتزام بها،

[188] المرجع السابق، ص25-26

[189] بدر، علي. الكافرة، منشورات المتوسط، ميلانو(إيطاليا)، 2015، ص 87-88

وغالبا ما يطلق على الأمر الذّي يقوم به العديد من النّاس بالعادات، وتشمل العادات أي أفعال ترتبط بالحياة اليوميّة لمجتمع معيّن"[190].

جمهورية عراق، أكثر سكانها مسلمون، لذا يعتبر الإسلام الدين الرسمي، ويهتم الكبار بتوعية الصغار على قواعده. وهم يحاولون لتطبيقها على الصغار على الشكل الواجب. فمن قواعد الإسلام أن لا يقع الأجنبي في حبّ أجنبية أو على عكسها قبل الزواج. يصوّر المؤلف هذه العادة.

"لقد تكلم، بكلام، لم أفهم منه شيئا. لكن شعرت أنه يريد أن يحدثني، عن سر خطير، يهدّده. شيئ، لم تجد أمي ذاتها الجرأة، على أن تحدّثني به.

كان هنالك شاب لطيف من جيراننا، كنتُ أنظر له. وشعرتُ بأني واقعة في حبه ... لم يكلمني، ولم أكلّمه، ولكني حلمت مرات ومرات - بيني وبين نفسي - أني أتكلم معه .... لم أفعل أي شيء، كنتُ أتظاهر بألا أنظر إليه، وهو يمر، من باب بيتنا. لم يكن الحب مسموحا لي.

كان مغريا لي أن أسأل أمي:

- لم غير مسموح لي الحبّ، يا أمي؟"[191]

هنا يرى الوالد أن بنته توشك أن تقع في الحب مع أجنبي ممنوع، فيحاول ان يفهمها بثقة النفس رغم كونها شيئا مخجولا حتى لا تجد أمها الجرأة لمشاطرتها معها.

القيم والمعتقدات

"من العناصر الجوهرية في جميع الثقافات منظومة الأفكار التي تحدد ما هو مهم ومُحبَّذ ومرغوب في المجتمع، وهذه الأفكار المجردة أو القيم هي التي تضفي معنى محدداً، وتُعطي مؤشّرات ارشادية لتوجيه

[190] الفرق بين العادات والتقاليد، https://www.ammonnews.net/article/729107

[191] بدر، علي. الكافرة، منشورات المتوسط، ميلانو(إيطاليا)، 2015، ص 69-70

تفاعل البشر مع العالم الاجتماعي"[192]. ومع أن القيم والمعايير تترسخ في أعماق شخصيات الأفراد والجماعات فإنها لا بد أن تتعرض للتغيير والتغير مع مرور الوقت. ففي بيئة عائلية ترتدي المرأة النقاب حتى البنت في سنّ المراهقة أمام أبيها، يصوّرها المؤلف.

"دخل أبي، إلى الحجرة، وكنتُ ألعب بدمية في يدي، ومن دون أن ينظر نحوي، ناداني باسمي انتبهت له طلب مني أن أتبعه إلى الحجرة الثانية. نهضت من مكاني كي أذهب وراءه، فأوقفتني أمي أشارت لي أن أرتدي النقاب أمامه.

- النقاب أمام أبي؟ قلت لها مستغربة.

أشارت لي بعينيها ألا أعترض إلا أني رفضت مسكتني من يدي ونظرت لي بوجهها المتوسل، قلت لها:

- حلي يدك عني"[193].

يشير المؤلف بهذا المقطع إلى معتقدات أم البطل، فتأمرها أن ترتدي النقاب أمام والدها، ثم يواصل المؤلف.

"دخلت من دون حجاب إلى الحجرة التي دخلها والدي، وجلست على الأريكة التي تقابله. وحين رفعت رأسي؛ كي أسمع منه، ومن أول نظرة له، شعرتُ باختفاء نظرات الأب، من عينيه شعرتُ باختفاء تلك النظرة الحنونة التي كان يغدقها بعض الأحيان نحوي! لا أعرف كيف؟! شعرتُ تلك اللحظة أنا أيضاً خائفة بعض الشيء. من أبي ... لحظات من الصمت، وهو ينظر إلى الحائط عابساً. لا ينظر نحوي. ثم جاء صوته عميقاً، كأنه قادم، من قعر بئر.

- لم لم ترتد النقاب أمامي؟"[194].

[192] غدنز، أنتوني. علم الاجتماع (ترجمها الدكتور فايز الصياغ)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 82

[193] بدر، علي. الكافرة، منشورات المتوسط، ميلانو(إيطاليا)، 2015، ص 69

يثبت بها المؤلف أن إرتداء النقاب من قيم مجتمع العراقي ومعتقداته.

الهوية

"تشير الهوية إلى منظومة التفاهمات في ما بين مجموعة من البشر حول ماهيتهم والمعاني الكبرى ذات الدلالة بالنسبة إليهم، وتعني الهوية الاجتماعية مجموعة الخصائص التي يعزوها الآخرون إلى فرد ما وكثيرا ما تقوم هذه الصفات على أساس الفئة الاجتماعية التي ينتسب إليها الفرد في نظر الجماعة"[195] فكون الواحد ذكرا أو مرأة أو آسيويا أو غربيا أو مسلماً أو كاثوليكياً من مثال الهوية الاجتماعية. وهي أيضا تحدد المعالم التي يتشابه فيها هذا الفرد مع الآخرين. والهوية الذاتية أو الشخصية هي التي تميزالفرد باعتباره فردا عن الآخرين، وتشير إلى إحساسه بالتفرد نتيجة للتنمية الذاتية والحصيلة التفاعل المستمر بينه وبين العالم الخارجي.

يشير المؤلف إلى نوعي الهوية من خلال هذه السطور. ويتضح منها ربما يتعرض الشخص لصراع بين هويته الشخصية وهويته الاجتماعية.

"أما أنا، فقد كنت في عالم آخر، لم يكن النقاب قادرا على كبح جموح جسدي الذي ما يزال شابا،لم يكن قادرا على تهديد يفاعتي المندفعة...

نعم، لقد تبدّل كل شيء، بالنسبة إلي، شعرت، بأنوثتي أول الأمر مثل زهرة تتفتّح في داخلي، لكن؛ سرعان ما تمّ كبحها، بقوّة، وعنف، لا نظير لهما"[196].

فالبطل فاطمة تجبر لاحتفاظ هويتها الاجتماعية بإرتداء النقاب، بينما هويتها الشخصية لا تقبلها بل تفرض غايتها من كبح جموح النفس.

---

[194] المرجع السابق، ص 69

[195] غدنز، أنتوني. علم الاجتماع (ترجمها الدكتور فايز الصياغ)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 112

[196] بدر، علي. الكافرة، منشورات المتوسط، ميلانو(إيطاليا)، 2015، ص 91

التغير الاجتماعي

إن تعريف التغير الاجتماعي بدقة هو أمر صعب، بل يمكن أن يشير إلى تحول الثقافة والسلوك والمؤسسات الاجتماعية والبنية الاجتماعية بمرور الوقت. لأن كل شيء في حياة الإنسان عُرضة للتغير المستمر على الدوام. فكل يوم يوم جديد، كما أن كل لحظة تمثل حدثامستجدا في العمر. "وعلى حد تعبير الفيلسوف اليوناني القديم هيرقليطس، فإن المرء لا يستحم في النهر الواحد مرتين، لأن النهر يتغير بجريان الماء فيه مثلما يتغير الشخص فور إحساسه أو ملامسته لماء النهر"[197].

رغم كون تحديد التغير الاجتماعي بدقة أمرا صعبا، يمكن تثبيت الاحتلال بالنسبة لمجتمع العراق كان مؤثرا واضحا في تغيير بنية الاجتماعية، والذي نتج عنه أقصى تغير الاجتماعي وهو الهجرة من مسقط رأسه إلى منطقة مريحة بالنسبة له.

وهذا التغير الاجتماعي في المجتمع العراقي بعد الاحتلال الأمريكي، يصوره علي بدر بكل دقة ووضوح بحيث يكشف أنه كان من أهداف أمريكا تبرير حربه على الإرهاب بتشويه ثقافة العراق أيضا.

تغير في الأدوار

استغلّ المسلّحون الفقر في العائلة العراقية، حتى التحق معهم كثير من السكان العاديين في العراق منفذين أوامرهم. وممن التحقوا بهم والد فاطمة، والذي كان في ورطة الفقر، فتغير بيئة عائلته؛ يصوره المؤلف

في اليوم التالي : نقلنا أغراضنا، وذهبنا إلى المدينة الصغيرة؛ لنعيش في منزل كبير، يتحصن به رجال مسلّحون وجوههم عابسة، يرتدون ملابس غريبة، ويضعون على رؤوسهم العمائم السود، ولحاهم طويلة

[197] غدنز، أنتوني. علم الاجتماع (ترجمها الدكتور فايز الصياغ)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص 105

في المنزل صالة كبيرة، يقدم فيها الطعام، بإسراف كبير ، ويكون دوماً مصحوباً، بصراخ مدو. وخلف هذه الصالة، كانت هنالك حجرة طويلة للنساء المنقبات أمامها حجرة للحراسة فيها أريكة على جانبيها، نوافذ صغيرة، لا يمكن إغلاقها، تشرف على الشارع. مقابلها نافذة كبيرة بلا إطار ولا زجاج، ترى شجرة نخيل عبرها على أريكة كبيرة على اليسار، تجلس امراتان محجبتان؛ الأولى امرأة ضئيلة الحجم، والأخرى سمينة، لها صوت جد قبيح. لا أحد يمكنه دخول حجرة النساء المنقبات دون أخذ الأذن من هاتين المرأتين.

"وكان دور أمي هو تنظيف المنزل كله في الصباح الباكر، وحتى منتصف النهار؛ حيث ننتقل إلى منزل صغير ملحق بهذا البناء، وهو أشبه بالزريبة كنا ننام، ونأكل فيه.

نبقى أنا وأمي في هذا المنزل الصغير للعمل طوال النهار. أما والدي؛ فيختفي في النهار، ولا يعود إلا في الليل، وأحيانا يختفي في الليل أيضا، والكثير من الأحيان، يغيب لأيام متتاليات. ربما كان يقوم بمهمات عديدة خارج المدينة، يكلّفه بها الرجال المسلّحون أما أنا فكان علي مساعدة أمي، في التنظيف، وفي الأعمال الخدمية الأخرى حيث ننهض كل يوم مبكرات قبل استيقاظ الجميع، ونقوم بتنظيف المنزل من الطابق العلوي وحتى الطابق السفلي لا يمكنك أن تتخيل التعب الذي كان في يدي الصغيرتين، وفي جسدي وفي قدمي حينما أعود بعد العمل الشاق تلك الأيام"[198].

يظهر من بيان المؤلف كيف استخدم المسلحون عائلة من التحق بهم لخدمتهم، وهم لم يتركوا حتى البنت الصغيرة.

التغير في اللباس

[198] بدر، علي. الكافرة، منشورات المتوسط، ميلانو(إيطاليا)، 2015، ص 39-49

"بينما كل النساء، في كل المدينة وملحقاتها، ومنذ سيطر المسلحون عليها، يتنقبن، بالسواد الكامل، من أعلى الرأس حتى أسفل القدمين، كل النساء أصبحن تحت نقاب أسود حتى البنات الصغيرات، بل لا يجوز إظهار حتى أصابع اليد. على المرأة أن تتغطّى بالكفوف السود حتى في الصيف الحار، وهكذا لا ترى النساء الماشيات بالنقاب، إلا كما الغربان لا وجود لوجه امرأة مكشوف في تلك البقعة أبدا، إلا وجه هذه المرأة"[199].

يصور المؤلف من خلال هذه السطور طراز لباس المرأة في العراق بعد الاحتلال وسيطرة المسلحين، ويواصل...

"أي أنه من قريتنا لم يكن من المسلّحين الغرباء الذين احتلوا القرية والمدينة التي جوارنا، ولكن العمل مع المسلحين...

... أقصد شكلياً، على صعيد ملابسه مثلاً: رمى البنطلون والقميص الذين كان يرتديهما سابقاً، وأخذ يرتدي الجلباب، ويضع على رأسه طاقية غريبة، وأطلق لحيته، إلا أنها نمت خفيفة متفرقة الشعرات على وجه أبيض شاحب؛ حيث لم يكن عمره ذلك الوقت سوى عشرين عاما"[200].

ويصوّر كيف غير الرجل ثيابه بعد التحاقه بهم.

التغير في القيم والمعتقدات

"كانت وجوه الرجال المحيطين بنا قاسية مثل المعدن، وعيونهم صلبة مثل الحجر كنت أخاف عيونهم حينما تلفت لي وجوههم الصنمية الجامدة كنت أخاف من عبوسهم الذي يُحدث، في داخلي، ارتجافاً عامضاً. أشعر أنهم مؤهلون؛ لأن يمدوا أيديهم، ويلمسوني، وأخاف أن تملأ روحي رائحتهم حين أراهم في

[199] المرجع السابق، ص 41

[200] المرجع السابق، ص 110

الممر، أو في النزل الذي كنا نعمل. أتراجع إلى الوراء خائفة تُرعبني أصواتهم، وهم يقرؤون - بصوت غاضب - كتبا مقدسة"[201].

يصوّر المؤلف بهذا المقطع سلوك المسلّحين ومعاملتهم مع النساء، وهم لا يحتفظون بالقيم الإنسانية ولا بالقيم الدينية، وهم دائما عابسون ومثيرون للهلع.

التغير في العادات

"وكانت هذه الغرف تكبر بالنساء. إنه أمر بسيط، كما يقولون فما إن يرى المسلّحون أحداً، له زوجة جميلة حتى يتهموه بالكفر والردة. بعدها يتم قتله. ومن ثم يستولون على أثاث منزله، ويحملون زوجته إلى المنزل الكبير؛ لينام معها أحد المسلّحين، ثم يبيعها لآخر. هذا ما حدث لحامد البقال. لقد تكلّم بسوء مرة عن المسلحين. لم يكن راضياً عن رجم الفتاة الزانية الكافرة، فجاءوا في المساء إليه، اتهموه بالردة حملوه إلى الساحة، شدوا وثاقه وأطلقوا النار عليه في اليوم التالي أخذوا زوجته سبية، ونام المسلّحون معها، اشتروها، وباعوها، وظلت هكذا بينهم تُباع، وتُشترى"[202].

يهتك المسلحون قواعد الإسلام، وهم يسيئون باستخدام المصطلحات الإسلامية على غير سياقها لإشباه شهواتهم.

تغير الهوية الشخصية

"فأضاف: إن فقدت بكارتها، فقدت حياتها. تهديد. لكن؛ الحق أقول إني شعرتُ تلك اللحظة، بالرغم من حداثة سني أن والدي لا يتحدث عن غشاء بين فخذي، إنما يتحدث عن جوهرة موجودة هناك. عن ماسة، وضعها الله لاختبارنا. وليس هنالك سوى رجل واحد، في الكون له الحق في أن يقتلعها، لنفسه، وأن يحصل عليها وحده. علينا ألا نفقدها قبل مجيئه، وإلا سنفقد الأرض، كما أننا سنفقد السماء أيضاً.

---

[201] المرجع السابق، ص 63

[202] المرجع السابق، ص 95

- هل هذا هو العدل الإلهي، يا أبي؟ وماذا سيفقد الرجل؟

- لا شيء.

- كيف؟

- هو رجل.

- رجل؟

ثم استدرك والدي وقال : ولكننا سنفقد شرفنا.

- لكنه جسدي ....

- أنت لا تملكينه ليس لك!

- جسدي ليس لي؟"[203]

هنا يصوّر المؤلف تغيّر هوية المرأة الشخصية وهي لم تقتنع عند توعية والدها إياها عن قائدة الإسلام بسبب قتل الشرف الذي حطم قلبهاوهي صغيرة، تعرض له صديقتها الحميمة *جميلة* وهي بريئة لا يعرف معنى الإغتصاب. كذالك يصوّر المؤلف نفس تغير الهوية بتشدّد المسلحين في معاملتهم مع النساء، ففاطمة كبنت صغيرة شهدت لقتل فتاة جميلة اتهمها المسلحون بأنها كافرة وحكموا عليها بالرجم. بعد هذه الحادثة المؤلمة تتحدث فاطمة مع أمها...

"سألت أمي:

- هل الله عادل؟

[203] المرجع السابق، ص 70- 71

- نعم، هو عادل.

- هل هو رجل؟ أم امرأة؟

- هو روح، لا رجل، ولا امرأة.

- لماذا نقول هو، ولا نقول هي ؟

- لأنه لا يصح أن نخاطب الله باسم امرأة.

- لماذا؟

- لأن المرأة أقل من الرجل.

- أقل بماذا ؟

- أقل بكثير..

- مثلاً، أريد أن أعرف، بماذا؟

- المرأة أقل ذكاء من الرجل ... الرجل أفضل، والله خلق الرجل على صورته.

- والمرأة خلقها الله على صورة من؟"[204]

وهي تحكي هذه التجربة

"لم تجبني أمي، بل نظرت لي نظرة استغراب، أو نظرة يأس، ربما. فلم تكن موافقة - بالتأكيد - على هذه الأسئلة التي لم تخطر في بالها. وفي الواقع، لم تكن تخطر في بالي لو لا رجم هذه الفتاة التي سمّمت علي حياتي.

[204] المرجع السابق، ص 48-49

- هل يرجمون الرجل ..؟ سألتها.

- لا....

- لماذا؟

لأن المرأة هي التي تغوي الرجل، هي التي جعلته يأكل التفاحة ويخرج من الجنة....

- أنت قلت إنها غبية، كيف استطاعت هذه الغبية أن تخدع الرجل الذكي؟!

لم تجبني أمي. كان علي أن أجد الجواب وحدي، علي أن أبحث عنه، وأصل إليه. غير أني شعرتُ بعد هذه الحادثة غيري، لم أعد نفس هذه الصبية أبدا"[205].

هنا يحتال المؤلف لإثارة الشكوك في ذهن القارئ عن كيان الله ويتحدّى للعقيدة الإسلامية، التي يقوم المسلّحون لإقامة دولة إسلامية. ثم يصوّر كيف يشوّه المسلّحون وجه الإسلام من خلال استغلالهم براءة العوام وفقرهم لتنفيذ الحملات الإرهابية لقتل الأبرياء، حيث يكتمل التغير الهوية الشخصية وتصل إلى تغيير هويتها الاجتماعية...

- "ما بك؟

لم يقل شيئاً، إلا أنه أخرج من جيبه رزمة من المال، ووضعها على الطاولة.

- مال؟ قلت له هل سرقت؟.

ابتسم وقال بصوت هادى

- لا، لم أسرق.

[205] المرجع السابق، ص 49

- من أين لك المال، إذن.

سكت"[206].

وهي تواصل

"كررت عليه سؤالي:

- من أين لك المال، إذن؟ قل لي.

- من المجاهدين

- من من؟ قلت له، باستنكار كامل.

- اخفضي صوتك.

- قل لي مِنْ مَنْ؟

- من المجاهدين ... من المجاهدين

- لماذا؟

- سأذهب أنفّذ عملية غداً..."[207]

جوابه هذا أثار فيها مشاعر فقدانه وحاجتها إليه، إلا أن توقعه للمكافأة في الجنة غيّر مشاعرها نحوه، وهي تواصل...

- "اسكتي ... غدا سينتظرني سبعون حورية عذراء على باب الجنة.

[206] المرجع السابق، ص124-125

[207] المرجع السابق، ص 125

- ماذا؟

- سبعون حورية عذراء ستكون بانتظاري غداً. قالها بصوت واثق

- حورية؟ قلتها بتكهم كامل.

- نعم. حورية وأخذ يبلع ريقه، ثم أردف "سبعون حورية".

- ... سبعون حورية.

- نعم قالها بثقة وابتهاج سبعون حورية"[208].

فهذه المحادثة بأسرها بين فاطمة وزوجها غيرت هويتها الشخصية تماما، وقرّرت بعد انتحار زوجها، الطريق الوحيد لمدّ أيدي المسلحين إليها، للخلاص من بيئة الحياة في العراق.

الهجرة

الهجرة هي تغيير الفرد أو المجموعة للإقامة من مسقط الرأس إلى موطن آخر. تفضّل الهجرة لأسباب مختلفة، منها الهروب من الحروب وعنفها.

يشير المؤلف إلى ظاهرة الهجرة في العراق بعد الاحتلال عامة وبعد سيطرة المسلحين خاصة. فالمرأة، عادة تغادر موطنها وتهجر إلى بلد آخر في العراق بسبب انعدام الأمن على كيانها أو شخصيتها بالقتل أو الإغتصاب، فترى الهجرة انتقالا من بيئة انعدام الأمن إلى بيئة الأمن. يصورها المؤلف...

"حملت الرسالة التي كان مظروفها مفتوحاً، وعليها ختم المسلّحين. في البداية، قرأتها بسرعة، فلم أفهم منها شيئاً. كنت فاقدة لأعصابي كانوا قد كتبوا آية من القرآن، شممت منها رائحة تهديد لي. ومن ثم طلب من رئيسهم أن أقابله في الساعة السابعة مساء، في الخميس القادم. لقد استبد بي لحظتها شعور بالتيه

[208] المرجع السابق، ص 126.

والبؤس والانكسار وسط هذه القرية الصغيرة التي يخيم عليه الصمت والقبح. خالجتني الرغبة في البكاء. غير أني تماسكت. خالجتني الرغبة بالهرب تحت جنح الليل والآن. لكني تريثت. تساءلت:

- ماذا أفعل هنا في هذا المكان؟ ما مصير حياتي المهددة، وروحي المعرضة للخطر باستمرار؟!. سرت بضع خطوات في الممر، وأدرت مقبض الباب..."[209]

وهي تحكي حالتها النفسية حين رأت الرسالة المطروحة على بابها من المسلحين، وهي تواصل...

"...ارتجفت لفكرة كنت سمعتها منذ زمن بعيد من راضي زوج أمي، أن في المدينة مهرباً، يمكنه بمبلغ من المال أن يقود أي شخص راغب، بالهرب،إلى أوربا . قلت لم لا؟! كانت هذه الفكرة الوحيدة التي آنستني ظاهرياً. وجعلتني متيقظة حتى ا الصباح"[210].

يتبين من سطور المؤلف أن المرأة الوحيدة في العراق بعد الاحتلال وسيطرة المسلحين، تحت ظروف الضغط حيث تواجه تحديات على كيانها دائما.

أما الرجل في العراق، فهو لا يواجه تحديات على الكيان مثلما تواجها المرأة، إلا أنه يهجر من وطنه لمواجهة تحديات على كيانه الثقافي، يصورها المؤلف من خلال نبيل، عازف التشيللو، الذي واجه الإهانة والإذلال من قبل المسلحين بعد ان حطموا آلته الموسيقية، ومزّقوا قميصه المحبوب إليه جدا...

" نعم، عليك أن تعرف أن الموسيقى حرام، وقد سامحناك على الفترة الماضية، كنت جاهلاً، وأدبناكَ، وعلّمناك. ولكن الآن نريد منك كفارة كي يسامحك الله على فعلتك هذه. وهي أن تدفع مبلغاً من المال لبناء جامع في هذا الحي..."[211].

[209] المرجع السابق، ص 145

[210] المرجع السابق، ص 145

[211] بدر، علي. عازف الغيوم، منشورات المتوسط، ميلانو(إيطاليا)، 2016، ص 31

يرى النبيل من بيان المسلّحين أنه ليست للموسيقى في العراق مكانة، والتي بالنسبة إليه حياته المادية والمعنوية، فيجبر للهجرة مطالبا حياته الفاضلة...

"من زمان، فكّر بالهروب إلى أوربا، ولكن؛ لم يكن الوقت قد حان فعلا، أما الآن، فقد حان فعلا، فها هو- الآن- حنب المهرّب الذي سيقوده إلى المكان المحلوم، إلى الحياة فيما وراء البحار..."[212]

تغيير الهوية الاجتماعية

إن من نتيجة الصراع بين الهوية الشخصية والهوية الاجتماعية، الهجرة إلى مكان تطابق بيئتها الاجتماعية بهويته الشخصية. فالمهاجر المعارض لهويته الاجتماعية، مطالبا لمكان مفضّل لشخيته، يحاول ان يتحرّر من كل جوانب ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه اصليا، كما يحاول للاندماج في ثقافة المضيفة له على شكل كامل.

هذا واضح في قصة فاطمة، يصورها المؤلف من خلال حكايتها...

"ولكني - للمرة الأولى - شعرت أني تحررتُ، ورميت، بقطعة الخبز التي اختزنتها للطيور. ركضتُ على الرصيف من دون هدف، لقد صرت - فجأة - فتاة مراهقة. في الصباح رميت النقاب بالمزبلة القريبة، وخرجت شعرت أني حرة، لم أعد أفكر من أين أتي بالطعام، أو أين أنام"[213] .

رميها النقاب في المزبلة، يشير إلى تحررها من أول رمز ملموس لثقافتها، قامت عائلتها بتطبيقه عليها حينما أمرتها والدتها لإرتداء النقاب أمام والدها وحينما سألها أبوها لم لم ترتد النقاب أمامه.

[212] المرجع السابق، ص 36

[213] بدر، علي. الكافرة، منشورات المتوسط، ميلانو(إيطاليا)، 2015، ص 159

المفتاح للاندماج في أي مجتمع تعلّم لغته واتقانها، ففاطمة التي تريد ان تندمج في مجتمع البلجيكا تحاول لتعلم اللغتين الفرنسية الفلامانية، يصورها المؤلف...

" في الأسبوع الأول من سكني في المكان، كنتُ سجّلت في مدرسة قريبة لتعلم اللغتين الفرنسية والفلامانية، وكنتُ أذهب كل أيام الأسبوع عدا عطلتي السبت والأحد. في البداية، لم يكن الأمر سهلاً. كنتُ أعود كل يوم إلى المنزل باكية؛ إذ إنني لا أفهم شيئاً من هاتين اللغتين ووجدتهما صعبتين، للغاية. أجلس هناك أتطلع في الوجوه دون أن أفهم كلمة واحدة. أعود إلى المنزل مسرعة، أرتمي على السرير، وأنخرط في البكاء، لأني أشعر باليأس من فهم كلمة واحدة، ما تعلمته بالأمس نسيته اليوم، وما أتعلمه اليوم، أنساه غداً، حتى غدا عقلي مثل صفيحة فارغة"[214].

هذا المقطع يصور تجربتها الأولي مع هذين اللغتين الأجنبيتين، وخوفها عليها بأن تكون عاجزة عن الدخول في مجتمعها المضيف.

"ولكني كنت مصرّة، مصرّة على تعلم هاتين اللغين حتى أدخل هذا المجتمع، ولا أعيش مثل حيوان عجوز مهمل متروك، في حقل. قلت لنفسي لا خيار لي. أستمر في لعبة التذكر والنسيان حتى أتمكن منها. هناك أناس لا يبلغون ذكائي، تعلّموها، وعاشوا بها. ماذا ينقصني؟ سأصرّ حتى أتعلمها [215] ".

وهذا المقطع يشير إلى عزيمتها القوية ومحاولتها للغاية لإقناع نفسها بأنها قادرة للتغلّب على هذه المشكلة ولتحقيق هدفها.

"وهكذا كنتُ أشعر بتحسن يوماً بعد يوم، وكل يوم أتعلم فيه كلمة جديدة، أشعر بفرح غامر ما بعده فرح كل يوم أقول كلمة جديدة، أو ألفظها، بشكل حسن أشعر بسعادة بالغة. كنت أتحسن شيئاً فشيئاً، وأعرف أني أتحسن، وكان هذا يدفعني للمزيد، بل للتخلص حتى من اللكنة التي رافقت تعلمي"[216]

[214] المرجع السابق، ص 166

[215] المرجع السابق، ص 166

وهي تواصل...

"كنت مولعة بسؤال واحد:

- ما نوع لكنتي؟ هل هي تشبه لكنة الأفارقة الذين يتكلمون الفرنسية؟ أم المغاربة؟ أم سكان أوربا الشرقية؟ أم العرب؟

- لماذا تشغلي عقلك يا بنية بهذه الأسئلة...؟ صديقتي الإفريقية قالت لي.

- أريد أن أعرف فقط. لا أريد أن يعرف أحد من أين أنا، أو يكتشفني ويحزرني من لهجتي..

- وما الضير؟

- لا أعرف ... ولكن لا أريد أن يعرف أحد أنّ لي أصلاً عربياً.

- ماذا؟

- هكذا، لدي شعور يحقرني أن أفعل هذا"[217].

مكالمتها مع الإفريقية تشير إلى حقدها واشمأزازها لأثنتها ومجتمعها الأصلي، ومحاولتها للتحرّر من ثقافتها بشكل كامل بحيث لا يميّزها أحد بأنها من أصل عربي.

حينما رأت فاطمة أن تعلمها للغة المنطوقة لدى المجتمع الذي تريد أن تنتمي إليه، لا يمحو هويتها تماما، وينظر إليها السكان الأصليون حتى العمال المهاجرون كلاجئة غريبة؛ تحاول لإزالة جميع ما عليها من معلم أثنها الأصلي، يصورها المؤلف...

---

[216] المرجع السابق، ص 167

[217] المرجع السابق، ص 167

" وهكذا قررت أن أغير هويتي، أن أغير حياتي، برمتها. الشيء الأول الذي قررت تغييره هو اسمي، لم أعد فاطمة العربية، إنما صوفي البلجيكية. اسم وجدته في الصحيفة...

...قلت لنفسي الأسماء أقدار، كان قدري مع اسمي فاطمة سيئاً، هكذا علي أن استبدله باسم آخر، عله يجلب الحظ لي. الاسم البلجيكي الجديد سيمنحني حياة جديدة، سينكر كل أصل سابق لي، وينفيه. سيجعل مني امرأة محترمة. سيرغم الآخرين على احترامي"[218].

تصور هاتان الروايتان الحياة الاجتماعية في العراق على شكل واضح. فرواية الكافرة تشير إلى البنية الحياة الاجتماعية في العراق بالتفصيل من خلال حياة بطلها فاطمة التي نشأت في عائلة عراقية قبل ظهور المسلحين، وترعرعت وسط سيطرة المسلحين شاهدة لشنّ غاراتهم على الحياة الإنسانية حتى أجبرت لمغادرة بلدها متحرّرة من ثقافتها الأصلية ومندمجة في الثقافة المضيفة إليها، بينما رواية عازف الغيوم فقط تلمح إلى البنية الاجتماعية حيث إن الرواية تبدأ مباشرة بمغادرة البطل نبيل من بلده الأصلي إلى أوربا، مكان مفضل بالنسبة إليه. لذا لا تشير إلى البنية الاجتماعية في العراق بدقة. غير أنهما تشيران إلى عناصر التغير الاجتماعي بكل صراحة وتفصيل.

فهاتان الروايتان لعلي بدر كافية للدراية عن واقع الحياة الاجتماعية في العراق و أن يفهما بفهم عميق ورؤية حادة. يعكس هذان العملان تجربة الكاتب كمراسل صحفي في العراق وكيف أثرت هذه التجارب على تصويره للوضع الاجتماعي بعد مغادرته البلاد وسيطرة المسلحين عليه بعد الاحتلال الأمريكي، كما يسلط الضوء على تأثير الصراعات والتوترات السياسية والدينية على الحياة اليومية للأفراد. بهذه الروايات، يقدم علي بدر صورة معقدة ومتعددة الأوجه للعراق والعالم الذي يعيش فيه، ويدعو القارئ إلى التفكير في تلك القضايا الاجتماعية والثقافية بعمق وتعمق.

[218] المرجع السابق، ص 174

الخاتمة

كان نشوء جمهورية العراق المعاصرة كوطن موحد جديد باحتلال القوات البريطانية للمحافظات العثمانية الثلاث بغداد والبصرة والموصل ودمجها إلى كيان واحد عام 1918، وكان مطلعا جديدا في تاريخ الأدبي العراقيي الذي كان يسير على درب التقليد من هيمنة الشعر على غيره من فنون الأدب.

وقد فتح الاحتلال بابا إلى علاقة مباشرة مع الثقافة الغربية، وأدت إلى تخليق نزعة في الجيل الجديد لاعتناق ثقافة البريطانيين تسليما للهيمنتهم الثقافية. فمحاولة البريطانيين لتسلل إلى أفق العراق الثقافي إضافة إلى سيطرتهم السياسية، نبّهت المخلصين من العراقيين وخاصة الأدباء، فبذلوا قصارى جهودهم في تحذير الجيل على الاتباع الأعمى، وتوليد فيهم إحساسا بالتخلف في مناحي الحياة سياسية وثقافية، واندفاعا إلى تجاوز هذا الواقع وتغيير مجراه.

وكانت نتيجتها تحقق الحركة العليمة والأدبية لأجل نشر التوعية العامة عن الحرية المطلقة؛ حيث انطلقت الجدّية والحداثة في تاريخ الأدبي العراقي، والذي كان عنصرا هاما في تطوير الأفكار الاجتماعية والسياسية والقومية. وكان في مقدمتهم محمود أحمد السيد الذي قام بإرساء الأساس للرواية الحديثة في العراق.

كان محمود أحمد السيد قد نشأ وتعلم في بيئة دينية، لكن خرج عن إطار الديني ومال إلى الفكرة الحرية والماركسية بعد رحلته إلى النهد وملاقاته مع كاتب هندي ثوري. توجيه إلى الأدب الروسي وتشجيعه على هدم الأفكار التقاليدية، غيّر مجرى أفكار محمود أحمد وأعاد مفهومه الأدبي.

بعد ان أدرك أن هدف الأدب هو تصوير الحياة الاجتماعية، تنحّى عن اتجاه السائد حين ذاك في الأدب العربي من اتجاه المغامرة والرومانسية. فاتجه اتجاه الواقعية وقام بتحريض معاصريه من الأدباء لمتابعة

نفس المنهج، بحيث يمكن الادعاء بأن محمود أحمد السيد كان أول من قام بتعريف بيئة الأدب العراقي بتصوير الحياة الاجتماعية من خلال روايته "جلال خالد".

تعد هذه الرواية أول رواية عراقية حديثة، رغم نقصها للعناصر الفنية؛ يطابق فحواها لمفهوم الحياة الاجتماعية المعاصر من البنية الاجتماعية والتغير الاجتماعي.

والرواية الثانية العراقية في مرحلتها التشكيلية، كانت رواية "المجنونان" لعبد الحق فاضل، وهي لم تصور الحياة الاجتماعية، بل كانت رومانسية كما أنها كانت ناقصة فنية، لذا لم تلفت أنظار النقاد. أما الروايتان لذو النون أيوب "الدكتور إبراهيم" و"اليد والأرض والماء"، وان لم تستوعبا العناصر الفنية، كانتا على منوال تصوير الواقع الاجتماعي؛ لكن، بتركيز على الجوانب السياسية حيث كان المؤلف متداخلا في شؤون السياسية مباشرا.

ورواية "النخلة والجيران" لغائب طعمة فرمان تعدّ أول رواية عرقية ناضجة فنية. كتبها فرمان بعد مغادرته العراق بسب معارضته للحكومة وبالتالي اسقاطها لجنسيته. وان تم طرد الحكومة عن السلطة، لم يرجع فرمان إلى العراق كمواطن بل فضّل البقاء في المنفى في موسكو حيث كان مثل محمود أحمد متمسكا بالأفكار الحرية والماركسية.

إن استيلاء حزب البعث على السلطة، وصعود صدام حسين على رأس الدولة، واندلاع الحرب العراقية الإيرانية، كلها أدّت إلى تغير كبير في المشهد الأدبي العراقي. الحملة البعثية للمجتمع بأسره، وإجبار المواطنين على اعتناق حزب البعث، ومنع النشاطات السياسية تحت أي حزب غير حزب البعث، والمراقبة الشديدة على الأعمال الأدبية، إضافة إلى الحروب المستمرة، أوجدت بيئة غير ملائمة للكتابة والتأليف.

كانت نتيجتها هجرة الأدباء حيث إن أكثرهم كانوا ينتمون إلى العقيدة الماركسية كما كانوا ضد حزب البعث، والذي قام بتشجيع وترويج الأدب الوطني. كانت هذه الظروف العنيفة نقطة تحول، بالنسبة

للروايات العراقية التي تحوّلت نوعين. الأول مكتوب في العراق تحت حزب البعث ومراقبته، والآخر مكتوب في حرية المنفى.

فالوقائع الاجتماعية التي يعناي منها الإنسان العادي، لم تصورها الإنتاجات الأدبية داخل العراق خاصة الروايات، ولم تمهد طريقا مشرقا لمجتمع يائس لقيادتهم إلى الأمل والتوقع؛ بل اختارت طريقة أخرى لتمجيد السلطة وتشجيعها كما اختارت الأخري اللجوء إلى الأسطورة واللغة الرمزية. بينما المؤلفون الذين تمتعو بحرية كاملة وراحة البال اهتموا بالواقع الاجتماعي والمعانات الانسانية؛ فالإنتاجات الأدبية العراقية في المنفى تصوّر فترة حزب البعث بكل صراحة ووضوح، واستمر هذا الوضع حتى القضاء على حزب البعث عام 2003.

والفترة بعد احتلال الأمريكي عام 2003 شهدت لتغيرات جذرية في التنظيم السياسي التي انعكست في البنية مجتمع العراقي والميدان الثقافي. وجائت ببعض التبديلات في ميدان الثقافة من رفع الحظر والمراقبة، واتجاه المؤلفين في صوب واحد من تصوير المعاناة الإنسانية وتصوير الحياة الاجتماعية في فترة صدام حسين بلا حدود المادية. يصور المؤلفون العراقيون الحرب الإيرانية العراقية وحرب الخليج عام 1991 بصدق وبإلحاح شديد. كما تصور رواياتهم الاضطرابات الاجتماعية الرهيبة التي أحدثها الغزو الأمريكي والعنف الطائفي الذي أعقب ذلك. فإن هؤلاء الكتاب يؤرخون تجارب الدكتاتورية والقمع والحصار والحرب والاحتلال والعنف الطائفي التي بدأت مع الحرب العراقيةالإيرانية برجوع إلى ذكريات الماضي، لكن سيطرة داعش جاء بحالة أسوء مما كان عليه العراق في فترة صدام. هذه الورطة لم تسمح للمؤلفين خارج العراق للرجوء إلى وطنهم المحبوبة، وواصلوا مجهوداتهم الثقافية في مآوهم في المنفى.

إن عديدا من روايات المكتوبة في المنفى تميزت بأسلوب سيرة ذاتية للمؤلف الذي واجه الموت والاعتقال والتعذيب والحرب. تتناول هذه الروايات تجارب شخصية رئيسية تواجه الموت على جبهة الحرب أو الفرار

من عقوبة الإعدام المؤكدة بعد الهروب من الخدمة. لقد تجرأوا ليس فقط على معالجة هذه المواضيع ولكن أيضًا للإشارة وإدانة قسوة المؤسسة العسكرية وممارساتها المروعة اللاإنسانية.

إن الحروب والاحتلال تأتي بتغيرات حاسمة في مناحي الحياة الاجتماعية، كانت هذه التغيرات بالنسبة للأدباء العراقيين رفع الحظر والمراقبة التى كانت عرقلة كبيرة أمام أعمالهم الفنّية المفتوحة. فشهدت ساحة الأدب العراقي لازدياد عدد الروايات وإقتحام الكتّاب الجدد في مجال القصص والروايات. ويتّضح بمراجعتها بدقة كانت هذه القفزة الخاطفة نتيجة سعيهم لتسجيل سرورهم السائب، رغم كلها تعالج التجربات المؤلمة في الفترة الدكتاتورية.

إن انجلاء الكابوس الذي طاردهم لمدّة، فتح أمام الأدباء العراقيين في المنفى مع حنين إلى الوطن بابا للرجوع إلى مسقط رأسهم ومعانقة أرضهم وترابهم. لكن الظروف الطارئة في العراق خاصة بعد نهوض القوات المسلحة قادت الوطن من ورطة إلى ورطة أسوأ منها وتحوّلت البيئة المريحة الملائمة للكتابة إلى بيئة يتحلق فيها الموت لاختطاف الحياة.

فالتحدّية الجديدة على الحياة أجبرت كل من رجع إلى العراق حالما المأوى في حجر وطنهم، للرجوع إلى مآوهم القديمة. والروائيون، بعد سيطرة القوات المسلحة، قاموا بتصوير الحياة الاجتماعية في العراق بمعالجة الفضاعة والشناعة التى شنّتها القوات المسلحة على كل من قام مخالفا لهم أو لم يستسلم لسيطرتهم. وكان من هؤلاء الروئيين علي بدر الذي غادر العراق في التسعينات عقب الحرب الخليجي؛ لكن رجع إلى العراق بعد سقوط حزب البعث وقضى فترة من الزمن هنا كصحفي لصحيفة أجنبية. وكان ممن شاهد فظائع القوات المسلحة على العراقيين، والمشاكل التى مارسها العراقيون في حياتهم اليومية؛ إضافة إلى ذلك، منحت له فرصة للمقابلة بعض المهاجرين العراقيين في بروسكل تركوا البلاد إثر تحديد على حياتهم. كل هذه التجربات الأوّلية، نقلها علي بدر إلى شكل رواية تصوّر الحياة الاجتماعية بكل دقة وصدق.

علي بدر بدأ محاولته في كتابة الروايات حسب المنهج الذي اتخذه معاصروه من الروائيين داخل العراق وخارجها من تصوير المعانات في فترة الدكتاتورية. فنشر إحدى عشرة رواية، على معدل واحدة في كل سنة، منذ 2001 إلى سنة 2011. ثمّ غيّر منهجه إلى تصوير الحياة الاجتماعية في العراق الراهن إبان الاحتلال الأمريكي وسيطرة القوات المسلحة، بعد ان امتنع لمدّة عن الكتابة منذ 2011 إلى ان عاد إلى ميدان الرواية سنة 2015.

روايته "الكافرة" تصوير دقيق للحياة الاجتماعية في العراق بعد سيطرة القوات المسلحة مهّدها الاحتلال الامريكي باجتثاث حزب البعث وبانهائهم للمهمة السياسية. يحاول علي بدر لتصوير الحياة الاجتماعية في العراق خاصة المشاكل التي يواجهها العراقيون العاميون في حياتهم العائلية، من خلال فتاة التى لقيها من مخيم للاجئين في بروسكل وأتاحت له فرصة لمقابلتها. وهو يقوم بتحليل دقيق لآثار السيطرة القوات المسلحة في العلاقات الاجتماعية وخاصة في العلاقات العائلية. وروايته "عازف الغيوم"، يوظف فيها منهجا آخر من تصوير مآزق الفنّانين، تبدوا من خلالها التبديلات في وجهة نظر العامة نحو المثقفين بعد التشدد الدينى الذي نشرته القوات المسلحة.

وحين يتم تحليل روايتيه "الكافرة" و"العازف الغيوم" من خلال مفهوم الحياة الاجتماعية، يظهر أنهما مبنيتان على أساس البنية الاجتماعية والتغير الاجتماعي، المفهومين الأساسيين في علم الاجتماع. غير أن الأول يقدم البنية الاجتماعية العراقية وتغيرها بشكل واضح، أما الثاني لا يأتي بصورة واضحة للبنية الاجتماعية بل يرتكز على تصوير التغير الاجتماعي في العراق بسب الفوضى العارمة بعد الاحتلال الأمريكي وسيطرة المسلحين. فكلتا روايتين تصلان إلى النهاية بهجرة البطل من بلده إلى بلد مريح وملائم لهويته الشخصية. فالهجرة بسبب الحروب تتويج لتغير الهوية الشخصية. وكذا يتضح من خلال قرائة دقيقة أن المؤلف علي بدر يدعم الأفكار الماركيسية بشكل خاص.

أهم نتائج البحث

وصل الباحث من خلال دراسته إلى النقاط التالية وهي:

- تصوير الحياة الاجتماعية في الروايات العراقية يبدأ منذ نشر الرواية "جلال خالد" التى ألفها محمود السيد سنة 1928 وهي تعتبر أول رواية حديثة في العراق، غير أنها ناقصة فنيا.
- أحداث رواية "جلال خالد" وأفكارها تشابه بحياة محمود أحمد السيد، بحيث يمكن الادعاء أن هذه الرواية هي سيرة ذاتية له.
- المصدر الحافز الذي حرّض السيّد لتغيير المنهج السائد آنذك في العراق، زيارته إلى الهند وملاقاته لشخص هندي شيوعي وتوجيهه للإضطلاع بقراءة الأدب الروسي.
- ساهم الهندي بشكل واضح في نشأة المنهج الجديد في الأدب العراقي وهو تصوير الحياة الاجتماعية.
- رواية"مجنونان" لعبد الحق فاضل، المنشورة بعد رواية جلال خالد، تابع فيها المؤلف المنهج الرومانسي وتنحّى عن تصوير الحياة الاجتماعية وواقعها.
- رواية "الدكتور إبراهيم" ورواية "اليد والأرض والماء" لذو النون أيوب، عالجت الحياة الاجتماعية بارتكاز خاص على حياة المثقفين وحياة الفلّاحين؛ إلا أنهما نقصتا القيم الفنّية للرواية.
- رواية "النخلة والجيران" المنشورة سنة 1966 لغائب طعمة فرمان ، تعتبر أول رواية عراقية ناضجة فنية، وهي تصوّر الحياة الاجتماعية إبان الحرب العالمية الثانية.
- رواية "النخلة والجيران" مكتوبة في المنفى بعد اسقاط الحكومة الملكية جنسية فرمان، بحيث يمكن الادعاء أن الرواية العراقية الفنية الأولي نشرت خارج العراق.
- الرويات المكتوبة في الفترة الدكتاتورية داخل العراق هي إما روايات في تمجيد الحروب والموت،أو روايات عن التاريخ والأسطورة ؛ ولم تصور الحياة الاجتماعية.

- يرى الأدباء العراقيون الاحتلال الأمركي إيجابيا، حيث إنه رفع المراقبة التى كانت تمنعهم عن تصوير الحياة الاجتماعية العراقية وواقعها.
- خروج حزب البعث عن السلطة كان فرصة بالنسبة للأدباء المنفيّين بسبب معارضتهم للحكومة للرجوع إلى موطنهم الأصلي.
- ازداد عدد الروايات المنشورة داخل العراق وخارجه بعد الاحتلال الأمريكي، إلا أن معظمها تعالج التجربات المؤلمة في فترة الدكتاتورية.
- الفوضى السياسية والفجوة القانونية بعد الاحتلال الأمريكي، مهّدت الطريق لنشوء سيطرة المسلحين على العراق وتغيير حياتها الاجتماعية والثقافية.
- التحديات الجديدة على الكيان الانساني بعد سيطرة المسلحين، منعت الأدباء داخل العراق عن بيئة ملائمة للكتابة لذا عدد الروايات المنشورة في المنفى أكثر مما نشر داخل العراق.
- علي بدر أبرز الروائيين العراقيين في المنفى، حيث إنه قام بكتابة الروايات بمعدل واحدة كل سنة منذ 2001 إلى 2011.
- تدور أحداث معظم رواياته في العراق قبل الاحتلال الأمريكي، وتسخر من التيارات الفكرية والثقافية كانت سائدة بعد الخمسينات.
- وهو يستعمل في رواياته شخصيات أيقونية مثل أدواد سعيد في رواية مصابيح أورشليم وجين بول سارتر في رواية بابا سارتر.
- بعض رواياته تدور حول الموسيقى والفلسفة، ويرى الموسيقى أداة مهمة لتوحيد الناس رغم تنوعهم الأثنية والثقافية.
- يرى التطرف والتشدد والإرهاب تحديات على الكائنات البشرية، ويصور أن المسلحين يلعب دورا هاما في تشويه وجه الإسلام.

- ومن رواياته الكافرة وعازف الغيوم مكتوبتان بعد ان استنكف لفترة عن نشر الروايات، وهما تتركزان على تصوير الحياة الاجتماعية في العراق بعد الاحتلال الامريكي.
- يصور الفقر كظاهرة مهمة في البنية الاجتماية، ودوره في تقويض العلاقات العائلية، والروابط الودية.
- يصور التشدد والتطرف أهم العناصر في تغيير الهويات الشخصية والاجتماعية، ينتج عنه تغيير الديموغري العراقي.

الاقتراحات والتوصيات

الباحث قد بذل جهوده في هذا البحث عن "تصوير الحياة الاجتماعية في روايات المنفى العراقية بعد الاحتلال الأمريكي بإشارة خاصة إلى علي بدر ورواياته: دراسة تحليلية". قام الباحث بدراسة عن مدى تصوير علي بدر الحياة الاجتماعية في العراق حسب مفهوم البنية الاجتماعية والتغير الاجتماعي في روايتيه "الكافرة" و"عازف الغيوم". يريد الباحث ان يقدم بعضا من الاقتراحات والتوصيات التي يستفيد منها الباحثون والدارسون في اللغة العربية وآدابها.

أهم سمات علي بدر أنها روايات تاريخية، لكن هناك بعض من رواياته التي تعالج مواضيع الفلسفة، بحيث يمكن إجراء دراسة عن رواياته حسب نظريات الفلسفة مثل روايته "بابا سارتر" وروايته "عازف الغيوم". وكذالك، يستخدم الموسيقى عنصرا هاما في رواياته مثل رواية "حارس التبغ" وأيضا في روايته "عازف الغيوم". فيمكن للباحثين القادمين تحليل رواياته للعثور على العلاقة بين الأدب والموسيقى.

وصل هذا البحث بعون الله وتوفيقه إلى نهاية المطاف، فيعترف الباحث بالزلل والأخطاء التي قد تحدث في سبيل الدراسة والتحليل. ومع ذلك قد بذل الباحث ماستطاع من الجهد، راجيا من الله التوفيق وسائلا لله القبول. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم، عبد الله. البناء الفني في رواية الحرب العربية في العراق (1980- 1985)، رسالة الماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1987
2. إبراهيم، عبد الله. المتخيل السردي (مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990
3. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٧
4. أبونضال، نزيه. تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وببلوغرافيا الرواية النسوية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٤
5. أبونضال، نزيه. تمرد الأنثى في رواية المرأة العربية وببلوغرافيا الرواية النسوية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،٢٠٠٤
6. الاحتلال الأمريكي واستهداف المرأة العراقية، دار باب للدراسة والتعليم، بيروت
7. أحمد، أمين و زكي قصة الأدب في العالم، ج:٣ مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م
8. احمد، عبد الآله. نشأة القصة وتطورها في العراق 1908 - 1939، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 2002
9. أحمد، عبد الآله، الأدب القصصي في العراق منذ الحرب العالمية الثانية اتجاهاته الفكرية وقيمه الفنية. منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001
10. أحمد، عبد الآله، عالي جواد طاهر، المقدمة (المجمع الكاملة للقصص محمود احمد السيد، 1978
11. أخلاقيات التغيير في الرواية العراقية، عباس عبد جاسم، جريدة القدس العربي، 5/ 1 / 2015.

12. إدريس، سهيل. القصة العراقية الحديثة، الآداب، ع 3، 1 مارس 1953

13. إدريس، سهيل. محاضرات عن القصة في لبنان، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة،الطبعة الأولى، ١٩٥٧

14. اسماعيل، حيدر حاج،سياسة ما بعد الحداثية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009

15. أمين، أحمد. النقد الأدبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - ط: ٢ القاهرة ١٩٥٧

16. ايوب، ذوالنون. اليد والأرض والماء. مطبعة شفيق، بغداد

17. باختين، ميخائيل. تر: يوسف حلاق، الكلمة في الرواية،منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1988

18. بحراوي، حسن. بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990

19. بدر، طه وعبد المحسن. تطور الرواية العربية الحديثة، دار المعارف، مصر، 1977

20. بدر، على. الطريق إلى تل مطران. رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2004.

21. بدر، على. الوليمة العارية، منشورات الجمل، ألمانيا، 2005

22. بدر، على. بابا سارتر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001

23. بدر، على. بابا سارتر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2007

24. بدر، على. شتاء العائلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2002

25. بدر، علي. أساتذة الوهم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2011

26. بدر، علي. الكافرة، منشورات المتوسط، ميلانو(إيطاليا)، 2015

27. بدر، علي. صخب ونساء وكاتب مغمور، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2005.

28. بدر، علي. عازف الغيوم، منشورات المتوسط، ميلانو(إيطاليا)، 2016

29. بدر، علي. مصابيح أورشليم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2006

30. بدر، علي. ملوك الرمال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2009.

31. البصير، محمد مهدي. نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر، مطبعة المعارف، بغداد، 1946

32. بلخير، بلال. بنية الزمن في رواية "بابا سارتر" لعلي بدر. 2022، مذكرة ماستر، جامعة محمد خيضر بسكرة.

33. بيهم، محمد جميل. المرأة في الإسلام وفي الحضارة الغربية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1980

34. التكريتي، منير بكر. الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية والثقافية، المطبعة الإرشاد، بغداد، 1969

35. ثامر، فاضل،المبنى الميتا- سردي في الرواية، دار المدى، بيروت، بغداد، 2013.

36. ثامر، فاضل،رواية فرانكشتاين في بغداد- التناص والنص الغائب، مجلة الثقافة الجديدة، بغداد، العدد، 366، أيار 2014.

37. جاسم، عبد الله. قضايا القصة العراقية المعاصرة: دراسة نقدية، وزارة الثقافة والعلم للجمهورية العراقية، بغداد، 1982

38. جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية في العراق 1941 - 1952، النجف، 1986

39. جمال، حسين علي. أموات بغداد، دار الفارابي، بيروت، 2008

40. الجندري، أنور. أدب المرأة العربية- القصة العربية المعاصرة، مطبعة الرسالة

41. جنيت وآخرون، تر: عبد الرحيم حزل،الفضاء الروائي، أفريقيا الشرق، بيروت، الدار البيضاء، 2002

42. حدارة، محمد مصطفى. دراسة في الأدب العربي الحديث، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، 1990

43. الحسني، عبد الرزاق، العراق قديما وحديثا، مطبعة العرفان، صيدا، 1957

44. الدراج، فيصل. رواية التقدم واغتراب المستقبل، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2010

45. الدسوقي، عمر. في الأدب الحديث، ج 1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000

46. ديب، كمال، موجز تاريخ العراق، دار الفارابي، 2013

47. روبرت همفري، تر: د. محمود الربيعي، تيار الوعي في الرواية الحديثة، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط2، 1975.

48. زيتوني، لطفي. مجمع المصطلحات نقد الرواية، دار النهار لنشر، بيروت، لبنان، 2002

49. زيدان، جورجي. تاريخ آداب اللغة العربية، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت،2011

50. سبكروح، فريبا، ود.كتايون فلاحي، ود. طاهره جالده. "دراسة وتحليل عناصر البنية الهيكلية (الموضوع، الحبكة والرؤية) لرواية "أساتذة الوهم" لعلى بدر"، مجلة اداب الكوفة، اذار - 2020 م، :Kufa Arts Journal: Vol. 44 No. 1 (2020)

51. سعيد، جميل. نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق (ألقاها على طلبة قسم الدراسات الأدبية)، معهد الدراسات الأدبية العالية، جامعة الدول العربية، 1954،

52. سلام، إبراهيم، الرواية العراقية: رصد الخراب العراقي في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، 2012

53. سلام، محمد زغلول. دراسات في القصة العربية الحديثة: أصولها- اتجاهاتها- أعلامها، منشأ الناشر المعارف، الإسكندرية

54. سليمان، نبيل. القاع الاجتماعي في الرواية السورية، كتاب قضايا عربية في الوحدة العربية وقضايا المجتمع العربي في الأدب والتأليف والترجمة في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993

55. سهيل، محمّد طقّوش. تاريخ العراق الحديث والمعاصر. دار النفائس، بيروت، 2015

56. السيد، محمود أحمد. المقدمة في جلال الخالد. الأعمال الكاملة لمحمود أحمد السيد، وزارة الثقافة والفنون، الجمهورية العراقية، 1978

57. شاوي، برهان، مشرحة بغداد،دار ميزوبوتاميا للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ط2، 2014.

58. شائب، أحمد. أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ط:٧. ١٩٦٤

59. الشحّات، محمد. سرديات المنفى الرواية العربية بعد عام 1967، أزمنة للنشر والتوزيع، 2006

60. صادق، عبد الرضا. في الأدب العراقي الحديث، مراجعة وتقديم: حبيب صادق، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط1، 2009

61. صالح، عالية محمود (2011" (التناص والميتاقص استراتيجيتان لتحليل الخطاب الروائي، رواية مصابيح أورشليمأنموذجا"، Al-Balqa Journal for Research and Studies والدراسات للبحوث البلقاء:Available at: . Vol. 14: Issu. 2, Article 4

62. صالح، فخري. قبل نجيب محفوظ وبعده- دراسات في الرواية العربية، مطابع دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010

63. ضيف، محمد شوقي. في النقد الأدبي، مكتبة الدراسة العربية، دار المعارف، القاهرة

64. طبانة، بدوي، أدب المرأة العراقية، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 1974

65. العاني، شجاع مسلم، البناء الفني في الرواية العربية في العراق،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1994.

66. عبود، سلام. ثقافة العنف في العراق، دار الجمل، 2002

67. العتابي، سعد عبد الحسين. الملحمية في الرواية العربية المعاصرة، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، 2001

68. عزالدين، يوسف، الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه، مطبعة اسد، بغداد، 1960

69. علي، عبد الخالق. الفن القصصي طبيعته وعناصره ومصدره الأولى، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة، قطر

70. غدنز، أنتوني. علم الاجتماع (ترجمها الدكتور فايز الصياغ)، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005

71. قسي، الحسين. سوسيولوجيا الأدب- دراسة الواقعية الأدبية على ضوء علم الاجتماع، دار البحار، بيروت، 2009

72. كاظم، قيس الجنابي، الرواية العراقية بعد الاحتلال الأمريكي، دار دجلة، 2021

73. كجه جي، إنعام. الحفيد الأمريكية، دار الجديد للنشر، بغداد، 2008

74. كجه جي، إنعام. طشاري، دار الجديد، بيروت، 2013

75. لطيف عبد الحسين الكناني، سقوط النظام السياسي في العراق، دمشق 1999

76. مجموعة باحثين، تر: أماني أبو رحمة،جماليات ما وراء القص، دراسات في رواية ما بعد الحداثة، دار نينوى، دمشق، 2010.

77. معرض، سليمان. مدخل إلى الأدب العربي، المؤسسة الحديث للكتاب، طرابلس لبنان.

78. معروف الرصافي، حياته وأدبه السياسي، رؤوف الواعظ

79. ميكي، بال، تر: عهد علي ديب،الحب القاتل/ دراسة أدبية نسوية في قصص الحب التوراتية، دار الفرقد، دمشق، 2010.

80. هلال محمد غنيمي. النقد الأدبي الحديث، دار النهضة المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997

81. الهواري، صلاح الدين. شعراء المهجر الجنوبي، دار الهلال، بيروت، ط1، 2009

82. الوادي، طه. دراسة في نقد الرواية، دار المعارف القاهرة، ط3، 1994

83. ووخ، باتريشيا. تر: عبد الحميد محمد دفار، ما وراء القصة، مجلة الثقافة الأجنبية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العدد 1، 1998.

84. يقطين، سعيد أحمد. تحليل الخطاب الروائي (الزمن- السرد- التبئير) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، البنان، ط1، 19997

المراجع في اللغة الإنجليزية

- Ali Badr, 'Iraq: A Long Phantasmagorical Dream for Those Who Are Not Part of the New Capitalism or Retired Communism', in We Are Iraqis: Aesthetics and Politics in a Time of War, ed. Nadje al-Ali and Deborah al-Najjar (Syracuse, NY: Syracuse University Press, 2013)
- Bahoora, Haytham. "WRITING THE DISMEMBERED NATION: THE AESTHETICS OF HORROR IN IRAQI NARRATIVES OF WAR." The Arab Studies Journal, vol. 23, no. 1, [Center for Contemporary Arab Studies, Arab Studies Journal, Arab Studies Institute], 2015,http://www.jstor.org/stable/44744904.
- Banipal Modern Arab Literature, https://www.banipal.co.uk/book_reviews/71/the-american-granddaughter-by-inaam-kachachi
- Britannica, The Editors of Encyclopaedia. "Iraq War". Encyclopedia Britannica, 21 Feb. 2021, https://www.britannica.com/event/Iraq-War.

- Caiani, Fabio, and Catherine Cobham. The Iraqi Novel: Key Writers, Key Texts. Edinburgh University Press, 2013.
- Gurr, Andrew. Writers in exile: the identity of home in modern literature. United Kingdom, Harvester Press, 1981.
- https://ar.wikipedia.org/wiki
- https://digitalcommons.aaru.edu.jo/albalqa/vol14/iss2/4
- https://open.lib.umn.edu/sociology/?s=social+change
- https://open.lib.umn.edu/sociology/chapter/20-2-sources-of-social-change/
- https://open.lib.umn.edu/sociology/chapter/5-1-social-structure-the-building-blocks-of-social-life
- https://www.ida2at.com/index-sinan-anton-a-new-reading-of-the-tragedy/
- Khadduri, Majid, Chambers, Richard L., Kennedy, Hugh, Woods, John E. and Blake,Gerald Henry. "Iraq". Encyclopedia Britannica, 22 Jul. 2022, https://www.britannica.com/place/Iraq.
- Masoudi, Ikram. War and Occupation in Iraqi Fiction; Edinburgh University Press; 2015
- Najm, Soheil. "Identity and Belonging: The American Occupation in the Iraqi Novel". Iraq Literary Review, vol. 3, 2013.
- Tönnies, Ferdinand. Community & Society =: Gemeinschaft Und Gesellschaft. New York, Harper & Row, 1963.
- Tripp, Charles. *A History of Iraq*. 3rd ed., Cambridge University Press, 2007.

- Wilterdink, Nico and Form, William. "Social structure". Encyclopedia Britannica, 13 Nov. 2022, https://www.britannica.com/topic/social-structure.

المراجع الإلكترونية العربية

- تحليل-رواية-طشاريhttps://khaerjalees.com/h/ -
- الجائزة العالمية للرواية العربية، https://www.arabicfiction.org/ar/hail-mary
- الجائزة العالمية للرواية العربية، https://www.arabicfiction.org/ar/index
- الجائزة العالمية للرواية العربية، https://www.arabicfiction.org/ar/Saad-Mohammed-Rahim
- الجائزة العالمية للرواية العربية، https://www.arabicfiction.org/ar/The-Booksellers-Murder
- جائزة كتارا للرواية العربية، //https://kataranovels.com/novelist/ذو-النون- أيوب
- الجبوري، مروان، الرواية العراقية الجديدة. قصة تحولات بين عصرين. ثقافة، الجزيرة، 23\08\2017، الرواية-العراقية-الجديدة-قصة-تحولاتhttps://www.aljazeera.net/culture/28/3/2016/
- الجبوري، مروان، الرواية العراقية الجديدة. قصة تحولات بين عصرين. ثقافة، الجزيرة، 23\08\2017، الرواية-العراقية-الجديدة-قصة-تحولاتhttps://www.aljazeera.net/culture/28/3/2016/
- الجريمة الفن وقاموس بغداد، *دارألكا، http://daralca.com/Books.aspx?Book=20&Author=6*
- جودت، جلال كامل، وأحمد حسين طه، مختصر العراق السياسي 1921 - 1957، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، 15\5، خزيران، 2008

- الحواري، رائد، "انهيار الارستقراطية في رواية -شتاء العائلة- لعلى بدر"، *الحوار المتمدن*، 2019، https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=633085
- الخالدي، ضياء، الرواية العراقية بعد نيسان 2003. ثقافة، عالم الجديد، الأحد 31 تموز 2022. الرواية-العراقية-بعد-نيسان-2003 -https://al-aalem.com/article51694/-
- الخوري، الخسيلفانا، "قراءة في كتاب: الركض وراء الذئاب"، *شبكة النبأ المعلوماتية*، *https://annabaa.org/nbanews/68/270.htm*
- سدر، سمر. تحليل رواية طشاري. ملخصات روايات، خير جليس، 01-09-2021
- السيرة الذاتية: غائب طعمة فرمان، https://elcinema.com/person/1108063/biographies
- الشريقي، أحمد. "يا مريم" رواية عن الوجع العراقي، ثقافة، الجزيرة، 5-12-2012،
- شفيق، هاشم. "الروائي العراقي علي بدر... في «ملوك الرمال»: تتويج الصحراء على الكون"، *القدس العربي*، 30- أبريل-2016
- صلاح، سماح، مراجعة رواية "مقتل بائع الكتب"، النقطة الزرقاء، 14-03-2020
- الطالب،عمر. عبد الحق فاضل 1911-1992. ملاحق المدى، 04-07-2022. 25154=https://www.almadasupplements.com/view.php?cat
- عادل، إبراهيم، فهرس «سنان أنطون»: قراءة جديدة للمأساة، فن وأدب، 03-09-2016
- عبد الرحمان، لنا، "صخب ونساء وكاتب مغمور لعلي بدر: رواية الصخب والحرب والهزيمة"، *القدس العربي، 6| ماسر|2006، /*صخب ونساء وكاتب مغمور لعلي بدر: رواية الصخب والحرب والهزيمة*https://www.alquds.co.uk/*
- عبد الله، جمعة. قراءة في رواية الوليمة العارية ويرجع العراق وليمة عارية، *تللسقف، 2-نوفمبر-2020*، https://www.tellskuf.com/index.php/authors/1055-jom/93790-bv141.html

- العربي، أحمد. "قراءة في رواية: الطريق إلى تل مطران"، *آفاق حرة*، 3-7-2018، مقالات-نقدية/قراءة-في-رواية-الطريق-إلى-تل-مطران-بقلم/https://www.afaqhorra.com
- علي حاكم، مهدي عيسى الصقر في الانتظار، ملاحق المدى، 2011/01/19
- الفرق بين العادات والتقاليد، 729107/https://www.ammonnews.net/article
- كتارا، /https://www.kataranovels.com/novelist/على-بدر
- مراجعة-رواية-مقتل-بائع-الكتبhttps://bluenoqta.com/14/03/2020/
- من اعلام العراق عبد الحق فاضل 1911-1992، عراقيون، 30، يوليو، 2017.

/18319/https://web.archive.org/web/20200203170258/http://www.iraqyoon.net

- الوليمة العارية، *دارألكا، http://daralca.com/Books.aspx?Book=20&Author=6*
- يا-مريم-رواية-عن-الوجع-العراقي /15/12/2012/https://www.aljazeera.net/culture

CERTIFICATE

It is certified that the thesis titled "DEPICTION OF SOCIAL LIFE IN THE IRAQI DIASPORIC NOVELS AFTER US INVASION WITH SPECIAL REFERENCE TO ALI BADAR AND HIS WORKS: AN ANALYTICAL STUDY", submitted by ISHAK PC to the University of Calicut, is a revised copy. Further certified that the corrections/suggestions made by adjudicators have been incorporated in the revised copy of the thesis and the contents in the thesis and the soft copy are one and the same.

Dr. C. SAIDALAVI

Research Supervisor,
PG&Research Department of Arabic,
Farook College (Autonomous),Calicut

Place: University of Calicut
Date : 03/10/2023

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis titled **"DEPICTION OF SOCIAL LIFE IN THE IRAQI DIASPORIC NOVELS AFTER US INVASION WITH SPECIAL REFERENCE TO ALI BADAR AND HIS WORKS: AN ANALYTICAL STUDY"** submitted for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature, is a bonafide study and research work done by ISHAK PC under my supervision as Co- guide.

No part of this thesis has hitherto been submitted earlier for the award of any Degree/ Diploma in any University.

Dr. ALI NOUFAL K.

Associate Professor, Department of Arabic
University of Calicut &
Former Head, Dept. of Arabic
Farook College (Autonomous) Calicut

Place: Farook College, Calicut

Date:

CERTIFICATE

This is to certify that the thesis titled **"DEPICTION OF SOCIAL LIFE IN THE IRAQI DIASPORIC NOVELS AFTER US INVASION WITH SPECIAL REFERENCE TO ALI BADAR AND HIS WORKS: AN ANALYTICAL STUDY"** submitted for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature, is a bonafide study and research work done by ISHAK PC under my guidance and supervision.

No part of this thesis has hitherto been submitted earlier for the award of any Degree/ Diploma in any University.

Dr. C. SAIDALAVI

Research Supervisor,
PG&Research Department of Arabic,
Farook College (Autonomous),Calicut

Place: Farook College, Calicut

Date:

DECLARATION

I hereby declare that this thesis titled **"DEPICTION OF SOCIAL LIFE IN THE IRAQI DIASPORIC NOVELS AFTER US INVASION WITH SPECIAL REFERENCE TO ALI BADAR AND HIS WORKS: AN ANALYTICAL STUDY"** has been written by me under the supervision of **Dr. C. SAIDALAVI, R**esearch Supervisor, PG & Research Department of Arabic, Farook College (Autonomous)Calicut, in fulfillment of the requirements for the award of the Degree of Doctor of Philosophy in Arabic Language and Literature.

I also declare that this thesis is the result of my own effort and that no part of this thesis has hitherto been submitted earlier for the award of any Degree/ Diploma in any University.

ISHAK PC

Place: Farook College, Calicut

Date:

DEPICTION OF SOCIAL LIFE IN THE IRAQI DIASPORIC NOVELS AFTER US INVASION WITH SPECIAL REFERENCE TO ALI BADAR AND HIS WORKS: AN ANALYTICAL STUDY

Thesis submitted to the University of Calicut for the award of theDegree of

DOCTOR OF PHLOSOPHY
IN ARABIC LANGUAGE AND LITERATURE
(Revised Copy)

BY

ISHAK PC

Under the Supervision of
Dr. C. SAIDALAVI
Research Supervisor, PG&Research Department of Arabic
Farook College (Autonomous), Calicut

Dr. ALI NOUFAL K.
(Co-Guide)
Associate Professor, Department of Arabic
University of Calicut&
Former Head Dept. of Arabic
Farook College (Autonomous) Calicut

UNIVERSITY OF CALICUT
KERALA – INDIA
2023